

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة/وزارة الثقافة

السنة(٤٣) المجلد الثالث والاربعون/ العدد الاول ٢٠١٦م/١٤٣٧هـ

البريد الالكتروني **dar_iraqculture@yahoo.com**

عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة / حي تونس- الأعظمية ص.ب: ٤٠٣٢:بغداد/جمهورية العراق هاتف ٤٤٣٦٠٤٤ فاكس:٤٤٦٧٦٠

المشاركة السنوية

أفراد/١٦٠٠٠ دينار: مؤسسات ٣٠٠٠٠ دينار/ داخل العراق.... أفراد /٨٦ دولار.. مؤسسات /٦٦ دولار/الدول العربية

أفراد٨٧/دولار.... مؤسسات/٧٢ دولار/الدول الاجنبية

رقم الايداع في المكتبة الوطنية (١٠٠) لسنة ٢٠١٥

المحتوى

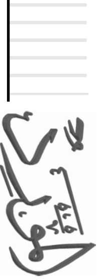
دراسات فكرية

دراسات تاريخية

دراسات لغوية

دراسات أدبية

نصوص محققة



اور بملوكها تعيد للعراق وحدته

بقلم/ محمد جاسم محمد علي
وزارة التربية / مدرس

الوضع السياسي قبل تأسيس مملكة العراق:

كان العراق يخضع لسلطة الملك نرام– سين حفيد الملك سرجون الاكدي، وكان من الملوك الاقوياء الذين حافظوا على وحدة العراق من الاعتداء الخارجي او الاضطرابات الداخلية، وقد سجلت له النصوص التاريخية القديمة بانه ابن لشعب اصيل ينهل من رافديه الافتخار والشموخ، وانه يحب بلاده العراق،لكن في نهاية حكمه حدثت الاضطرابات وتجمع عليه الاعداء، واصبحت الاخطار تعم ارجاء الامبراطورية الاكدية خاصة في عهد خلفائه الضعفاء فقد تدفق على العراق جموع غفيرة من المحاربين البرابرة الذين يصفهم النص القديم: بانهم كانوا ذا اجسام وهيئات غريبة على هيئة الطيور الجارحة، وقد زحفوا من الجبال الشمالية مكتسحين جميع الأقوام في طريقهم مثل (السوباريين) والعيلاميين، وانحدروا الى بلاد سومر واكد واواصلوا زحفهم الى مناطق الخليج مثل دلمون" البحرين" ومكان (عمان) وبلغوا اقليم (ملوفا) ولم تستطع جيوش نرام – سين، صد تقدمهم، اضافة الى هذه الاخطار الماحقة حلت بالبلاد كوارث اخرى كالجفاف ، والقحط والطاعون والطوفان، ومن الاخبار المتاخرة تذكر بعض النصوص بان مجئ الكوتيين كان في نهاية حكم نرام – سين، وان الاله مردوخ هو الذي سلطهم لتدمير مملكته.



وفي عهد(شار-كالي- شري)ابن نرام- سين اعلنت بلاد عيلام استقلالها، وقامت بمهاجمة بلاد بابل لكن الملك الجديد استطاع ان يرد هجوم العيلاميين لكنه لم يستطع اعادتهم الى سلطته، وماكاد ينتهي من دفع خطر الغزو العيلامي حتى وجد نفسه امام خطر اخر من الجهات الغربية من قبل القبائل العمورية، فقد ذكر بان السنة الثانية من حكم(شار-كالي- شري)تغلب فيها على العموريين في مرتفعات "بار"، وفي السنة الثالثة من حكمه جهز حملة عسكرية على الكوتيين وأسر ملكهم المسمى(شارلكاب) ومهما تكن صحة هذا الادعاء فان هؤلاء الكوتيين افلحوا في نهاية حكم (شار – كالي – شري) في شن هجومهم النهائي الكبير الذي اسقط المملكة العراقية الموحدة الاولى، وانتهى حكم السلالة الاكدية، واصبحت الفوضى السياسية سائدة في العراق فنقرأ العبارة الساخرة في احد النصوص تقول: (من كان الملك، ومن كان غير الملك)،وتذكر قائمة اثبات الملوك اسماء اربعة ملوك حكموا جميعهم ثلاث سنوات، وفي عهد هؤلاء الملوك الضعفاء بلغ نفوذهم أوج شدته،فاستطاعوا غزو السهل الرسوبي واحتلوا عدة مدن، وفي عهد الكوتيين تذكر قائمة اثبات الملوك ملكين اخرين من السلالة الاكدية خصصت لحكم الاول منها المسمى (دودو) واحد وعشرون عاماً والثاني المسمى (شو- درول) خمسة عشر عاماً. يبدوان الثاني كان على شيء من القوة بحيث استطاع ان يبسط نفوذه على منطقة (اشنونا) وهذا يعنى ان الكوتيين لم يسيطروا على العراق بصورة كاملة، وان الملكين الاخرين كانا يحكمان تحت سيادة الكوتيين اسمياً[١].



ويصف الباحثون حكم الكوتيين بانه من الفترات المظلمة التي سادت تاريخ العراق السياسي،وكانوا يمتازون بالخشونة والجلادة فقد جاءوا من جبال زاكروس المتاخمة لحدود العراق الشرقية مع بلاد ايران، وكانوا يسكنون بالجوار مع (اللولوبيين) في منطقة شهرزور التي كانت بالاصل موطناً للقبائل اللولوبية، وقد اختار الكوتيون مدينة (ارانجا) (كركوك) مركزاً لحكمهم ثم توسعوا الى مدن اخرى مع ذلك لم يكن حكمهم على العراق حكماً عاماً شاملاً، واما من الناحية الحضارية فكانت حضارتهم لم تصل الى كعب حضارة العراق لذلك انصهروا في بودقة حضارة العراق القديم، ولم يتراكوا اثاراً محسوسة في ثقافة البلاد،وذلك اخذت سيطرتهم على البلاد بالتقلص قبل ان

يطردوا منها...

وفي عهد الكوتيين حكمت في البلاد سلالات وطنية، فقد ذكرت اثبات الملوك سلالة حكمت في الوركاء قبيل فترة حكم الكوتيين واستمرت في الاستقلال، وخصصت لها خمسة ملوك حكموا ثلاثين عاماً وهؤلاء حكموا معاصرين للكوتيين، كما ذكرت سلالة اخرى في (لجش) عاصرت هي الاخرى حكم الكوتيين، ومن حكام هذه السلالة "اور- بابا" الذي كان يتمتع بنوع من الاستقلال لذلك استطاع ان ينجز مشاريع عمرانية مهمة مثل بناء المعابد، ومشاريع الري وانشات في عهده مدرسة جديدة في فن النحت السومري كما شجع الادب السومري فازدهرت المدينة في عهده كما استطاع (اور-بابا)ان يمد نفوذه الى المدن المجاورة فاصبحت "اور" تحت سيطرته، وعين في معبد الاله القمر (سين) ابنته كاهنة فيه، وخلفه في حكم لجش، الملك "كوويا" وكان هوالاخر يتمتع بالاستقلال، في جميع اعماله وتصرفاته، وفي نفس الوقت كان يحكم في مدينة "اور"الملك اور-نمو، الذي هو الاخر كان يتمتع بقوة الشخصية فاعلن استقلاله عن الكوتيين. وبالرغم من استبداد سلطة الكوتيين، واشاعة التاخر في مجالات الحياة المختلفة نجد ان مدينتي "لجش واور" حافظتا على مآثر العراق القديم وقامتا باحياء التراث السومري، وفي اواخر العهد الكوتي استطاع " اوتو- حيكال" ان يؤسس سلالة حاكمة في" الوركاء" تعتبر السلالة الخامسة، وذكرت قائمة اثبات الملوك بانه حكم سبع سنوات ونصف السنة،وكان كبقية أبناء العراق القديم لايقبل بالاحتلال الاجنبي فعمل جاهداً على التخلص من الكوتيين فخلف لنا نصاً يروي خبر طرده الكوتيين وتحرير البلاد منهم، ويبدأ النص بالقول " ان اوتو- حيكال سحق الكوتيين، ثعابين الجبال القارصة، واعداء الالهة الذين نقلوا ملوكية بلاد سومر الى الجبال، وملأوا البلاد بالشر.... ولما ان قرر الاله (انليل) ان يمحوهم اختار " اوتو- حيكال، ملك اوروك لتنفيذ ارادته... فصلى في معبد الهته (انانا) التي اختارته بدورها لتلك المهمة""[٢].

ويستمر اوتو- حيكال في روايته الممتعة، فيخبرنا كيف استطاع ان يجمع محاربي اوروك من السومريين والاكديين حوله مكوناً جيشاً ضخماً وسار على رأسهم ، وفي الموضع المسمى معبد "ابشور" خطب فيهم وهتفوا له، وفي اليوم السادس من المسيرة



وفي المكان المسمى "معبد" ايلي – تبا" جاء له ضابطان من ملك الكوتيين للتفاوض والاستسلام، لكن " اوتو – حيكال، رفض التفاوض واصر على سحق الكوتيين وطردهم من البلاد، وفي اليوم السادس التقى اوتو –حيكال بجيش تريقان"ملك الكوتيين واحلت الهزيمة بجيش الكوتيين وهرب الملك تريقان" الى احدى المدن،ولكن اهلها قبضوا عليه وسلموه الى "اوتو – حيكال، فوضع قدميه على رقبته واعاد بذلك حكم العراق الى اهله. وبعد حرب التحرير التي انهت سيطرة الكوتيين نشأت الروح الوطنية الجديدة من بعد فترة دامت قرناً من الزمان حكم فيها الكوتيون ، فدون العراقيون القدامى نظام الحكم المتطاول في البلاد، والسلالات الحاكمة الكثيرة، بالاضافة الى النصوص التي دونت خبر طرد الكوتيين، ونصوص اخرى تبين اهتمام اوتو – حيكال بمدينة اور والمدن العراقية الاخرى، وكان حاكم مدينة اور احد رجال اوتو – حيكال هو "اور – نمو" وحينما حدث خلاف بين مدينتي اور – ولجش على الحدود قام اوتو – حيكال بتسوية الحدود بين المدينتين، ولعل هذه التسوية اغضبت حاكم اور مما دفع الاخير الى العصيان والانفصال عن اوتو – حيكال والقضاء عليه[٣]،مؤسساً سلالة جديدة عرفت بسلالة اور الثالثة. واستطاع اور –نمو المعين على امرة قوات مدينة اور العسكرية الإستيلاء على زعامة البلاد وتكوين سلالة جديدة جعل من مدينة اور مركزاً لها ثم ضم اليها سلالة لجش الثانية وقد شغلت سلالة اور مساحة واسعة من العراق ثم امتدت الى مناطق اخرى فضمت تحت لوائها قوميات واديانا مختلفة، محققاً الامن والاستقرارومتبعاً سياسة موحدة للجميع ولم يفرق بين الاقوام التي سكنت العراق القديم، وان ملوك اور الثلاثة الاخرين تسموا باسماء اكدية او قل (جزرية) مثل (امار – سين، وشو – سين وابن – سين) اضافة الى اهتمام ملوك اور بمشاريع الري، وتوفير الحرية الكاملة للتجارة والتجار واهتمامهم بالمقاييس والمكاييل والاوزان التي تمثل العمود الفقري للحياة الاقتصادية في البلاد[٤].

سلالة اور الثالثة وتكوين مملكة العراق اور-نمو ٢١١٢-٢٠٩٥ ق.م.

استطاع اور –نمو ان يعلن استقلال مدينة "اور" من حكم اوتو – حيكال،على اثر قيام الاخير بتحديد الحدود بين مدينتي(لجش واور)، واسس في اور سلالة عرفت بسلالة



" اور الثالثة " دام حكمها من ٢١١٢ الى ٢٠٩٥قبل الميلاد، وحكم فيها خمسة ملوك استطاع هؤلاء الملوك من اعادة الوحدة السياسية للعراق القديم من بعد فترة حكم الكوتيين المظلمة، كما وسعوا مملكة العراق بعد فتوحاتهم الخارجية معيدين بذلك الامبراطورية الاكدية، وشملت فتوحاتهم اجزاء مهمة من انحاء الشرق الادنى من بينها بلاد اشور وبلاد عيلام، سوريا، والاجزاء الشرقية من اسيا الصغرى، ومناطق الخليج العربي...[٥]

حكم اور–نمو مدة ثماني عشرة سنة، وفي عهده كان للكوتيين وجودٌ في جهات من البلاد ولذلك قام اولاً بالاستقلال عن الوركاء، ثم جهز جيشاً وتابع فلول الكوتيين المندحرة الى خارج حدود البلاد وبعد ذلك توسع على حساب مدينة لجش فاخضع حاكمها "المسمى نمخني" لسلطانه.

ومن مشاريع اور– نمو انه انجز في اور عدة مشاريع عمرانية كبيرة في مقدمتها بناء زقورة اور(برجها المدرج) الذي يعتبر اقدم مايمثل تلك البنايات العجيبة التي تفردت بها حضارة العراق القديم كما جدد معبد(انليل في مدينة نفر)،وفي مدينة الوركاء شيد زقورتها العائدة الى الالهة (انانا) كما جدد حرم المعبد وبالنظر لاهمية زقورة اور اذكر لها هنا وصفا مختصرا: شيد اور– نمو زقورة اور على انقاض زقورة اقدم منها وجعل هيكلها الداخلي من آجر اللبن وغلفه بغلاف من الاجر المشوي (المنخور) وكان ثخنه (٨) اقدام وارتفاعه(١١م) ومقياس الطبقة الثانية ٣,٦×٢٦م وارتفاعها ٦م اما الطبقة السفلى (٦٢,٥×٤٣م) ومابقي من طبقتها العليا فهو ٢٠م، وكان المعبد العالي فوق الطبقة الثالثة. وبقي من الزقورة السلالم الثلاثة التي كان يرقى بها الى الاعلى اي اعلى الزقورة، واحد في الوسط واثنان جانبيان يتصلان بالسلم الوسطي من الاعلى، وكانت تتصف بالتناسب في قياسات الجوانب واوجه القاعدة السفلى، وتقوم الزقورة فوق دكة اومصطبة وسط الساحة المقدسة المخصصة لمعابد المدينة ولاسيما معبد الاله القمر(ننا بالسومرية وسين بالاكدية) وتحيط هذه الساحة بالمخازن ومساكن الكهنة[٦].

وقد عثر على نص للملك اور– نمو وهو بهيئة صلاة وتعبد امام الاله القمر لتسلم الاوامر منه لتشييد الزقورة كما استلم ادوات البناء مثل الخيط وعصا البناء وكان ذلك منحوتاً على قطعة من الحجر. ووجد عدد من



التماثيل النفيسة تمثل الملك اور– نمو وخلفاءه من ابنائه وفيها نصوص باسم الملك، والقابه، وتسجيل بناء احد المعابد كما اهتم اور– نمو بالري وله مشاريع مهمة منها فقد حفر نهراً أسماه (ننا–كوكال) بين لجش واور، وحفر له خزاناً " كأنه البحر"وعلى بعد ٢ كيلومتر من الزقورة اعاد اتصال مدينة اور بنهر الفرات، كما شيد ميناء لربط اور ببحر الخليج العربي عن طريق نهر الفرات (٧).

وفي عهد اور –نموانتقل مركز الثقل السياسي من الوركاء(اوروك)الى مدينة اور، وكانت اور قوية في تركيبها السياسي فكانت مترابطة بشأن توزيع السلطات والمسؤولية السياسية بكل دقة فتمكنت من منح تلك السلطة الى حكام حكموا مقاطعات بعيدة عن المركز كعيلام ، وماري واشور باخلاص وتفانٍ(٨) وقد مهد بالسني الاولى من حكمه الطريق من البحر الاسفل (الخليج العربي)الى البحر الاعلى (البحر المتوسط)، وقد عثر على نص يقول عن وفاته:

" اما اور– نمو فقد سقط على الارض مثل اناء محطم"

شولكي: ٢٠٩٤_٢٠٤٧ق.م.

هو ابن اور– نمو خلف اباه على عرش اور، وحكم ثمانية واربعين عاماً، ففي النصف الاول من حكمه اكمل تشييد المعابد والزقورات التي كان اور– نمو قد بدأ ببنائها، كما اقام في عهده عدة بنايات جديدة، واعاد الالهة الى مراكزها السابقة، واستحدث مكيالاً جديداً للحبوب سمي (كور)+ ليحل محل المكاييل القديمة، وجرت في عهده عملية اعادة تنظيم شاملة للمملكة في الميادين السياسية والاقتصادية والادارية...

وفي السنة الثانية والعشرين من حكمه شرع شولكي بسلسلة طويلة من الحملات العسكرية السنوية في سهول شمال ديالى، وفي جبال كردستان والى فتح (اشور) و (اور–بيلم)= (اربيل) ومدينة (سموزم) على الزاب الاسفل، ومدينة (ششرم) وحملة على قبائل اللولوبيين) ووصل الى الفرات الاوسط والاعلى وفرض سيطرته على بلاد عيلام(٩). وشولكي اتقن فن الكتابة والادب، ولعل الكثير من المدائح والتراتيل التي وضعت لتقديسه كانت من نظمه،وتمتاز هذه التراتيل بانها ذات اسلوب ادبي رفيع مما يدل ذلك على ولع الكتبة من العهد البابلي القديم الذي اعقب زمن سلالة اور الثالثة باستنساخ بعض هذه القطع الادبية، وقد



عثر على بعض من هذه النسخ في مدينة نفر تتضمن تراتيل شولكي وبعض رسائل (ابن – سين)، وكان شولكي اول موسيقار في العراق القديم فكان يعزف على مالايقل عن ثماني الات موسيقية من بينها قيثارة وصفت بانها ذات ثلاثين وتراً، وآلة موسيقية سميت باسم احد ملوك كيش القدامى (اور – زبابا)..

وقد وصلت من الملك شولكي نحو ثلاثين ترتيلة وفيها تخاطب الملك كأنه اله من الالهة لذلك ادعى بانه ذو قربى بالاله شمس (اوتو)، وقد شيد لشولكي معبدٌ في مدينة نفر).

ان شولكي وخلفاءه اعتبروا ارباباً في حياتهم حيث نجد اسماءهم مكتوباً امامها اشارة الاله، ويلبسون الخوذة ذات القرنين، وكانت تقدم لهم النذور والتراتيل في نفس الطريقة التي تقدم للالهة، فقد عثر في منطقة(دريهم) (وفي لجش، وفي اوما) على معابد مكرسة الى ملوك اور الثالثة، ووضعت فيها تماثيلهم وفيها تقدم الاضاحي والنذور، وكانت تماثيل الالهة تعامل مع تماثيل الملوك على السواء[١٠].

ارسل شولكي موظفين الى شمال العراق لحفظ النظام والامن، ووصلت رسائل متبادلة بين شولكي واحد الموظفين المسمى(ارمو) وفيها يخبر ارمو سيده عن نفوذ زعيم سومري اسماه (اويلا) اعتبر نفسه ملكاً وجلس على عرش واحاط نفسه بثروات وجيش قوي، فيرد عليه شولكي بان عليه وجوب جلب الشعب للطاعة ويضع اللوم على اعضاء المجلس المحلي للمنطقة الذين لم يضعوا حداً الى تصرفات (اويلا).

ويقول شولكي في نص له : "لقد خلقت لاسعاد انانا"، وفي نص اخر يقول "ايها الراعي شولكي الذي يمتلك المياه قدم لنا المياه".

وكان شولكي كثير الاهتمام بالمعابد وادامتها، واهتم باحياء تراث الثقافة العراقية القديمة ومعالمها،ولانه يحب شعبه ووطنه فقد كان كثير التنقل بين المدن العراقية القديمة فكان يذهب من اور الى نفر عدة مرات والى اريدو والى لجش والى المدن الاخرى، وكان يعين على (لجش) حكاماً محليين وكان على هؤلاء الذهاب الى الملك لتقديم تقاريرهم له، ولان مدينة "نفر" مقدسة فان الحاكم فيها كان يورث منصبه لولده. وقد كان من اولى مهام حكام المدن



هي جمع الضرائب وارسـالها الى العاصمة والمعابد وفي عهد الملك شولكي نشط سعاة البريد في نقل الاوامر الملكية، ونقل اخبـار المدن من والى الملك وهذا يدل على تنظيـم دقيق للامور الادارية وفي نفس الوقتعلى صلاحـيـة طرق المواصلات ، وعين على اشور حاكماً اسمه "زويقـم" اما بالنسبـة لمدينة (سوسة) فقد عين فيها حاكماً اسمه (زاريقـوم)، وبـنـى فيها معبـداً للاله "نشوشيناك" ووجدت خرزة من حجر كريم في سوسة، كان شولكي قد كرسها الى الاله (نينكال) التي اطلق عليها انها "امه" وقدم (لونيكير) الحجر النذري لحياة شولكي، كما قدم حـاكم لجش (لوكانى) مزهرية لحـياة شـولكي الى الالهة(نينكرنزو) وقـدم ولده (خالا لاما) تمثال امراة لحياة شولكي، اهداه للالهة (باو)، كما عثر على مزهرية قـدمها للالهة (شارا) لحياة شـولكي تاجر باسـم (اراد- ناننا) وقـدم حـاكم (نفر) ختماً الى الاله (نوسكو) لحياة شولكي، وقـدم حـاكم اسمه (اور-باسكك) الى شولكي ختماً كتب عليه:" الى شولكي المقـدس"[١١] وارسـل حاكم (خارشي) في شمال العراق (دبـاً) الى الملك كهدية لعدم وجـود هذا الحـيوان في جنوب العراق.



وقد اتبع شولكي في نهاية حـياته سياسـة جديدة فقد استخدم مرتزقـه محـليين لدعم الحـاميات في الحـدود المجاورة الى مدينة لجش، وكانت تلك الحاميات تتكون من (٥-٢٥رجلاً) استلموا ارزاقاً من خبز الشـعير والبيرة يومياً وكانوا تحت امرة قائد عراقي في رتبة عالية، وكان القائد من السومريين؛ ونتيجة لسياسة شـولكي العادلة مع المدن العراقية ومع عيلام فقد هدأت هذه المناطق، وقامت هذه المناطق بارسال مافرض عليها من الاعطاءات والنذور كل شهر من اشـهر السنة، وقـدم حـاكم (كرزو) تبـرعاته الى اربعة اشهر من السنة ومن ضمنها حـصة الشهر الثاني عشر وهو عيد الملك شـولكي (لتسمية هذا الشهر باسم الملك)، اما المدن الاخرى فقـد كانت تقـدم ماعليها في غير ماوقت محدد وثابت [١٢].

وفي السنة الخامسة والعشـرين من حـكم الملك شولكي زفت ابـنته الاميرة (نياميليد اشو الى حاكم مرخشي) في المنطقة الجبلية، كما تزوج حاكم (انشـان) اميرة من البـيت الملكي ، ولكن هذا الزواج الاخير لم يمنع من تخريب بلاده عندما ثار على سيده بعد اربع سنوات من زواجه[١٣]، وتذكر النصوص ان "ابيتى" هي زوجة الملك شـولكي وكانت

ذات شخصية مؤثرة، وعاشت بعد وفاة زوجها عدة سنين، وظلت تؤثر خلالها في سياسة خلفائه الثلاث.

وكان كثير الاهتمام ببناء المعابد وتعميرها فقد عمر معبد (ايساكلا) في (كرز وبلكش) ومعبد دامكالتونيا في نفر ومعابد اخرى جاء ذكرها خلال البحث. ولطول فترة حكم شولكي، ولانه ملكٌ اتسم بالعدل فقد انتشر الرخاء في عهده، وظهرت حركة دينية وهي عبادة الملك فقد وجد بالقرب من اربيل ختمٌ مكتوب عليه: الى سيدته ننليل الهة شولكي، وتسمى الكثير من الناس باسم " شولكي ايلي" (=اي ربي) "وشولكي بانى" "=اي خالقي" و"شولكي ابي" "= اي ابي"..

وفي عهد شولكي ساد مدن العراق الاستقرار والسلام والرخاء الاقتصادي واصبحت العلاقة بين شماله وجنوبه يسودها الوئام والمودة فكان اهل الشمال يشتغلون في اعمال حفر القنوات ورعاية الماشية وكجنود في الجيش،وكانت الرواتب تدفع للمندوبين+ وكان هؤلاء يسافرون بدون حماية عسكرية ممايدل على استتباب الامن والنظام، وكان يمتلك جهاز رقابة بحيث تصل الاخبار من المناطق النائية والقريبة بنفس الدقة والصدق وبفضل الرقابة كانت تصل الاخبار من كل مفاصل الدولة العسكرية وشؤون الدولة الاخرى[١٤].

امار-سين: (اوبور-سين): **هو ابن الملك شولكي.**

حكم امار – سين ابن شولكي من سنة ٢٠٤٧- ٢٠٣٩ق.م لمدة تسع سنوات، وسار على خطى ابيه في تقسيم نشاطه بين تشييد المعابد وتعميرها، وشن الحروب على المقاطعات الشرقية.

من اعماله العمرانية أنه خصص جهوداً كبيرة في اعمار وتجميل العاصمة اورثم مدينة نفر المقدسة وشيد في مدينة (اريدو) زقورتها (برجها العالي)، ولم يترك مدينة الا وشيد اوجدد معابدها، ولايفرق بين مدينة واخرى لانه يتصف فعلاً بالروح الوطنية العالية في حب وطنه العراق وحب العراقيين جميعاً سواءٌ أكانوا سومريين او أكديين. وقد شيد بناية لوضع العسل والزبد والخمر المقدمة الى (انليل) بمدينة نفر، واصلح حوض ماء الاله انليل في اريدو وجدد معبد الاله (نفار) في اور– وكرس حاكم (اشنونا) معبداً للملك امار– سين، كما شيد حاكم اشور معبداً في اشور لحياة سيده (امار– سين).

وارسل امار – سين الحملات العسكرية الى اخضاع الاقاليم الشمالية الشرقية كما ارسل



حملة الى ششرم واخرى الى (اربيلو) والى (خوفو نوري)، وشيما نوم، وعندما اعلنت منطقة (شوروتوم) انفصالها بقيادة (كيداني)تقول النصوص (من قائد شورتوم) (اري- توبوك) ارسل الى امار - سين غنائم كثيرة وهذا يعني ان منطقة شورتوم استقلت من اور فترة قصيرة ثم عادت الى مملكة العراق من جديد(١٥).

واطلق على نفسه لقب " الرب الحقيقي شمس البلاد "

شو-سين ٢٠٣٧-٢٠٢٩ق.م.

هو ابن الملك (امار- سين) وهو الملك الرابع من سلالة اور الثالثة، دام حكمه تسع سنوات، وهناك اشارة تقول انه اخو (امار- سين).

من اعماله العمرانية انه بنى معبداً للاله "شارا" في مدينة "اوما" وقد استغرق بناؤه سبع سنوات واستعملت في بنائه (٩ ملايين اجرة كبيرة) و(١٧ مليون اجرة صغيرة)، وشيد حاكم اشنونا معبداً خاصاً لعبادة شو -سين)، وعمر منطقة المعبد في سوسة، وبنى حصناً فخماً سماه(مار- تو)لصد التدنوم+ واضطر الملك الى اقامة هذا الحصن لاتقاء غزوات العموريين(١٦).



ارسل الملك عدة حملات حربية استطاع فيها دحر تحالف الدويلات الايرانية في مناطق جبال زاكروس كما ارسل الجيوش الى الجهات الشمالية الشرقية لاخضاع الثائرين في منطقة (سيمانوم) حيث حمل منهم عبيداً اسكنهم قربه واستخدمهم في اشغاله العامة، وقد حمل على قبائل (سو) في جبال زاكروس للحصول على الرصاص والنحاس والبرونز والذهب،وجهز حملة على(رابشالي) فأنتصر عليها واسر حاكمها (زبرينكوم) ونقله سجيناً الى اور وحينما تحالف حاكم (ابشالي) الجديد مع امراء الجبال فانتصر عليهم شوسن ونقل احد عشر حاكماً من المتحالفين الى مدينة اور اسرى: وعين عدة حكام في بلاد عيلام ، كما عين (ار- نانا) حاكماً عاماً في الاقاليم الشرقية ومقره في مدينة لجش فقام هذا الحاكم بتشييد معبد لسيده في لجش، كما شيد حاكم اشنونا معبدا لسيده (شو- سن) وكتب على صخور محور الباب: (من اجل شو-سن) الذي سماه انو حبيب انليل، والملك الذي فكر به انليل في قلبه المقدس لرعاية البلاد والجهات الاربعة، الملك العظيم ملك اور حاكم اشنونا عبده بنى معبده(١٧).

ابى ـ سين ٢٠٢٩ـ٢٠٠٤ق.م.

هو ابن شو – سين، حكم اربعة وعشـرين عاماً، ما أن توج هذا الملك الجديد حـتى تبعثرت الامبراطورية واعلنت المدن الغربيـة استقلالها الواحدة تلو الاخرى وانفصلت من اور، وكانت اشنونا اولى تلك المدن المنفصلة ثم بعدها مدينة(سوسة) وفي السنة الخامسة من حـكمه توغل العموريون في قـلب الامبراطورية مخترقين خطوط الدفاع واصبح الموقف حرجاً بالنسبة للملك (ابى– سـين) فارسل الملك رسالة الى قائده (اشبى– ارا) يطلب فيها شراء كمية كبيرة من الحبوب من مدينتي (نفر، وايسن) ونقلها الى اور، ولكن اشبى– ارا يبـلغ الملك ان المار– توم قـد اجتاحوا البلاد وقـطعوا خطوط المواصلات المؤدية الى اور، وانهم على اسـتعداد للهجوم على نفر وايسـن، ومن الصعوبـة شراء الحبوب، كما يطلب من الملك ان يتهيأ للدفاع عن المدينة، ويوافق الملك على طلبه وينصح قائده بطلب المساعدة من الحـكام الاخرين، ويعرض عليه شـراء الحبـوب بضعف سعرها الاعتيادي، وقـد اسـتطاع ابى– سين ان يدحر العموريين(المار– تو) لكن رعاياه اصبحـوا يتضورون جوعاً، ومايزيد الوضع سوءاً اكثر ان مرؤوسـيه انفسهم لم يطيعوا اوامره حيث اعلن (اشبى – ارا) نفسه ملكاً على "ايسـن" وفي مدينة (لارسا) توج احد الشيوخ العموريين المدعو (بيلانوم) نفسه ملكاً، وفي نفس الوقت قـام العيلاميون بأعداد حملة عسـكرية لاجتياح الامبراطورية، وظلت الامبراطورية تقتصر على العاصمة والمناطق المجاورة لها[١٨].

وتذكر الوثائق بـان مدينة نفر ومدينة اوما، ومدينة لجش لم تعد تعترف بسـلطة ملك اور[١٩].ورافق الاضطرابات والفوضى السياسية التي عمت البلاد تدهور الاقـتصاد بسبـب فقدان الامن، واهمال مشاريع الري وارتفاع الاسعار ارتفاعاً فاحشاً[٢٠] وازاء هذا الوضع المتردي كان الجيش العيلامي يقـف على ابواب مدينة اور لذلك حاول(ابى – سـين) تأمين تحـالف مع العموريين وحـتى مع (إشبـى – ايرا) لانه لم يفلح في عقـد هذا التحـالف وفي عام ٢٠٠٦ق.م دك العيلاميون اسـوار مدينة اور واستحـوذوا عليها ثم احرقـوها ثم انسحبـوا منها تاركين فيها حامية صغيرة، واخذ (ابى –سين) اسيراً الى ايران..

وكانت فجيعة دمار "اور" تذكر بالأسـى وترثى بالحزن من قبل العراقـيين القـدامى الذين اعتبروها كارثة وطنية، وكان الشـعر



الذي نظم عن اور مليئاً بالحزن:

ايه ابانا (نانا) ان تلك المدينة قد حـــولت الى رميم..

وملأ شعبها،وليس كسر الفخار، كل محلاتها

وتصدعت جدرانها، والناس يئنون،

في ابوابها العالية التي كانوا فيها يتنزهون،

رميت جثث الموتى.

وفي شوارعها المشجرة، حيث كانت تنصب الولائم استلقوا متناثرين.

وفي كل طرقاتها التي كانوا فيها يتنزهون، سحبت جثث الموتى.

وفي ميادينها، حيث كانت تقام الاحتفالات

استلقى الشر بالاكوام...

اور التي اكل الجوع اقوياءها وضعفاءها

وكوت النيران الابـــــاء والامهات الذين لم يبرحوا منازلهم

والاطفال المضطجعون في احضان امهاتهم

كالاسماك حملتهم المياه بعيداً

وفي المدينة هجرت الزوجة، وهجر الابن،

وانتثرت الممتلكات في كل جانب

اواه (يانانا) لقد دمرت اور وشرد اهلها)[٢١].



ابى-سين وانهيار امبراطورية اور:

في العام الثالث من حكم ابى – سين بدأت المدن التي كانت تحت سيطرته تستعمل الواحدة بعد الاخرى حوادث محلية خاصة بها لتأريخها، ففي منطقة (اشنونا) انقطع التاريخ بالحوادث في نهاية العام الثاني من حكمه، وفي مدينة (سوسة) بدأ الانقطاع منذ عامه الثالث، وفي (لجش) منذ عامه الخامس، وفي مدينة (اوما) منذ العام السادس، وفي مدينة (نفر) منذ العام السابع، وإضافة الى هذه البوادر الدالة على انفصال المدن عن السلطة المركزية امتناع حكام الاقاليم عن ارسال القرابين الى معبد الاله (ننا) في اور منذ العام السادس من حكم الملك، كذلك تشير الاخبار الى تمرد السكان على طاعة السلطة المركزية وظهور العصيان والثورات، كذلك تطويق مدينة اور من الجهات الشرقية باعداد غفيرة من الجيش العيلامي الذي اخذ يطرق ابواب مدينة اور بعنف، ومن الجهة الغربية والجنوبية فأن حشود العموريين واعدادهم الهائلة كانت تزحف الى مدينة اور وهي في طريقها تستولي على مناطق واسعة من مدن العراق وارضه حتى استطاع احد شيوخهم يدعي الملوكية على عرش الارسام راشبى ارا اتخذ من(ايسن) مقرا لحكمة كما تمت الاشارة الى ذلك، وهكذا كانت العوامل الداخلية التي

مهدت للاعداء الخارجيين الان الانقضاض عليها[٢٢].

التنظيمات الادراية والاقتصادية

وسع حكام اور ميدان النظام السياسي فشمل مناطق واسعة جداً، واصبح العراق يشمل بلاد عيلام وسوريا ولبنان، واصبحت هذه المناطق تحت حكم ملك اور الذي اختير من قبل الاله (انليل) في نفر لقيادة هذه الشعوب العديدة المختلفة، واذا كان حكام (ماري) و(اشور) يتمتعون بالحكم الذاتي فإن امراء المدن الاخرى كانوا مجردين تماماً من الحكم الذاتي، وقد كان يتم تعيينهم وتثبيتهم من قبل الملك وامكن نقلهم من مدينة الى اخرى، وكان يزورهم باستمرار مفتشون ملكيون، كما جرى وضع بعضهم تحت امرة حكام مقاطعات اكبر، وكان يجري تعيين امراء المقاطعات من بين السكان الاصليين، اما الموظفون الملكيون فقد كانوا يختارون من بين المواطنين السومريين والأكديين على حد سواء، وقد ادت هذه السياسة الحكيمة الى رص المجموعات العراقية المختلفة مع بعضها، وشجعت التقدم الحضاري والاقتصادي في المقاطعات البعيدة وامنت في النهاية سلماً داخلياً دام خلال معظم حكام سلالة اور الثالثة، كما اجبرت ملوك اور على تحسين نظام المواصلات البرية، واقيمت القلاع على طول الطرق الرئيسية، ورابط فيها رجال الشرطة وثبتت على الطرق محطات استراحة معينة وكان السعاة ورسل الملك في لجش يحصلون على حصة مضاعفة من الطعام. (اي على حصتين) فالحصة الاولى لقاء مكوثهم في المدينة والثانية للطريق. ولما كانت القوافل التجارية تستخدم نفس المواصلات هذه لذلك اصبح بامكان العناصر المادية والروحية لحضارة العراق القديم ان تنتقل بسرعة وامان من مكان لآخر طول وعرض الامبراطورية، وقامت في هذه الفترة علاقات تجارية وثيقة بين عيلام والعراق وبين العراق ودول ذات حضارة متخلفة نسبياً كشمال سوريا.[٢٣]

وقد نجحت سلالة اور الثالثة في ايجاد مملكة مترابطة بشأن توزيع السلطة والمسؤولية السياسية بكل دقة وتمكنت من منح تلك السلطة الى حكام حكموا مقاطعات بعيدة عن المركز كعيلام وماري واشور [٢٤]

وفي عهد سلالة اور الثالثة كان الكتبة مولعين بالتسجيل، والتنظيم وحفظ الوثائق، ويمكن تصنيف جهاز الدولة الاداري كالاتي:



١- في قـمة الهرم الذين يمثلون الدولة هم الملك ومستشاره ووزيره الاعظم.

٢- الكتبة والمسـجلون، وكان هؤلاء على مراتب ودرجات،وبضمنهم الكتاب المحليون والموظفون الصغار.

٣- مديري المشـاغل والمصانع الخاصة بالقصر والمعابد وكبار الموظفين الموكلين بـادارة ملاك القـصر والمعبـد والكهنة والكاهنات وقـواد الجيش، وحـكام المدن والاقاليم وهؤلاء طبقة عليا من الموظفين.

ولما ظهرت فكرة توحـيد العراق في مملكة واحدة ثم اتسعت الى امبـراطورية تعقـدت ادارة الدولة، واتسعت سلطات الملك فظهر الاتجاه في تقديس الملك وتأليهه، فظهر هذا التأليه منذ منتصف حكم (شـولكي) حـينما اخذ يشيد المعابد لنفسه، وتقريب القرابـين له، واستمر التقديس بعد وفاة الملك المؤله..

اما التنظيمات الاقتصادية فكانت توضع في صناديق اواوعية، ويدعى الموكل بها رجل السجلات او حافظ السجلات وان قسماً كبيراً من الوثائق يخص اقتصاد المعبـد وادارته، وقوائم القرابين التي كانت تقدم الى المعبـد في ايام ومواسـم معينة، وكذلك سـجلات المصروفات، وهناك السـجلات الخاصة بالحـكام والموظفين وسـجلات خاصة بالفلاحين واخرى بعامة الناس، وكان بوسع المزارعين استلاف بذور الحنطة من القصر او المعبد بسعر فائدة يبلغ عشرين بـالمائة من الكمية المسـتلفة اصلاً، واسـتطاع المرابون المحـليون من الاستحـواذ على الثروات الطائلة بتقديمهم القـروض المالية القصيرة الاجل بسعر فائدة ٣٣,٥ من المبلغ المستلف وبالنسبـة للارض المؤجرة كان البـدل الاعتيادي الذي يسـتلمه صاحـب الارض من مؤجرها يساوي ثلث المحصول باكمله وازاء ذلك تردت الحالة الاقـتصادية مما اضطر الفقراء الغارقين بالديون الى بيع اطفالهم في سوق النخاسـة كعبـيد، وكان الناس يفضلون العمل لمصلحـة المعابـد المحـلية او للملوك لقـاء اجر دائم يدفع بالحبـوب والمأكل والملبـس حـيث كانت المعابـد تملك الاراضي والمعادن الثمينة، والمواشي وقوة العمل وكانت لحكومة الملك مقاطعاتها، ومخازنها، وورشاتها، وكتبها، وتجارها، وحـرفيوها، وعمالها وعبـيدها الخاصون بها، فكانت المعابـد والملوك في متناول ايديهما اعداد كبـيرة من الرجال المتهيئين للقيام بالاعمال الشعبية الواسعة النطاق اضافة الـى الجيـش مـن الخـدم



المدنيين الساهرين على تثبيت سلطتها.

وفي عهد الملك شولكي استحدثت دوائر اقتصادية مهمة مثل دائرة المقاييس والمكاييل المسؤولة عن تنظيم الاوزان والمكاييل الرسمية المضبوطة ومراقبتها(٢٥).

وفي عهد شولكي ايضاً شيد في (بوزوريش – ماكان) (دريهم الحالية) جنوب نفر عنبر واسعٌ نقلت اليه الاغنام والابقار والحبوب والجعة وغيرها من البضائع التي جلبت اليه من المناطق التابعة للامبراطورية وكانت هذه المواد اما هدايا او دفعات تقليدية تقدمت من المدن المختلفة طبقاً الى نظام (الدورة السنوية) المسمى "بالا" وكان هناك كتبة مختصون بالشؤون الحسابية يسجلون دخول وخروج البضائع ينظام دقيق، وبسبب السلطة المركزية القوية اصبحت الدولة تهيمن على المجتمع هيمنة كاملة فكانت المشاريع الفردية الخاصة فيه ماتزال محدودة وعرضة للمخاطر مما ادى الى ان اصبح عدد كبير من السكان تحت سيطرة الدولة (٢٦).

اقتصاد مملكة اور:

وفي عهد سلالة اور اصبحت الصناعة والزراعة مزدهرتين بسبب اهتمام الدولة والمعبد بهما وبتطورهما مما ادى الى انتعاش اقتصاد الدولة ومن ثم قوتها السياسية والعسكرية، وقد كانت الدولة تعتمد على طائفة من الصناعات اليدوية حيث المشاغل والمصانع العائدة الى الدولة والمعابد مثل مصانع طحن الحبوب، وصناعة الصوف والنسيج، وكانت صناعة النسيج صناعة ضخمة، وتلحق بها صناعة الخياطة وصناعة صبغ الانسجة، وصناعة النسيج كانت تسد الحاجة المحلية وتصدر كميات كبيرة من المنسوجات الى الخارج وتدر ارباحاً طائلة للدولة كذلك صناعات اخرى كانت تسد حاجة البلد مثل صناعة الجلود وصناعة الخمور المستخدمة من التمور والكروم، وصناعة بناء السفن، وصناعة المعادن مثل النحاس والبرونز والفضة والذهب ثم صناعة الحصر والبواري من القصب والبردي والحلفاء.

وكانت تربية المواشي، ومصائد الاسماك من مصادر الثروة المهمة التي ازدهرت في زمن سلالة اور الثالثة(٢٧) وقد كانت الدولة هي المحتكرة للتجارة الداخلية والخارجية، كما انها هي المحتكرة للصناعات المحلية، وانها تملك الاراضي الواسعة والثروة الحيوانية الهائلة، وكانت الضرائب والمنتجات تصل الى الدولة وتخزن في مخازنها



الخاصة.

وتذكر النصوص عن الرخاء، وارتفاع مستوى المعيشة في عهد سلالة اور الثالثة حيث كانت التجارة نشطة والاقراض قائم، واسعار المواد منخفضة وقد كان القصر والمعبد يتدخلان لوضع حد لتلاعب الصيارفة والممولين باسعار الفوائدالتي كانت هي الاخرى منخفضة، واتبع شولكي سياسة في تقليص كميات الاراضي التي بيد الكهنة واعطائها الى جماعات من الصناع، وكانت دوائر التفتيش تقوم بجرد البضائع في المخازن الكبيرة ومراقبة تصريفها. ويذكر نص وجود مراقب عمل يكون مسؤولاً عن تسليم المواد الاولية لانجاز العمل، ويقوم ايضاً باحصاء المنتج ووقت اتمام كل مجموعة لعملها، كما يذكر نص اخر وجود مراقب اخر على مجموعة تعمل بالمنسوجات بقرية (نين مارا) تهيء خيط الكتان يعملن كمساعدات للماهرين من النساجين[٢٨].

والتجارة لاتختلف عن الصناعة من حيث الدقة والنظام، فقد كان التجار يعدون حساباتهم كل سنة، ويهتمون بالوثائق الواردة والصادرة كل يوم، وكانوا يحصون بمالديهم من البضائع مثل (اعشاب)،عسل، خمور، عطور، بيرة، فواكه، خضروات، حبوب، خشب، طابوق، قصب،جلود، حليب....



وكان الاقراض موجوداً في نفر، ونقرأ عن اسماء وتجار كانوا يقترضون من مصارف (نفر)، وكان بعض التجار يملكون املاكاً شخصية تاخذ الدولة عنها ضرائب، وكان التعامل بالبضائع يتم بطريقة التسلم والتسليم عن طريق الرسل والرسائل، وكان يشرف على حركة التجارة في البلد موظفون من قبل القصر والمعبد ويتم دفع الضرائب الى الدولة والعشور الى المعبد لذلك تمتع التجار برخاء اجتماعي فقد تخصص قسم منهم في تجارة النقود ومنهم في خزن البضائع واخرون في البيع والشراء، واخرون في نقل المواد وآخرون يعملون في صناعات الدولة التي عليها اشراف رسمي..

اما الجانب العمراني فقد اهتم ملوك العراق القديم في بناء وتجديد المعابد في جميع مدن العراق كذلك اهتموا بمشاريع الري لزيادة الانتاج الزراعي والثروة الحيوانية.

بنى اور- نمو في مدينة اور تحصينات من اللبن بشكل منحدر من الخارج، وبنى استحكامات على الجهة الغربية ومع مجرى نهر الفرات، وفي الجهة الشرقية شق قناة

واســعة تأخذ الماء مــن نهر الفرات، وفي الشمال شق خندقاً مائياً واصبحت مدينة اور محاطة بــخنادق مائية ويمكن الدخول اليها فقط من الجنوب براً، وبنى اور – نمو زقورة اور التي تســمى (اي – تمن – نى – كور) التي شيدها على انقاض زقورة سابقــة كما تمت الاشارة.

وشيد ملوك اور الثالثة المقبــرة الملكية في القسم الجنوبي الشرقي من سوراور الكبير، وهي ثلاث بنايات تشكل قطعة واحدة، احدى هذه البنايات بالطابوق الذي يحمل اسم (ختم شولكي)، والبنايتان الاخريتان مشــيدتيان بطابوق يحــمل اســم (مار– ســين) وهذه البنايات تضم رفات قبور ملوك ســلالة اور الثالثة [٢٩].

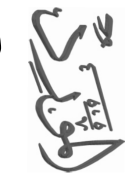
اما معبد (ناننار) اله القمر فانه يحتوي على مختلف المزارات، والغــرف، والمخــازن، وساحات مركزية مفتوحــة، وفي الساحــة الشمالية والجنوبية تقام طقوس الاضاحي، وفي الساحة المركزية مذبحان من الطابوق حيث تقام الاضاحي، ويحرق البخور، وشق مجرى ضيق بين المذبحين، وبنيت منصات لوضع الالهة الاجنبــــية عليها،اما الغرفة الداخلية فهي (قدس الاقــداس) وفيها تمثال الالهة (نينكال) مع مذبــح من الطابــوق، وهناك سلم صغير الى اليســار حــيث يصعد الكاهن على الدكة ليصبــح بمســتوى الاله المتوج وقد شيد اور– نمو زقــورة المعبــد (انانا) في الوركاء وقد بــنيت جوانبــه من اللبن، ووضعت على جدرانه طلعات مستوية، ومن اجل تقوية البناء وضعوا بــين اللبــن طبقات من الحصران وعلى ابــعاد منتظمة، وفي الطبقات العليا استبدلت الحصران بحزم القصب، ووجدت ثقوب تخترق البناء بقنوات افقية، وغطيت زقورة الوركاء هذه بمساحة مربعة طول ضلعها(١٥٦م) ويصل ارتفاعها (١٤م). وشيد (امار – ســين) معبــداً للاله (انكي) في الجنوب الشرقــي من مدينة اور بخلوة واسعة مساوية للغرفة التي امامها في السعة ويؤلفان شكلاً مستطيلاً بمدخل وسط احد الجانبين الطويلين تدعمه ابراج، ويقــع المحراب في الجدار الخلفي لقدس الاقداس، واحاط المعبد بسور مستطيل، على جوانبــه غرف بنيت فيه مع ساحة امامية مســتطيلة ايضاً ويدخل اليها عبر غرفة متقــدمة تقــع على المحــور الرئيســي اما البــيوت التي عثرعليها في الحــي الســكني فكانت على انواع شتى بنيت الى جانب بعضها البــعض منها الكبير ومنها الصغير وبعض البــيوت ذات سقوف مسطحة، بعض منها في طابــق



واحد والغالبية في طابقين، وقليل جداً في ثلاثة طوابق، اما شوارع المدينة فهي عبارة عن ازقة ملتوية وضيقة، وبعضها مسدودة، واستعملوا في بناء واجهات البيوت الطابوق حتى نهاية الطابوق الاول، وكانت غرف البيوت تبنى حول ساحة البيت المركزية، وباب البيت يوصل الى الساحة عن طريق ممر، وفي نهاية الساحة غرفة الضيوف والمطبخ...

واستمر استعمال الاواني الفخارية منذ العهد الاكدي الى سلالة اور الثالثة مع تغيير قليل من ذلك ان الطين صار اكثر نقاوة واحسن حرقاً والادوات الفخارية اكثر صنعاً.

وفي عصر اور الثالثة نجد الفن جديداً فنشاهد ملائكة تجلب المطر من السماء الى الارض، كما نشاهد ملائكة طائرة في اربعة مواضع وهذا يعني ان الملائكة تطير مع الرياح في أربع جهات، ونشاهد منظر السائل النذري الى الاله مع تمثال مرفوعٍ على قاعدة وامامه تمر ونخيل، والسائل النذري يصب على الاضاحي من احدى الجرار المخروطية(٣٠).



وتمتعت المرأة في هذه الفترة بحرية التملك، والتصرف بممتلكاتها، وتملك بعضهن العبيد من الجنسين كذلك الأراضي والماشية، وكان لديهن اختامهن الخاصة بهن مما يدل على ابرامهن العقود باسمهن، والمعاملات الخاصة بالبيع والشراء، ولها حق الشكوى في المحاكم، وكانت الزوجة تقوم بالايفاء عن زوجها المتوفي وتحملها المسؤولية كاملة وتقوم بالوفاء عن التزامات زوجها ان كانت ذا ثروة كبيرة(٣١).

قانون اور ـ نمو

كان اول قانون نشرة الباحثون الغربيون هو قانون اور–نمو بسبب ان الكوتيين المحتلين اساءوا لاحوال العراق، وانتشر في عهدهم انعدام النظام، وسادت الفوضى، وعدم التزامهم بالسلوك القديم لذلك اصدر اور– نمو مواد قانونية تلزم الفرد بتطبيقيها، لقد كانت احوال البلد قبل اور – نمو تتجه الى التدهور فقد كانت الحقول خاضعة لسلطة (النسقوم) والتجارة البحرية خاضعة لسطوة مراقبي الملاحة، ورعاة المواشي خاضعين لسطوة ناهبي الثيران وناهبي الحمير، فاستطاع اور– نمو وبأمر من الاله (ننار) والاله (اوتوم) أن يوطد العدالة، وان يزيل البغضاء والعداوة، ويوفر الحرية الكاملة في العراق القديم وينشر مواد قانونية تضمنت اكثر من(٣١ مادة) واصبحت مدينة اور كما

يقول الشاعر:

"ايتها المدينة التي ازداد طعامها
يادار الرخاء المقدسة على وجه الارض
ايتها المتضرعة انك خضراء كالجبل
هو الذي قدر مصيرك على احسن وجه
ايتها المدينة التي قدر مصيرها انكى" (٣٣)

اما بالنسبة للمواد القانونية التي اصدرها اور – نمو فهي اقدم شريعة معروفة لدى الانسان وقد تضمنت اكثر من ٣١ مادة قانونية وقد جاء في مقدمة الشريعة بان اور نمو قد اهتم بنظام المقاييس والمكاييل والاوزان، واحيل القارئ الى كتاب الشرائع العراقية القديمة للدكتور فوزي السيد(٣٤) للاطلاع على شريعة اور – نمو وخلاصة القول ان فكرة الوحدة الوطنية كانت قد هيمنت على ذهن العراقي القديم منذ عهد الأكديين وقائدهم سرجون مروراً بالحكام السومريين في اور وهم موضوع البحث وانتقالاً الى العموريين وقائدهم حمورابي ثم الاشوريين ووصولاً الى الكلدانيين، فالجميع مع اختلاف الفترات الزمنية وكل في زمانه كانوا متحابين ومتآلفين من اجل بناء عراق موحد مزدهر فالسومري يعمل كما يعمل الاكدي وغيرهما من الطوائف على توحيد العراق بقوة واصرار،وعندمااحتل الكوتيون وغيرهم بلد العراق كانت جذوة المقاومة متقدة في مدن العراق حتى توجت هذه الجذوة وبتحرير كامل تراب العراق...

الهوامش

١. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة في ط -بغداد١٩٧٣ ص ٣٧٣.

٢. طه بافر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة من مصدر سابق ص٣٧٦.

٣. جورج رو – العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين ط بغداد ١٩٨٤ ص ٢٢٤ وانظر: طه باقر ، مقدمة ص٣٧٩.

٤. د. فوزي رشيد، السياسة والدين في العراق القديم ط بغداد ١٩٨٣ ص٣٧.

٥. د. عبد القادر عبد الجبار الشيخلي، العراق في موكب الحضارة الادارة والسياسة ط بغداد ١٩٨٨ ص٣٢٩.

٦. د. فار سليمان، محاضرات في التاريخ القديم ط بغداد، بلا تاريخ ص١٠٩.

٧. د. فوزي، رشيد حضارة العراق ج١ ط بغداد



١٩٨٥ ص ١٨٠.
٨. ليوا وينهايم، بلاد مابين النهرين ترجمة سعدي فيض عبد الرزاق ط بغداد ص٦٥.
+كور=٧ بشلات، والبشل يعادل ثمانية غالونات.
٩. جورج رو- العراق القديم مصدر سابق ص٢٣٢ ،د. فاضل عبد الواحد علي، العراق في التاريخ ص٨١.
١٠ .سامي سعيد الأحمد العراق القديم ط بغداد ١٩٨٣ ص١١٢-١١٥.
١١ .د. سامي سعيد الاحمد، العراق القديم ، مصدر سابق ص١١٥.
١٢. د. عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي، ط بغداد، ١٩٨١ ص٢٩٠.
١٣ .د. عامر سليمان، محاضرات في التاريخ القديم ط بغداد، بلا تاريخ ص١١٠.
١٤ .عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي ص٢٧٠.
+ المندوبون: هم حملة الرسائل من الملك الى بقية المدن وبالعكس.
١٥. د. سامي سعيد الاحمد العراق في التاريخ مصدر سابق ص١١٥.
+ التدنوم: تعني هذه اللفظة باللغة الاكدية العموريين وكان يطلق على القبائل الساكنة غرب الفرات وهي صفة للعموريين.
١٦. ليوا وينها يم: بلاد مابين النهرين مصدر سابق ص١٤٥.
١٧. د. سامي سعيد الاحمد، العراق في التاريخ، مصدر سابق ص ١٢٠-١٢٢.
١٨. ليوا وينهايم، بلاد مابين النهرين مصدر سابق ص٢٤٠
١٩. د. سامي سعيد الاحمد العراق في التاريخ ص١٢٤.
٢٠. د. عامر سليمان، محاضرات في التاريخ القديم مصدر سابق ص١١٠.
٢١. ليوا وينهايم، بلاد مابين النهرين مصدر سابق ص٢٤١-٢٤٣.
٢٢. طه ، باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١ مصدر سابق ص٣٩٣-٣٩٤.
٢٣ .جورج رو : العراق القديم مصدر سابق ص ٢٣٤-٢٣٥
٢٤. ليوا وينهايم، وادي الرافدين ، مصدر سابق ص٦٥.
٢٥. جورج رو، العراق القديم، مصدر سابق ص٢٣٦.
٢٦. جورج رو، العراق القديم، مصدر سابق ص٣٩٨-٣٩٩.
٢٧. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١ ص٣٩٨-٣٩٩.
٢٨. د. وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري ط بغداد١٩٧٢ ص٣٨.
٢٩. د. سامي سعيد الاحمد، العراق القديم مصدر سابق ص١٢٨.
٣٠. د. سامي سعيد الاحمد، العراق مصدر سابق ص١٤٤.
٣١. ثلما ستيان - المرأة ودورها في حضارة وادي الرافدين ط بغداد ١٩٧٨ ص ٣٤-٣٥.
٣٢. د. عامر سليمان محاضرات في التاريخ القديم مصدر سابق ص١١٣.
٣٣. د. عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي، مصدر سابق ص٢٤٤.
٣٤. د. فوزي رشيد الشرائع العراقية القديمة ط بغداد ١٩٧٩ ص٣٣.



ابن عربي الصوفي الفيلسوف في فلسفة النسبية

القسم التاسع

بقلم/ عزيز عارف
باحث / العراق

توطئة:

(١)

كل مافي الكون يخضع لأحكام النسبية، كل شيء فيه نسبي يرتبط بمنسوب اليه. لايوجد مطلق في الكون. الوجود المطلق هو الحق – سبحانه– وحده، من حيث كونه ذاتاً منزهة، غيباً مغيباً في الغيب.

اما من حيث الاسماء الالهية والصفات التي نسبها الحق – سبحانه– اليه ، في كتبه المنزلة على لسان أنبيائه، فهي من الامور النسبية التي تعقل، ولاسبيل لنا سواها في مجال المعرفة الالهية.

(٢)

وترد النسبية في مؤلفات الشيخ محيي الدين بن عربي بصيغ متعددة ولكن بالمعنى نفسه: النسبة،المناسبة، النسب، النسب والاضافات، علم النسب، عالم النسب.

والنسبية- كما يراها الشيخ- نسبة أمرما الى منسوب اليه انها نسبة بين شـيئين: مضاف ومضاف اليه، دليل ومدلول، مسند ومسـند اليه،علة ومعلول،طالب ومطلوب،سـيد ومسود، سلطان ورعية....

(٣)

وأوضح ابـن خلدون، في مقـدمته، معنى النسبية، حـين تحـدث عن الاضافة، اضافة السـلطان الى رعيته، واضافـة الرعية الى السلطان فقال:

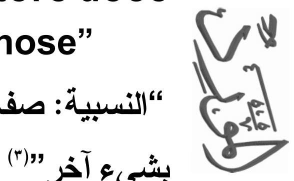
"..فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي نسبة بين منتسبين، فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القـائم في امورهم عليهم. فالسـلطان من له رعية،والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث اضافته اليهم هي التي تسمى الملكة، وهي كونه يملكهم.."[١]

(٤)

ويعّرف(المعجم الفلسفي)[٢]الفرنسي،النسبية على النحو التالي:

"Reletivite:Caractere dece qui depend dautre chose"

"النسبية: صفة هـذا (الشـيء) الذي يتعلق بشيء آخر"[٣]



لابد للصفة اذن ان تتبع الموصوف، فان صفة بلا موصوف لامعنى لها، وموصوف بلا صفة لامعنى له، لابد من نسبة بينماينسب وبـين المنسوب اليه، انها اضافة بـين متضايفين، ارتباط اضافي وليس ارتباط امتداد.

(٥)

ويفرق(المعجم الفلسـفي) الفرنسـي بـين (النظرية العلمية النسبية)

Latheorie Scientifique dele Relativite

وبين (النظرية الفلسفية للنسبية)-

LaTheorie philosoique dele Relativite

اما (النسبية العلمية) فتسعى في البحـث عن الظواهر الكونية وتفسـيرها ولاعلاقـة لها بالمعرفة الانسـانية. وتوصلت هذه النظرية الى ان الزمن نسبي في الحركة وان السرعة تتناسب تناسباً عكسياً مع الزمن، فكلما زادت السرعة قل الزمن، بحـيث أن من ينطلق في الفضاء بسـرعة(٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية) لابد سيكون خارج الزمن.

(٦)

وأما (النسبية الفلسـفية) فتتعلق بـالمعرفة الانسانية وهي قـديمة، تناولها في البحـث

الفيلسوف اليوناني(بروتا غوراس- protagoras في كتابه (الاجيال الخالية- l'awtiquite)

ومن أقواله المشهورة:

"l'homme est la messmre de toutes choses"

" الانسان هو (نفسه) ميزان كل شيء"

ومعنى ذلك- كما يقول المعجم الفرنسي- لا يوجد شيء حقيقي الا اذا كانت له علاقة بنا.

ويذهب هذا الفيلسوف هنا (مذهب الذاتيين) -(smbjectivisme) الذي يرد جميع الاحكام الى الاعتبارات الشخصية ويؤكد أن الجميل والقبيح والحق والباطل والخير والشر هذه الامور كلها تتوقف على وجهة نظر كل شخص، وهذا مايسمى ايضاً بالنسبية [٥].ويرد هذا المعنى - عند الشيخ محيي الدين بن عربي - في نسبية الاخلاق كما سنرى.

(٧)

وتدعو (النسبية الفلسفية) الى احترام الرأي الاخر وتقدير مايدين به الاخرون من عقائد، وفهم مايحيط بهم من احوال وظروف، وتحض على التعايش بسلام بين كل الطوائف والاقوام.

(٨)

وتؤكد النسبية - عند الشيخ بن عربي- أن الاحكام تتغير بتغير الاحوال وتتغير كذلك بتغير الازمان والمواطن ويقرر الشيخ أن الدلالة لاتطرد في نسبة أمر الى شيء من غير أن تعرف حقيقة ذلك الشيء المنسوب اليه.

وأن الحكم على المحكوم عليه بأمرما، من غير أن تعلم ذات المحكوم عليه وحقيقته، جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك" [٦].

(٩)

ويذهب الشيخ في مؤلفاته الى نسبية اللغة والعقائد والعبادات والاخلاق. ويميز بين الذات الالهية المنزهة المطلقة المجردة من النسب والاضافات، وبين الاسماء الالهية التي هي - كما يرى- نسب عدمية لا وجودية ولكن لها احكامها وتأثيرها في العالم.

(١٠)

ويتحدث ابن عربي عن احكام الشرائع فيرى أنها تتبع الاحوال ويتحدث عن (النسب الالهية) وعن (الموازين الالهية) التي هي بعيدة كل البعد عن موازين الخلق .

قال تعالى:



"ونضع الموازين القسط ليوم القيامة"[٧].

وقال:

"والوزن يومئذ الحق"[٨].

ويوظف هذه النسبية في تثبيت دعائم مذهبه في الوحدة الوجودية النسبية – كما سنرى.

وبعبارة بالغة الدقة والعمق، يلخص الشيخ كل فلسفته في النسبية فيقول:

"فان هذا الباب واسع جداً إذ كان العالم – كله – مرتبطاً بعضه ببعض، أسباباً ومسببات، وعللاً ومعلولات" [٩].

في النسب الالهية

المبدأ

* اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الالهية
* اختلفت النسب الالهية لاختلاف الاحوال.
* اختلفت الاحوال لاختلاف الازمان.
*اختلفت الازمان لاختلاف الحركات الفلكية.
*اختلفت الحركات الفلكية لاختلافالتوجهات الالهية.
* اختلفت التوجهات لاختلاف المقاصد.
*اختلفت المقاصد لاختلاف التجليات الالهية.
* ان الله – تعالى – ماتجلى قط في صورة واحدة لشخصين،ولافي صورة واحدة مرتين.



* انما اختلفت التجليات لاختلاف الشرائع.
* ان الاتساع الالهي، يعطي، ان لايتكرر شيء في الوجود .
* العالم – كله – مرتبط بعضه ببعض: أسباباً ومسببات، عللاً ومعلولات:

الشرح

اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الالهية

(١)

ذهب الشيخ ابن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) الى ان (الشرائع) تختلف باختلاف (النسب الالهية).

ويعلل ذلك فيقول:

" لانه لو كانت النسبة الالهية لتحليل أمر ما في الشرع، كالنسبة لتحريم ذلك الامر عينه في الشرع، لما صح تغيير الحكم، وقد ثبت تغيير الحكم" [١٠].

(٢)

ولعل من يتساءل:مامعنى هذا الكلام؟

وجوابنا:

الذي نراه أن الشيخ اراد ان يقول:

ان لحم الخنزير – مثلاً – قد حرم على المسلم المختار، ولكن المضطر اذا اكل لحم الخنزير غير باغ ولاعاد فلا اثم عليه.

فالنسبة الالهية في تحريم لحم الخنزير على الشخص المختار، هي غير النسبة الالهية في تحليل ذلك على المضطر.

نرى هنا نسبتين مختلفتين فتغير لذلك الحكم، ولوكانت النسبة واحدة لما تغير الحكم.

(٣)

ويسترسل الشيخ قائلاً:

"وقوله- تعالى-: -(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)[١٤].

وقد صح ان لكل امة شرعة ومنهاجاً، جاءها بذلك نبيها ورسولها، فنسخ - (سبحانه)- واثبت، فعلمنا بالقطع،أن نسبته - تعالى - فيما شرعه الى محمد (صلى الله عليه وسلم) خلاف نسبته الى نبي آخر، والا، لو كانت النسبة واحدة، من كل وجه، وهي الموجبة للتشريع الخاص- لكان الشرع واحداً، من كل وجه " [١٢].

اختلفت النسب الالهية لاختلاف الاحوال

(١)

يوضح الشيخ ابن عربي هذا المعنى فيأتي بامثلة من النسب الالهية المعبر عنها (بالاسماء الالهية) قائلاً:

" فان قيل: فلم اختلفت النسب الالهية؟ -

قلنا:

لاختلاف الاحوال، فمن حاله المرض، يدعو: يامعافي! وياشافي!، ومن حاله الجوع، يقول: يارزاق! ومن حاله الغرق يقول: يامغيث! فاختلفت النسب لاختلاف الاحوال[١٣]".

(٢)

(الاحوال) اذن هي التي تقرر احكام النسب الالهية واختلاف الاحوال انما يؤدي ولابد الى اختلاف احكام هذه النسب. وعلى سبيل التمثيل نقول:

ان النسبة بين الاسم الالهي (الغفور) وبين (المذنب) هي غير النسبة بين الاسم الالهي (الرزاق) ومن حاله الجوع ويستعين من حاله(الغرق) بالاسم الالهي (المغيث)،(فاختلفت النسب لاختلاف الاحوال) كما يرى ابن عربي.

اختلفت الاحوال لاختلاف الازمان

(١)

ويرى الشيخ ابن عربي ان سبب اختلاف احوال الخلق انما يرجع الى اختلاف الازمان عليها. ويوضح ذلك فيقول:

"فحالها في زمان الربيع، يخالف حالها في زمان الصيف. وحالها في زمان الصيف، يخالف



حالها في زمان الخريف. وحالها في زمان الخريف، يخالف حالها في زمن الشتاء، وحالها في زمان الشتاء يخالف حالها في زمان الربيع..."[١٤].

(٢)

تتغير النسب الالهية اذن بتغير الازمان وعليه فان الاحكام تتغير بتغير الازمان.

انما اختلفت الازمان لاختلاف الحركات

ويخص الشيخ ابن عربي في تعليلاته فيقول:

" وأعني بالحركات، الحركات الفلكية، فانه باختلاف الحركات الفلكية، حدث زمان الليل والنهار،وتعينت السنون والشهور والفصول، وهذه هي المعبّر عنها بالزمان"[١٥].

انما اختلفت الحركات لاختلاف التوجهات

(١)

ويوضح ابن عربي ذلك فيقول:

" اريد بذلك توجه الحق عليها بالايجاد، لقوله تعالى:

– (انما قولنا لشيء اذا اردناه)[١٦] –

اراد لشيخ بتوجه الحق على الحركات بالايجاد، اخراجها من حال(ثبوتها في العدم) الى حال (وجودها في الوجود)



(٢)

ويشرح معنى هذا التوجه فيقول:

" فلو كان التوجه واحداً عليها، لما اختلفت الحركات، وهي مختلفة، فدل على ان التوجه الذي حرك القمر في فلكه، ماهو التوجه الذي حرك الشمس[١٧]، ولاغيرها من الكواكب والافلاك، ولو لم يكن الامر كذلك، لكانت السرعة والابطاء، في الكل على السواء. قال – تعالى –[١٨]:

" كل في فلك يسبحون"

(٣)

وينتهي الشيخ الى تقرير هذا المبدأ:

"فلكل حركة، توجه الهي– اي تعلق – خاص – من كونه تعالى – " مريداً""[١٩]–

انما اختلفت التوجهات لاختلاف المقاصد

يرى ابن عربي ان لكل توجه الهي غرضاً مقصوداً يهدف اليه،ومن هنا اختلفت التوجهات.

ويعلل ذلك بمثل فيقول:

" فلو كان قصد الحركة القمرية – بذلك التوجه – عن قصد الحركة الشمسية بذلك التوجه، لم يتميز اثر عن اثر، والاثار– بلا شك – مختلفة، فالتوجهات مختلفة لاختلاف

المقاصد"[٢٠]

(٢)

ويقرب الشيخ هذا المعنى الى الاذهان فيقول: " فتوجهه (سبحانه) بالرضا عن زيد، غير توجهه بالغضب على عمرو، فانه قصد تعذيب عمرو وقصد تنعيم زيد، فاختلفت المقاصد[٢١]"

انما اختلفت المقاصد لاختلاف التجليات

(١)

ويعلل ابن عربي ذلك فيقول:

" فان التجليات الالهية، لو كانت في صورة واحدة، من جميع الوجوه، لم يصح ان يكون لها سوى قصد واحد، وقد ثبت اختلاف القصد، فلابد ان يكون، لكل قصد خاص، تجلٍ خاص، ماهو عين التجلي الاخر"[٢٢].

(٢)

هذا اولاً ثم -(ان -الاتساع الالهي- يعطي ان لايتكرر شيء في الوجود)[٢٣].

ويستشهد لاثبات هذا الرأي بشيخ من اكابر الصوفية، فيقول:

"يقول الشيخ (ابو طالب المكي) صاحب (قوت القلوب)

-(ان الله -سبحانه - ماتجلى قط في صورة واحدة لشخصين، ولافي صورة واحدة مرتين).

ويخلص الشيخ الى القول:- (ولهذا اختلفت الاثار في العالم) - [٢٤].

انما اختلفت التجليات لاختلاف الشرائع

ويوضح ابن عربي ذلك فيقول:

"فان كل شريعة،طريق موصلة اليه-سبحانه- وهي مختلفة، فلابد ان تختلف التجليات.... فاختلفت التجليات لاختلاف الشرائع"[٢٥].

ثم يدور الدور فيعود الى الاولية (انما اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الالهية) ويقرر الشيخ: "فكل شيء اخذته من هذه المسائل، صلح ان يكون اولاً واخراً ووسطاً، وهكذا كل امر دوري، يقبل كل جزء منه،- بالغرض - الاولية والاخرية ومابينهما"

ويخلص ابن عربي الى تقرير هذا المبدأ:

" ان هذا الباب واسع جداً، اذ كان العالم - كله- مرتبطاً بعضه ببعض: اسباباً ومسببات وعللاً ومعلولات"[٢٦].

الاحوال

المبدأ

* تتغير الاحكام بتغير الاحوال
* للحق سبحانه حكم على الاحوال
* العلم يؤخذ من الحال لا من المقال



* لاتحكم على ظواهر الامور

* نسبة امر ما الى شيء، من غير ان تعرف حقيقة المنسوب اليه، لايعتد به ولا يعول عليه

* العالم الحكيم هو الذي يعامل كل موطن بما يستحقه .

الشرح

احكام الشرائع تتوجه على الأحوال

(١)

قال ابن عربي في كتابه (الفتوحات المكية):

" والشارع انما يعتبر الاحوال، وعليها تتوجه الاحكام، والذوات محال للاحوال تبعاً". ويضرب مثلاً فيقول:

" فزيد المختار ، الميتة عليه حرام، فاذا اتصف زيد المختار، بالاضطرار، فالميتة له حلال، وهو زيد بعينه" وينتهي الى القول:

" وانما اختلفت الاحوال ، فاختلفت الاحكام"[٢٧].

(٢)

وفي موضع اخر من كتابه (الفتوحات المكية) يؤكد الشيخ هذا المبدأ ويتحدث عن (حالة خاصة): يختص الله من يشاء من عبادهِ برحمة منه، فيغفر له عملاً هو في العموم الظاهر معصية، فيكون هذا العمل في حق هذا الشخص في حكم المباح. ومن جهلنا حاله لايحق لنا ان نحكم عليه ولايحق لنا ان نقتفي اثره، لان هذه (حالة خاصة) كما يعبر ابن عربي، وهذه كلماته:

(٣)

" ...فانه قد ثبت في الشرع ان الله تعالى يقول للعبد، لحالة خاصة، - (افعل ماشئت فقد غفرت لك) - فهذا هو المباح، ومن اتى مباحاً لم يؤاخذه الله بـه، وان كان في العموم الظاهر معصية، فما هو عند الشرع، في حق هذا الشخص، معصية"[٢٨].

(٤)

ويستند الشيخ الى ماجاء في الاحاديث النبوية في هذا المعنى ومما قاله:

" وفي الحديث الثابت ان عبداً اذنب ذنباً فيقول :

(رب! اغفرلي، فيقول الله، اذنب عبدي ذنباً فعلم ان له رباً يغفر الذنب، وياخذ بالذنب، ثم عاد فاذنب، الى ان قال في الرابعة او في الثالثة:

- (افعل ماشئت فقد غفرت لك")

(٥)



ويعلق الشيخ قائلاً:

"فاباح له (اباح سبحـــانه لهذا العبـــد) جميع ماكان قد حجره عليه ، حتى لايفعل الا ما ابيح له فعله، فلا يجري عليه عند الله لســـان ذنب وان كنا لجهلنا بمن هذه صفته، وهذا حــكمه عند الله، ان نعرفه، فلا يقدح ذلك في منزلته عند الله".

ويخلص الشيخ الى القول:

"فمن هذه حالته، مافعل الا ما ابيح له فعله او تركه ، فان الحكم يترتب على الاحوال" [٢٩].

(٦)

وينتقل الشيخ الى الحديث عن (احـــوال اهل الكشف من اهل الله) فيقول :

"فحال اهل الكشف، على اختلاف احـــوالهم، ماهو حال من ستر عنه حـــاله، فمن ســـوى بينهما، فقد تعدى فيما حكم به" ويضرب مثلاً فيقول:

" الا ترى المضطر، ماحـــرمت الميتة عليه قط، متى وجد الاضطرار، وغير المضطر، ما احلت له الميتة قط"

ويقرر الشيخ:

"هذا ظاهر الشرع، فاحــكام الشـــرائع على الاحوال، ونحن فيما جهلنا حاله، ان نحســـن الظن به، ماوجدنا لذلك سبيلاً"[٣٠].

(٧)

وقـــد يرى بـــعضهم ان هذا الكلام مشـــــوب بالغموض، سأوضحه فأقول:

أولاً: اراد الشيخ ان يقـــول: ان الله تعالى انما يغفر ذنوب هذا العبد، ليبقي ســـجله خالياً من اي ذنب، فلا يحري عليه – عند الله – لســـان ذنب ومن كانت هذه حاله، فما فعل الا ما ابيح له، على وجه الخصوص.

ثانياً: ثم ان من الواصلين من اهـــل الله، مـــن كشف له حاله، فلم يعد بتقيد الا بما كشـــف له من حال، وهذا الامر قد يثير سوء الظن به من قبـــل العامة، لانه عندهم قـــد خالف احـــكام الشرع.

ويرى ابن عربي اننا نجهل حال هذا الشخص، ونجهل ما كشف له، وعليه فلا ينبـــغي لنا ان نسيء الظن به، بـــل علينا ان نحســـن الظن، لماذا؟

لان احكام الشرع انما تقـــوم على الاحـــوال، وحال هذا الشخص مغايرة لاحوالنا، فلا ينبغي لنا (ونحن نحسن الظن بـــهذا الشـــخص) ان نقتفي اثره ونسوي بيننا وبينه ابداً، لان حالته خاصة بـــه مثله مثل المضطر الذي لم تحـــرم



الميتة عليه اما غير المضطر فما احلت له الميتة، لكل منهما حالته التي تخصه.
لايحق لنا اذن ان نعتبر هذا الشخص مثلنا، فنطبق عليه الاصول التي نلتزمها ونحافظ عليها، فاذا حاسبناه هذه المحاسبة فقد تعدينا فيما حكمنا به عليه، كما يرى ابن عربي.

تتغير الاحكام بتغير الاحوال

(١)

قال الشيخ (محيي الدين بن عربي) في (كتابه الفتوحات المكية)
" العالم الحكيم هو الذي يعامل كل موطن بما يستحقه"[٣١] وهذا هو مفهوم النسبية. كل شيء ينبغي ان يتناسب ويتلائم مع الحال الذي هو عليه، في الوقت والمحل الذي هو عليه.

(٢)

والاحوال اذا تغيرت فلابد ان تتغير احكامها. وبقاء الاحكام وثباتها مع تغير الاحوال، امر لامعنى له ولا يستقيم مع منطق الحياة، وقد يؤدي ذلك الى خسران وضرر.



(٣)

وتعبر عن هذا المعنى حكاية طريفة تروى عن شيخ من اصحاب (الطبري) هو (ابو عبد الله الجوهري المحتسب) ويعرف (بابن المخرم). وتقول الحكاية:
تزوج هذا الشيخ، فلما ادخلت عليه امراته ليلة زفافها، لم يلتفت اليها ولم يعبأ بها، بل ظل جالساً في مكانه، بين كتبه ودفاتره، يكتب الحديث. وضاقت ام العروس ذرعاً بالشيخ وتملكها الغضب، فجاءت وتقدمت نحوه فاخذت الدواة من امامه والقت بها بعيداً، وقالت وهي مغضبة:
"هذه اضر على ابنتي من مائة ضرة !!"[٣٢].

(٤)

وفي معنى الالتزام بتغير الاحكام عند تغير الاحوال، حكاية تروى عن الشيخ الجليل (الاوزاعي) أنه قال لصاحب له:
ياأبا سعيد! كنا نمزح ونضحك، فأما اذا صرنا يقتدى بنا، ما أرى يسعني التبسم![٣٣]".

(٥)

يشير الشيخ الاوزاعي أنه كان حراً في تعايشه مع الناس عامة قبل انتشار شهرته وذيوع صيته، اما وقد اصبح جليس الخليفة المنصور،مقرباً عنده، يعظه فيشتد عليه في الموعظة،أما وقد اشتهر بين العامة والخاصة وأصبح نصب أعين أتباعه

ومنافسيه، فلا بد له ان يحرص على مراقبة حركاته،وسكناته ويلتزم الحال الذي هو عليه، ويتقيد كل التقيد بالمناسبات، الى الحد الذي يصبر فيه نفسه عن التبسم، اذا اقتضت المناسبة ذلك، وهذا هو مفهوم النسبية.

لاتحكم على ظواهر الامور

(١)

في (رسالة لا يعول عليه) قال الشيخ ابن عربي:

"احتقار العوام في جناب الخواص، بتعيين فلان وفلان كتفضيل الحسن البصري على الحسن بن هانيء (ابو نؤاس) لايعول عليه(٣٤)"

ما معنى هذا الكلام؟

الذي نراه ان الشيخ اراد ان يقول ان لكل حقيقة ظاهراً وباطناً والغالب على الانسان انه يقطع بالحكم على الناس وينسب اليهم من النسب حسبما يتبين له من ظاهر احوالهم، ويغفل كل الغفلة عن حقيقة بواطن هذه الاحوال، ومن هنا كانت احكام الانسان على احوال اخيه الانسان من الامور النسبية الذاتية. وياتي الشيخ بمثل:

فالناس يعظمون (الحسن البصري) وهو الامام التقي الورع الطاهر ويفضلونه بالطبع على هذا الخليع الماجن (ابو نؤاس) كما هو ظاهر لهم، ولكن الحقيقة مغيبة عنهم، لايعلمها الا علام الغيوب.

لااحد من البشر يعلم منزلة احد ومكانته – عند الله تعالى – وعليه فلا يحق لاحد ان ينزه احداً، ولايحق لاحد ان يحط من قدر احد، – (واليه يرجع الامر كله) –(٣٥)"

(٢)

وفي معنى الحكم على ظواهر الامور والشك في صحة مثل هذا الحكم، نقرأ في كتاب (حلية الاولياء)–(لابي نعيم الاصبهاني) حكاية تقول:

قال عمر (الشعبي)

"شهدت شريحاً (القاضي) وجاءته امرأة تخاصم رجلاً، فارسلت عينيها فبكت، فقلت:

– يا ابا امية! ماظنها الا مظلومة! فقال:

– ياشعبي ! ان اخوة يوسف جاءوا اباهم عشاءً يبكون"(٣٦).

لاحظ كيف قطع (الشعبي) بالحكم بان هذه المرأة مظلومة مستدلاً بظاهر حالها وهي تبكي، وفاته ان من البكاء ماهو رياء ونفاق كما جاء اخوة يوسف اباهم عشاءً يبكون بعد



ان تامروا على يوسف والقوه في غيابة الجب

(٣)

وفي نسبية البكاء ، قال (بندار بن الحسين)[٣٧]:

"البكاء شتى: بكاء فرح، لوجود حال عدمها فيما قبل، وبكاء اسف، لفقد حال كان مقروناً بها قال الله تعالى في بكاء الفرح:

– (واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق)[٣٨]– وقال الله تعالى في بكاء الاسف:

" تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً"[٣٩].

(٤)

وفي هذا المعنى قال (يزيد بن ميسرة):

"البكاء من سبعة اشياء: من الفرح والحزن والفزع والوجع والرياء والشكر. وبكاء من خشية الله، فذلك الذي تطفيء الدمعة منه امثال الجبال من النار"[٤٠].

(٥)

ثمة حكاية تتردد على السنة الصوفية وترد في كتبهم ترجح الرجاء على الخوف وتؤكد ان الادب مع الله يقتضي حسن الظن به والاطمئنان الى رحمته والثقة كل الثقة



بمغفرته – سبحانه – وهو القائل :

" قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً، انه هو الغفور الرحيم"[٤١].

تقول الحكاية:

"رؤي (سفيان الثوري) – رحمه الله – في المنام. فقيل له : مافعل الله لك؟ قال:

أوقفني بين يديه وقال:

– ياسفيان! أما علمت اني غفور رحيم؟ بكيت ذلك البكاء كله من خوفي، أما استحييت مني؟"[٤٢].

قراءة الاحوال:

في كتابه (الفتح الرباني) قال الشيخ (عبد القادر الجيلاني):

"العلم يؤخذ من الحال لا من المقال "[٤٣] وفي هذا المعنى قال الشيخ (احمد الرفاعي):

"من لم ينتفع باعمالي، لم ينتفع باقوالي"[٤٤]

وهذا الكلام توضحه الحكاية التالية.

حكاية صوفية:

(١)

في كتابه الاسفار) يروي (ابن عربي) عن الشيخ (ابي العباس الخشاب) حكاية تقول:

ان رجلاً دخل عليه وبيده كتاب من كتب

الطريق، فقرأ عليه ماشاء الله ، وأبو العباس ساكت. فقال الرجل:

– ياسيدي، لم لاتتكلم لي عليه؟ فقال له ابو العباس:

– اقرأني!

(٢)

ويسترسل ابن عربي في سرد هذه الحكاية فيقول: فعظم على الرجل هذا الكلام، فدخل على شيخنا (أبي مدين) وقال له:

– ياسيدنا! كنت عند ابي العباس الخشاب، وقرأت عليه كتاباً في الرقائق ليتكلم لي عليه، فقال لي: اقرأني!

(٣)

ويصدّق أبو مدين كلام الخشاب فيقول للرجل:

– صدق أبو العباس! ثم يسأله:

– على ماذا كان يحوي ذلك الكتاب؟ فيقول الرجل:

– على الزهد والورع والتوكل والتفويض ومايقتضيه الطريق الى الله.

(٤)

ويعاود أبو مدين سؤال هذا الرجل:

– هل كان في كتابك شيء مما ليس هو بحال من احوال أبي العباس الخشاب؟، ويقول الرجل : لا !

(٥)

هنالك يقول ابو مدين لهذا الرجل زاجراً:

– اذا كانت احوال الخشاب جميع مايحوي عليه ذلك الكتاب ولم تتعظ باحوال الشيخ ولاتخلقت بشيء من ذلك، فما فائدة قراءتك عليه وسؤالك ان يتكلم لك، وقد وعظك بحاله وأفصح لك في ذلك ونصح؟"

وتنتهي الحكاية الى القول:

"فخجل الرجل وانصرف"[٤٥]

تقلب الاحوال

(١)

كل شيء في الكون يتقلب مع الانفاس، من حال الى حال و"كل ماسوى الحق فهو في مقام الاستحالة، فلاشيء سوى ذات الحق على حالة واحدة"[٤٦] كما يقول (الشيخ البرزنجي).

(٢)

وذهب (ابن عربي) في كتابه (الفتوحات المكية) الى ان الحق – سبحانه – يتقلب في الاحوال ولا تتقلب الاحوال عليه، بل له الحكم عليها –(كل يوم هو في شان)[٤٧] ويعلل ذلك



فيقول:

" فانها لو تقلبت عليه،لاوجبت له احكاماً"[48]

ومن المحال الوجوب عليه - سبحـــانه - الا مأأوجب هو على نفسه، حسبما هو في علمه ومشيئته. ويوضح الشيخ معنى (تقليب الحق في الاحوال) فيقول:

" فأما تقـليب الحـــق في الاحــوال فمعلوم بالنزول والاستواء والمعية والضحك والفرح والرضى والغضب..."[49].

(٣)

وفي تقلب الاحوال على العالم يقول الشيخ:

"وعين العالم ليس كذلك،تتقلب عليه الاحوال فتظهر فيها احكامها [تظهر احكام الاحــوال في عين العالم] وتقليبــها عليها [تقـــليب الاحوال على عين العالم] بيد الله تعالى"[50].

(٤)

ثم يتحدث عن (المشاركة في الاحوال) بـــين الحق - اسماً الهياً - وبين الخلق فيقول:

" فوقعت المشاركة في الاحوال، كما وقـــعت في الاســـماء [الالهية] ،لان الاســماء هي (اسماء الاحوال) ومســـماها(العين)، كمانه لها [للاحـــوال] بنسبـــة غير هذه النسبـــة ومسماها(الحق)-"[51].

(٥)

ويوضح الشيخ معنى (المشاركة في الاحوال) بين الانسان وبين الحق- اسماً الهياً- فيقول:

"فهو السميع، البصير، العالم، القدير. وانت السميع البصير العالم القدير"

ويستدرك قائلاً:

" فحال السمع والبصر والعلم والقـــدرة، لنا وله بنسبتين مختلفتين، فانه هو هو، ونحـــن نحن، فلنا آلات ونحـــن له آلات"[52] فما معنى هذا الكلام؟

الذي نراه ان الشـــيخ اراد ان يقـــول ان المشاركة في الاحوال بيننا وبـــين الحــق - سبحـــانه. انما هي مشـــاركة لفظية حـــكمية اعتبارية، وليست مشاركة في المعنى.

ويؤكد ابن عربي ان هذه المشـــاركة انما هي "بنسبـــتين مختلفتين"- كما هو في تعبـــيره نسبة حالة اعتبارية حكمية، تنسب الى الحق، ونسبة حالة معلومة مشـــهودة تنســـب الينا، فانه - سبحانه- هو هو، له احواله المغيبـــة عنا، ونحن نحـــن، لنا احـــوالنا المشـــهودة المعلومة، وهذا هو الفرق بيننا وبين الحق.

(٧)

اما قول الشيخ - (فلنا آلات ونحـــن له آلات)

فمعناه – كماترى – ان لنا من الاعضاء ماتدل على احوالنا وصفاتنا، اما الحق – سبحانه – فهو (الباطن)،(الظاهر) فينا.قال تعالى يخاطب رسوله الامين(صلى الله عليه وسلم):-(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) [٥٣].

ويخلص الشيخ الى تقدير هذا المبدأ:

" كل حال وصف الحق به نفسه فهو- سبحانه- يتقلب فيها بالحكم [الحكم الاعتباري النسبي] وهذا هو الفرق بيننا وبين الحق، وهو اوضح الفروق واجلاها"[٥٤].

التعسف في الحكم على الاخرين

(١)

في كتابه (اللمع) ذكر (ابو نصر السراج – ت ٣٧٨) كلاماً جرى بينه وبين (ابن سالم) في مجلسه في البصرة، في الحكايات التي حكاها عن (ابي يزيد البسطامي).

كان ابن سالم يكفر (ابا يزيد) لقوله:

سبحاني! سبحاني !، و(سبحان)اسم من اسماء الله تعالى الذي لايجوز ان يسمى به غير الله تعالى.

(٢)

وقد رد عليه السراج، ومما قاله:

"لو سمعنا دائباً، أبا يزيد – رحمه الله – او غيره وهو يقول: سبحاني سبحاني! لم نشك بانه يسبح الله تعالى، ويصفه بما وصف به نفسه.

واذا كان الامر هكذا، وعلى ماقلناه، فتكفيرك لرجل مشهور بالزهد والعبادة والعلم والمعرفة من اعظم المحالات"[٥٥].

(٣)

ويسترسل (السراج) في الدفاع عن (ابي يزيد) فيقول:

"وكيف يجوز ان نعتقد فيه الكفر، بحكاية تحكى عنه ولم نعرف ارادته فيما قال، ولم نطلع على حاله في الوقت الذي قال؟!

وهل يجوز لنا ان نحكم عليه، فيما بلغنا عنه، الابعد ان يكون لنا حال مثل حاله، ووقت مثل وقته، ووجد مثل وجده؟ أو ليس قد قال الله تعالى:[٥٦]

– (ياايها الذين امنوا: اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم) [٥٧].

(٤)

وذهب الشيخ ابن عربي هذا المذهب فأكد ان نسبة امر ما الى شيء من غير ان تعرف



حقيقة المنسوب اليه، امر لايعتد به ولا يعول عليه، قال في كتابه (الفتوحات المكية):

"ان الحكم على المحكوم عليه بامر ما، من غير ان يعلم ذات المحكوم عليه وحقيقـته، جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك"

وخلص الشيخ الى تقرير هذا المبدأ:

"فلا تطرد الدلالة في نسبة امر ما الى شيء من غير ان تعرف حقيقة ذلك المنسوب اليه" [٥٨].

نسبية الزمان

المبدأ

* الزمان امر نسبي لاحقيقة له في عينه.
* الوقت امر عدمي لاوجود له.
* الوقت: عبارة عن حالك في زمن الحال.
* الحكم – عند المحققين – للوقت لا لغيره.
* الازل نعت سلبي لاعين له.
* تطلق العرب لفظة (الزمان) تريد بـه الليل والنهار (اي اليوم).
*(الزمان المقدر)هو (اليوم)المعقول المقدر المعبر عنه (بـالزمان الموجود)وبـه تظهر الاسابيع والشهور والسنون والدهور.
* تتغير الاحكام بتغير الازمان.

الشرح

الوقت

(١)

في كتابـه (اصطلاح الصوفية) يعرف ابـن عربي (الوقت) قائلا:

الوقت: فعبارة عن حـالك في زمن الحـال، لاتعلق له بالماضي ولا بالمستقبل"[٥٩].

وفي كتابه (الفتوحات المكية) يشـير الى ان الوقت من الامور النسبية العدمية فيقول:

"ان الوقت امر عدمي لا وجود له"[٦٠].

وفي (رسالة الشيخ الى الامام الرازي) يشير بالوقت الى علماء زمانه فيقول:

"وكنت اريد ان اذكر الخلوة وشـروطها... لكن منعني من ذلك (الوقت)– واعني بالوقت علماء السوء..."[٦١].

(٢)

ويرى ابن عربي ان (الحكم) للوقت فيقول:

– (الحكم عند المحققين للوقت لالغيره)[٦٢]–

ويقول:

–(العارف بحسـب مـا يفتح عليـه في وقته)[٦٣]–

(٣)

والوقت عند العارفين هو الحضور الدائم مع الله، لايغفلون عنه طرفة عين. قـال (الجنيد

البغدادي – ت/٢٩٧هـ)

"الوقت اذا فات لايستدرك، وليس شيء اعز من الوقت"[٦٤] وقال:

"الغفلة عن الله تعالى اشـــــد من دخول النار"[٦٥].

واكد ذلك واوضحه بقوله:

"لو اقبل صادق على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة كان مافاته، اكثر مما ناله"[٦٦].

وفي هذا المعنى، قال (ابو بـكر الشبـلي – ت/٣٣٤هـ):

"سهو طرفة عين عن الله – لاهل المعرفة – شرك بالله"[٦٧].

(٤)

ويتضاعف الزمن عند الانســـان المعذب الخائف المرعوب، ويمتد ويطول فتبـدو له الدقائق كأنها الدهر.

ويتناسب الزمن مع السرعة تناسباً عكسـياً، فكلما زادت السرعة قلت المســافة الزمانية، وهذه من المســائل التي تناولتها(النظرية النسبـية العلمية) وهي خارجة عن موضوع هذا البحث.

الزمان نسب واضافات

(١)

ذهب الشيخ ابـن عربـي الى ان الزمان امر نسبـي لا حقيقـة له في عينه وانه نسـب واضافات، وفصل ذلك في كتابه (الفتوحـات المكية) فقال:

" ان الليل والنهار واليوم والشهر والسنة هي هذه المعبـر عنها (بالاوقـات)، وتدق الى مسـمى الســاعات ودونها. وان ذلك كله لا وجود له في عينه ، وانه (نسب واضافات) ، وان(الموجود) انما هو عين الفلك والكواكب لاعين الوقت والزمان ، وانها مقدرات فيها – اعني الاوقات –"[٦٨].

(٢)

واكد الشيخ ان الزمان نسبة عدمية متوهمة و (الوقت) فرض متوهم فيه فقال:

"ان الزمان عبـارة عن الامر المتوهم الذي فرضت فيه هذه الاوقـات، (فالوقـت) فرض متوهم في عين موجودة وهو الفلك، والكوكب يقطع حركة ذلك الفلك.

والكوكب – بـالفرض المفروض فيه في امر متوهم لا وجود له يسمى (الزمان) –"[٦٩].

(٣)

وعن (الزمان المقدر) المصطلح عليه، قـال الشيخ:



ان لفظة (الزمان) اختلف الناس في معقولها ومدلولها..، العرب تطلقــه تريد بــه (الليل والنهار)، والليل والنهار فصلا اليوم: فمــن طلوع الشمس الى غروبها يســمى (نهاراً) ومن غروب الشــمس الى طلوعها يســمى (ليلاً) وهذه العين المفصلة تسمى(يوماً)"[٧٠] .

وينتهي الشــيخ الى تحــديد معنى (الزمان المقدر) فيقول:

"فاليوم المعقــول المقــدر هو المعبــر عنه (بــالزمان الموجود) وبـــه تظهر الجمعات [الاسابــيع] والشـــهور والســـنون والدهور.."[٧١].

الازل

(١)

يفتتح الشيخ ابن عربي كتابه (الازل) بــهذه العبارة:

" الحمد لله الدائم، الذي لم يزل عاطف الابــد المعقول على الازل الذي انطق السنة عبــاده بالازلية فتنة، فثبت فيها من ثبت، وزل بــها من زل"[٧٢].

(٢)

ويقول:

" الازل [نعت] مشـــــتق من زل، اذا زلق، ومعناه لايثبت وتزل فيه اقدام الناظرين الا من رحم ربك، فلكثرة ما تزل الاقدام فيه يســمى ازلاً"[٧٣].

(٣)

ويقول:

"واكثر اللافظين بها [لفظة الازل] لايعرفون معناها، ولو سئلوا وحقق معهم البحث فيها، زالت من ايديهم"[٧٤].

(٤)

وقد يتساءل بعضهم: مامعنى هذا الكلام؟ لماذا يرى الشيخ ان (الازل) على السنة العباد فتنة؟ ولماذا تزل فيه اقــــدام الناظرين؟ وجوابنا:

(٥)

ان الشــيخ قــد فصل ذلك في كتابــه (الازل) بعبارات بالغة الدقة والعمق، قد تبدو لبعضهم شديدة الغموض والتعقيد، ساحاول تقريبــها الى الاذهان بعبارات بادية الوضوح.

اولا ـ الازل نعت سلبي لاوجود له:

قال الشيخ في كتابه(الفتوحات المكية):

"فاعلم بان نسبة الازل الى الله [تعالى] نسبة الزمان الينا ونسبة الازل نعت سلبــي لاعين

له، فلا يكون عن هذه الحقيقة وجود"[٧٥].

وقال في كتابه (الازل):

"وكذلك (الازل)،انما نعت به،من اجل الزمان في حقنا وتوهمنا الامتداد"[٧٦].

وقد يسال بعضهم: ما معنى هذا الكلام؟

وجوابنا:الذي نراه ان الشيخ اراد ان يقول ان نسبة (الازل) الى الله سبحانه، نسبة متوهمة لا وجود لها، مثلها مثل نسبة (الزمان) الينا، فهي نسبة متوهمة لا وجود لها.

ذلك لان الزمان (مطلق) لايخضع لاحكام النسب والاضافات. وكذلك (الازل) نعت سلبي.

ثانياً ـ ما معنى : نعت سلبي؟

يفرق الشيخ هنا بين (النعت) و(الصفة) فيقول "واما النعوت) والفرق بينها وبين (الاسماء والاوصاف) فانها الفاظ لاتدل على معنى قائم بذات المنعوت، ولاهي باسماء فانها تكون للمنعوت بها، وهو مسمى باسم يعرف به، وانما (النعوت) الفاظ تدل على الذات من حيث الاضافة، وهكذا نسميها (اسماء الاضافة) كالأول، فان نفي الاولية عن واجب لابد من ذلك" [٧٧].

وقد يسال بعضهم: مامعنى هذا الكلام؟

وجوابنا:

الذي نراه ان الشيخ اراد ان يقول:

ان (الصفة) تتبع الموصوف، فلا موصوف بلا صفة، انها قائمة به ، ثابتة فيه، وليست زائدة عنه.

اما (النعت) فليس كذلك، انه صفة زائدة عن الموصوف، تدل على المنعوت بها من حيث الاضافة. ومن هنا فان (الازل) نعت وليس بصفة، وهو من اسماء الاضافة، والاضافة نسبة عدمية لاوجودية فالازل اذن نعت سلبي لا وجودي.

ثالثاً ـ مامعنى الاسم الالهي (الاول)؟

ذهب ابن عربي الى ان الاسم الالهي (الاول) من اسماء الاضافة.انه(نعت) يطلق على الحق من حيث الاضافة ذلك لانه ليس في الوجود – كما يرى الشيخ – سوى الحق والخلق. ولايمكن ان يطلق على الخلق نعت (الاول)، لانه مخلوق مسبوق بالخلق. ومن هنا ينصرف الذهن الى توهم الاولية فتضاف الى الحق تمييزاً له عن الخلق.

ويؤكد الشيخ نفي الاولية عن الحق سبحانه فيقول:

" ان نفي الاولية عنه واجب، لابد من



ذلك"[٧٨].

وقد يسال بعضهم:

لماذا نفي الاولية عن الحق واجب؟ ويجيب ابن عربي:

ذلك لان((الباري وجود مطلق،لا اول له ولااخر هو (الهو) – على الحقيقة–))[٧٩].

و(الاول والاخر)من الاسماء النسبية، والحق سبحانه وجود مطلق مجرد من النسب والاضافات ومن هنا نفي الاولية والاخرية عنه، كما يذهب ابن عربي.

رابعاً ـ ما معنى : الازل من اسماء الاضافة؟

الذي نراه ان الشيخ اراد ان يقول ان (الزمان المقدر) وهو زمان متناه معقول مفهوم، يضاف الينا، اما الزمان المغيب اللامتناهي، فيضاف الى الحق، فينعت بالازل. وهذه الاضافة – في الحقيقة – انما هي من الامور النسبية العدمية اللاوجودية. ذلك لان الزمان –في حقيقته – مطلق لايخضع لاحكام النسب والاضافات، وكذلك (الازل) وانما جاءت هذه الاضافة على السنة الناس لغرض التقريب



ويرى الشيخ ان نسبة (الازل) الى الحق، من الزلل لماذا؟ لان الحق سبحانه "وجود مطلق، لا اول له ولا اخر. هو (الهو) – على الحقيقة– "[٨٠] و(الهو): هو الغائب المغيب في الغيب.

خامساً ـ ماذا ينبغي اذن ان يقال؟

يجيب ابن عربي قائلاً؟

(١)

"والذي ينبغي ان يقال: ان الباري موجود بنفسه غير مستفاد الوجود من احد، فانه ليس الا هو سبحانه، والعالم موجود به، مستفاد الوجود منه "[٨١].

(٢)

ويؤكد الشيخ ان لا مسافة زمانية ولا مكانية بين الحق والخلق فيقول:

"فليس بين وجود الحق والخلق امتداد، كما يتوهم، ولا انه بقي[+] كذا وكذا ثم اوجد، فان هذه كلها توهمات خيالية فاسدة تردها العقول السليمة من هذا التخبيط "[٨٢].

(٣)

ويوضح ذلك فيقول:

"فلا بينية عند الحق، ولا عند الخلق، في الايجاد، انما هو ارتباط محدث بقديم، او ممكن بواجب، او واجب الوجود بغير، او واجب الوجود بذاته، ليس الا"[٨٣]انه (ارتباط اضافي) اذن بين الحق والخلق، وليس ارتباط

امتداد، كما يتوهم.

تتغير الاحكام بتغير الازمان

(١)

في كتابه (الفتوحات المكية) يقول الشيخ محيي الدين بن عربي:

... فما ثم زمان يكون فيه حكم الزمان الذي مضى، فما مضى من الزمان، مضى لحاله، ومانحن فيه فنحن تحت سلطانه، ومالم يات، فلا حكم له فينا....."[٨٤].

(٢)

وفي هذا المعنى قال (ابو تراب النخشبي – ت/ ٢٤٥هـ) ان الله – عز وجل – ينطق العلماء في كل زمان بما يشاكل اعمال اهل ذلك الزمان"[٨٥] اراد الشيخ (ابو تراب) ان يقول ان الازمان تتغير فتتغير تبعاً احكامها. ويحتم الواجب على علماء كل زمان ان يوجهوا الناس حسب متطلبات زمانهم، ضمن حدود احكام الشريعة.

وهذا الراي يقابله راي اخر، يحث على الاتباع والتقليد ضمن حدود احكام الشريعة ايضاً، رغم تغير الازمان –حرصاً على ثبات العقيدة، ورسوخ اركان الدين ووحدة الامة فيقول:

"قف حيث وقف القوم، وقل ماقالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فانه يسعك ما وسعهم...."[٨٦].

(٣)

حكاية

وفي تغير الاحكام تتغير الازمان، نقرا حكاية جاءت في كتاب (حلية الاولياء) لابي نعيم الاصبهاني.

تقول الحكاية:

"اهدي الى (الخليفة) عمر بن عبد العزيز تفاح وفاكهة، فردها... فقيل له: ألم يكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقبل الهدية؟ قال: بلى ! ولكنها لنا ولمن بعدنا، رشوة!"[٨٧].

حكاية ثانية

وفي هذا المعنى حكاية رواها (ابن كثير) في كتابه (البداية والنهاية) على لسان الشيخ (يحيى بن معين)، وتقول الحكاية:

"قال يحيى بن معين:– كنت عند ابي يوسف (صاحب الامام ابي حنيفة) فجاءته هدية من ثياب ويبقي وطيب وفانيل ند وغير ذلك، فذاكرني رجل(من الجالسين)في اسناد حديث" من اهديت له هدية وعنده قوم جلوس



فهم شركاؤه" فقال ابو يوسف: (انما ذاك في الاقط والتمر والزبيب، ولم تكن الهدايا في ذلك الوقت ماترون، ياغلام! ارفع هذا الى الخزائن) ولم يعطهم شيئاً"[٨٨].

حكاية ثالثة

(١)

في كتاب (ادب الدنيا والدين) للماوردي – نقرأ الحكاية التالية:

"…. حكي عن بنت (عبد الله بن مطيع) انها قالت لزوجها(طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري) وكان اجود قريش في زمانه:

– (ماريت قوماً الام من اخوانك" قال:

– مه، ولم ذلك؟ قالت:

– اراهم اذا ايسرت لزموك، واذا عسرت تركوك. قال:

– هذا والله من كرمهم، ياتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم."[٨٩]

(٢)

ويعلق (الماوردي) على ذلك فيقول:

"فانظر كيف تأول بكرمه هذا التاويل، حتى جعل قبيح فعلهم حسناً، وظاهر غدرهم وفاءً، وهذا محض الكرم ولباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل ان يتأولوا الهفوات من اخوانهم"[٩٠]

(٣)

ونلاحظ هنا ان(الماوردي)– على جلالة قدره– قد غفل عن المفهوم النسبي القائل: تتغير الأحكام بتغير الازمان والاحوال،فهو ينكر على هؤلاء القوم عدم قدومهم على هذا الرجل الكريم في حال عسرة ويتهمهم بالغدر. الماوردي،كماترى– قد تعسف في حكمه، لانه حكم حسب ماتراءى له من هواجس الظنون، ولم يلتفت الى حسن مقاصد هؤلاء القوم، فلعلهم،وهم يعلمون عسرهذا الرجل الجواد، قدد تجنبوا القدوم عليه طلباً للمعونة، حفاظا منهم على كرامته ودفعاً منهم لاحراجه والتضييق عليه، هذا اولا، وثانياً، لانهم في حاجة ملحة للعيش، فلا بد لهم اذن ان يولوا وجوههم شطر من يستطيع من الكرماء معونتهم، وهذا هو قانون الحياة. وقد قيل:

يسقط الطير حيث يلتقط الحب + وتغشى منازل الكرماء.



الهوامش والمصادر

١- مقدمة ابن خلدون - المكتبة التجارية الكبرى بمصر - ص٢٨٨-.

2-Dictionnaire dela philosophie- Didier Julia- libraire larousse- paris- 1964

3- iBid - p.262-.

4- iBid.

5- iBid. 290-.

٦- ابن عربي- الفتوحات المكية - ج٣ ص ٤٦٨ .

٧- سورة الانبياء/ ٤٧ .

٨- سورة الاعراف / ٨.

٩- ابن عربي - الفتوحات المكية - السفر الرابع - تحقيق د. عثمان يحيى - ص١٩٣.

١٠- المصدر نفسه - ص١٨٦.

١١- سورة المائدة / ٤٨.

١٢- ابن عربي - الفتوحات المكية - السفر الرابع تحقيق د. عثمان يحيى - ص١٨٦ .

١٣- المصدر نفسه.

١٤- المصدر نفسه - ص١٨٧.

١٥- المصدر نفسه - ص١٨٨.

١٦- سورة النحل / ٤٠ .

١٧- لعل ابن عربي يقصد بحركة الشمس، حركة حرارتها ونورها.

١٨- سورة الانبياء / ٣٣.

١٩- ابن عربي - السفر الرابع - تحقيق د. عثمان يحيى - ص١٩٨.

٢٠- المصدر نفسه - ص ١٨٩-١٩٠.

٢١- المصدر نفسه.

٢٢-المصدر نفسه- ص١٩٠ .

٢٣- المصدر نفسه.

٢٤- المصدر نفسه -ص١٩١ .

٢٥- المصدر نفسه -ص١٩٢ .

٢٦- المصدر نفسه - ص١٩٣ .

٢٧- ابن عربي - الفتوحات المكية - ج١ ص٤٧٩ .

٢٨- المصدر نفسه - ج١ ص٦٢٢ .

٢٩- المصدر نفسه.

٣٠- المصدر نفسه.

٣١- المصدر نفسه - ج١ ص٥١٤.

٣٢- ابن كثير - البداية والنهاية - ج١١ ص٢٦٦.

٣٣- ابو نعيم الاصبهاني - حلية الاولياء - ج٦ ص١٤٣ .

٣٤- ابن عربي- رسائل ابن العربي - رسالة لايعول عليه- ص٣.

٣٥- سورة هود / ١٢٣ .

٣٦- ابو نعيم الاصبهاني - حلية الاولياء - ج٤ ص٣١٣ .

٣٧- ابو عبد الرحمن السلمي - طبقات الصوفية - ص٤٦٨ .

٣٨- سورة المائدة / ٨٣ .

٣٩- سورة التوبة/ ٩٢ .

٤٠- ابو نعيم الاصبهاني - حلية الاولياء - ج٥ ص٢٣٥ .

٤١- سورة الزمر/ ٥٣ .



٤٢- الشيخ عبد القادر الجيلاني - الفتح الرباني - ص١٦٢.
٤٣- المصدر نفسه - ص١٦٩.
٤٤- الطبقات الكبرى للشعراني - ج١ ص١٢٢.
٤٥- ابن عربي - رسائل ابن العربي- كتاب الاسفار - ص٥٦.
٤٦- د. سعاد الحكيم - المعجم الصوفي - ص١١٣٦.
٤٧-سورة الرحمن /٢٩.
٤٨- ابن عربي - الفتوحات المكية - ج٣ص٣١٤.
٤٩- المصدر نفسه. ٥٠- المصدر نفسه.
٥١- المصدر نفسه. ٥٢- المصدر نفسه.
٥٣- سورة الانفال/ ١٧.
٥٤- ابن عربي - الفتوحات المكية -ج٣ ص٣١٤.
٥٥- السراج - كتاب اللمع - ص٤٧٢.
٥٦- سورة الحجرات / ١٢.
٥٧- السراج - كتاب اللمع- ص٤٧٣.
٥٨- ابن عربي - الفتوحات المكية - ج٣ ص٤٩٨.
٥٩- ابن عربي- رسائل ابن العربي - كتاب اصطلاح الصوفية - ص٣.
٦٠- ابن عربي- الفتوحات المكية - ج١ ص٤٩٠.
٦١- ابن عربي- رسائل ابن العربي - رسالة الشيخ الى الامام الرازي - ص٧.
٦٢- ابن عربي - الفتوحات المكية - ج١ ص٤٧٩.
٦٣- المصدر نفسه.
٦٤- ابو عبد الرحمن السلمي - طبقات الصوفية - ص١٦١.
٦٥- المصدر نفسه - ص١٥٩.
٦٦- المصدر نفسه -ص١٦١.
٦٧- المصدر نفسه - ص٣٤٣.
٦٨- ابن عربي - الفتوحات المكية - ج١ ص٣٨٨.
٦٩- المصدر نفسه. ٧٠- المصدر نفسه.
٧١- المصدر نفسه.
٧٢- ابن عربي - رسائل ابن العربي - كتاب الازل - ص١.
٧٣- المصدر نفسه - ص٤.
٧٤- المصدر نفسه - ص١-٢.
٧٥- ابن عربي - الفتوحات المكية - ج١ ص٢٩١.
٧٦- ابن عربي - رسائل ابن العربي - كتاب الازل - ص١٥.
٧٧- المصدر نفسه - ص١٥.
٧٨- المصدر نفسه.
٧٩- المصدر نفسه.
٨٠- المصدر نفسه.
٨١- المصدر نفسه.
٨٢- المصدر نفسه.
٨٣- المصدر نفسه.
٨٤- ابن عربي - الفتوحات المكية- ج١ ص٦١٥.
٨٥- ابو عبد الرحمن السلمي - طبقات الصوفية - ص١٥١.
٨٦- ابو نعيم الاصبهاني - حلية الاولياء - ج٦ ص١٨١.
٨٧- المصدر نفسه -ج٥ ص١٩٤.
٨٨- ابن كثير - البداية والنهاية - ج١ ص١٨١.
٨٩- الماوردي - ادب الدنيا والدين - ص١٨٠.
٩٠- المصدر نفسه.



المبادرات الفردية والجهود الذاتية ودورها في الحفاظ على الآثار المعمارية

مثال الدراسة: مدينة الخمس



بقلم/محمد عمر بن طالب
باحث تاريخ وآثار/ ليبيا

الملخص:-

تضم مدينة الخمس الساحلية الواقعة إلى شرق العاصمة طرابلس وعلى بعد ١٢٠كلم منها معالم تاريخية ومعمارية تعود إلى فترات تاريخية مختلفة من حيث النمط المعماري والأسلوب الإنشائي، وأن أكثر المعالم الإسلامية كانت تبنى بالعمل الجماعي الشعبي وكان الطابع المعماري دائماً يعكس الثقافة المعمارية والأسلوب والمواد والأساليب الإنشائية المتداولة في تلك الفترات التي شيدت فيها. ومن المعروف بأن كل ما يشيده الإنسان بيده وبجهوده الخاصة يعتز به اعتزازاً كبيراً ويدعو للمحافظة عليه لأنه يمثل له تاريخاً من وجوده المادي والمعنوي.



إن أفراد المجتمع الليبي يتحملون نصيباً من مسؤولية إرساء القيم الحضارية في المدينة الليبية وصيانة وترميم عمائرهم التراثية فهم يمثلون الجانب الأكبر المنتفع من التراث المعماري وبالتالي فهم أيضاً المساهمون الفعالون في صنع البيئة العمرانية الحية التي تفيض بالنشاط الحضاري والحيوي الخلاق ما دامت تحظى من قاطنيها بما يستحق من رعاية وتنمية وتطوير وبدون ذلك فأنها سوف تهرم وتموت وتندثر بإهمال تراثها المعماري.

ومن هذا المنطلق وبتنسيق من نادي السنبلة العالمي للصداقة فرع الخمس وبالتعاون مع منظمات شعبية استطعنا أن نكسب عدداً من الشباب الواعي في مدينة الخمس، ليشاركوا ويتصدوا إلى التهالك الذي أصاب ثلاثة معالم في هذه المدينة ونبهنا الجهات الرسمية بخطورة زوالها، وكان لتوجيهات وإشراف د.هاشم عبود الموسوي،الاستشاري المعماري واستاذ مقرر "العمارة المحلية" في قسم هندسة العمارة والتخطيط العمراني بكلية الهندسة بمدينة الخمس، ووجوده معنا كشخصية معنوية وجهت وجمعت جهودنا الذاتية حولها، أثرٌ كبيرٌ في نجاح تجربتنا بالحفاظ والتجديد لمعالم ثلاثة من معالم المدينة،ألا وهي:



١ـ خلوة راقد العُقله.
٢ـ جامع الباشا.
٣ـ منارة الخمس البحرية القديمة.

المقدمة:

إن حالة التدهور التي وصلت إليها بعض آثارنا حركت مخاوف كثير من مُحبي الآثار إلى خطورة ما يحدث. فالآثار هي الشاهد القائم عبر السنين على قدرة الإنسان الذي شيدها.لقد تحولت بعض المباني التراثية إلى مساكن لا يأبه أهلها بقيمتها،أو المحافظة عليها، وأخرى تهدمت وثالثة أزيلت أو أقيمت بها أكشاك لبيع المأكولات، وكان السؤال الذي واجهنا هو كيف يمكن لنا أن نحمي آثارنا حتى لا تضيع. كنا بحاجة إلى هيئة تخطيط في المدينة تصونها من التشويه الذي تتعرض له نتيجة لانعدام الضوابط وإلى إيقاظ الوعي الآثاري بهذا التراث وإلى تضافر جهود المنظمات غيرالحكومية (NGO)s والجماعات الثقافية والأفراد مع الأجهزة الرسمية وترسيخ المفهوم الثقافي في وجدان الناشئة.

وعلى الرغم من قناعتنا بأن العمل يجب أن يسير على مستويين:

أـ على المستوى الكلي لموقع المدينة.

ب ـ على مستوى مناطق مختارة بالموقع تحتويّ

على مجموعات من آثار ذات أهمية وأولوية يمكن إعادة النظر فيها بعد دراسة دقيقة متأنية.

وقد قررنا العمل بالموجود رغم أننا لا ننسى الطموح... فبدأنا بهذه المعالم الثلاثة.

اولاً-خلوة راقد العقله: التي يعود تأريخها إلى حوالي ٣٠٠عام والتي كانت مستعملة في الذكر وتلاوة القرآن والصلاة والمديح النبوي والكتاب والتي تعرضت إلى تأثيرات بيئية وبشرية، جعلتها ركاماً، مما جعل الناس يهجرونها، وبعد الجهود الذاتية والمعالجات بالمواد المتوفرة تم إعادة بنائها وهي تمارس وظائفها اليوم كالسابق.

ثانياً ـ جامع الباشا أو (الحميديه). يعد هذا الجامع من المعالم التاريخية والأثرية والمعمارية الإسلامية في الخمس، وقد تميز هذا الجامع بمئذنة كبيرة وقد بني في عام ١٣٢٥هـ حوالي ١٩٠٦م، وتم صيانة هذا المسجد حديثاً مع المحافظة على جوهره المعماري والتنسيق العام له.

ثالثاً- منارة الخمس البحرية (القديمة) تعد هذه المنارة من المعالم التاريخية المهمة في الشاطيء الليبي وقد شيدت في عام ١٨٨١.

وعانت هذه المنارة لعدة أعوام من العديد من التصدعات والظروف الطبيعية القاسية وبمجهوداتنا التطوعية وبمساهمة جهات رسمية تم صيانة هذا المعلم، وأعيد توظيفه من جديد وسوف نقوم بعرض فيلم وثائقي عن مراحل الترميم لهذه المنارة.

ولقد قام فريق العمل التطوعي بالدراسة بشكل منهجي، بدءاً بالموقع ثم التحليل المعماري للمنشأ واختيار الأسلوب المناسب للترميم ومراحل التنفيذ.

المؤثرات والمخاطر التي تواجه المباني الأثرية:

١ـ الرطوبة النسبية:

إن عملية امتصاص المبنى لرطوبة الجو ثم فقدها مرة أخرى تماثل عملية الشهيق والزفير، وتحدد خطورة هذا العامل الطبيعي في ضوء ظروف المبنى ودرجة هذه الرطوبة وخواص البيئة المحيطة ومن ناحية أخرى فأن الزيادة في الرطوبة النسبية تؤدي إلى تفاعلات كيميائية لها خطرها على المواد الأثرية.

٢ـ الأمطار:

تؤثر الأمطار بصورة واضحة على المباني الأثرية بما تحدثه فيها من نحر وإنجراف،



وفقا لطبيعة هذه الأمطار من حيث كميتها وشدتها ، والحيز الزمني الذي تستمر فيه من أيام السنة، وكذلك وفقاً لطبيعة المبنى ونوع المواد التي شيد بها، وحالته التي وصل إليها.

٣ـ الجليد:

في جميع الحالات فأن الماء يتغلغل بطريق الامتصاص إلى مكونات المبنى جميعا(الطوب المونة- الخشب-البياض) فإذا ما أنخفضت درجة الحرارة إلى حدود التجمد تحولت المياه المتغلغلة إلى جليد.

ومن المعلوم أن الماء يزداد حجمه عندما يتحول من الصورة السائلة إلى الصورة الجليدية المتجمدة، أي أن كميات المياه الممتصة داخل مواد المبنى المشار إليها تتمدد فينتج عن ذلك إحداث قوة ميكانيكية تؤدي إلى إحداث ظاهرة التشرخ.

٤ـ التكثيف:

هي ظاهرة طبيعية تتم بتجمع قطرات المياه فوق الأسطح الباردة، وهذه تنتج عنها تفاعلات كيميائية مع المواد العضوية وغير العضوية.



٥ـ الخاصة الشعرية:

تسري المياه في المواد الماصة مثل الطوب والحجر والمونة، مثلما تسري في داخل الشجرة وفروعها، وهو ما تسميه الخاصة الشعرية.

والخاصة الشعرية واحدة من أدق المشكلات التي تعاني منها المباني الأثرية، ذلك أن الأملاح التي توجد في باطن الأرض تذوب في المياه الجوفية ثم تأخذ هذه المياه بفعل الخاصة الشعرية في الارتفاع داخل مكونات المبنى حاملة معها هذه الأملاح إلى أعلى حتى مسافة خمسة أو ثلاثة أمتار.

٦ـ رذاذ البحر:

يتطاير رذاذ البحر على أسطح المبنى الأثري الذي يكون واقعا على شاطئه، حاملاً معه كلوريد الصوديوم ملح الطعام الذائب فيه كما هو معلوم، فتتكون بهذه الصورة بلورات ملحية تسبب إجهادات في كيان المبنى تماثل الإجهادات التي تنتج عن الخاصة الشعرية.

٧ـ اقتران الرطوبة الزائدة بالحرارة العالية:

إذا بلغت الرطوبة النسبية نسبة عالية (أكثر من ٧٠%) وبلغت درجة الحرارة نسبة عالية أيضا(بين ٢٥ و ٣٥م) تهيأ مناخ صالح لتكاثر الفطريات والطحالب والنباتات وهذه الفطريات تتغذى على المواد العضوية التي تمثل

عنصرا من عناصر البناء، مما يعرضه إلى أضرار بالغة عاجلة تستوجب علاجا غير مبطئ.

٨ـ الحرارة والجفاف:

الجفاف النسبي (المعتدل) هو أصلح مناخ للحفاظ على المقتنيات الثقافية عموماً ومن بينها المباني الأثرية. أما إذا بلغ الجفاف درجات قاسية (جفافاً تامّاً) فأنه يؤدي إلى انفصال كثير من أجزاء المواد الداخلة في تكوين المبنى الأثري، ونشاهد هذه الظاهرة فادحة النتائج في المناطق الصحراوية حيث يقترن الجفاف الشديد بتباين كبير في درجات الحرارة بين النهار والليل، مما ينتج عنه تمدد الأسطح الخارجية وانكماشها باستمرار فيسهل لذلك انفصال الجزء الخارجي عن الكتلة وتتساقط تدريجيا كما يحدث في أبي الهول وفي كثير من التماثيل المكونة للمعابد ببلاد النوبة وكما يحدث جليا في الرسومات الجدارية ذات الأساس الجبسي على المقابر المصرية، إذ يفقد الجبس المياه بصورة شبه تامة فيقل تماسكه ثم يأخذ – مع مرور الوقت – في التحلل والتساقط.

٩ - الضوء:

تشكل الأشعة البنفسجية الناتجة عن الشمس أو الناتجة عن مصدر صناعي تاثيرا ضارا على العديد من مكونات وعناصر الممتلكات الثقافية التي توجد أحيانا كتابع تاريخي في المبنى الأثري وذلك مثل المنسوجات والأوراق والأحبار والمنسوجات السليلوزية والبروتينات والكاوتش والتي توجد كعنصر أساسي في المبنى من المواد العضوية مثل الخشب.

١٠ - الرياح:

للريح قوة ملازمة فعالة وكلما اشتدت الريح اشتدت درجة احتكاكها بأسطح المباني الأثرية ودرجة ضغطها على حوائطها القائمة، وقد يبلغ عتو الريح إلى درجات تكون سببا مباشرا لسقوط المبنى على مدى الأيام. وذلك فضلا عن ظاهرة النحر التي نراها على كثير من المباني الأثرية بفعل الريح. وبتجلي عامل الهدم والتدمير الذي ينشأ عن عتو الريح في قلعة بني حماد الأثرية في جمهورية الجزائر.

بالإضافة إلى عاملي الحشرات الضارة وإعتداء البشر.



١ - خلوة راقد العُقله.

الموقع: تقع خلوة راقد العُقله بمنطقة الكويف جنوب مدينة الخمس على طريق الخمس العمامرة مسافة تقدر بسبعة كيلومترات ومنطقة الكويف تقع بين الجبال الشاهقة وتمتاز بطبيعة ساحرة.

تسمية راقد العقله: تعود هذه التسمية راقد العقله إلى الشيخ الذي كان يقيم بالعقله في ذلك قديماً وقد كان هذا الشيخ يقيم إقامة دائمة في العُقله ولا يعرف عن هذا الشيخ شيئٌ سوى ما سمعناه من روايات شفوية من الأجداد والمحدثين.

العقله: وهي عبارة عن مبنى كبير به العديد من الحجرات بالإضافة إلى وجود معصرة لعصر الزيتون وإن هذه الحجرات كانت مخزناً تضع به كل عائلة من العائلات قوتها من زيت، شعير، قمح، وغيره من قوت المعيشة.

تاريخ تأسيس الخلوة:

تختلف الروايات حول معرفة تاريخ مؤكد لخلوة راقد العُقله هناك من يقول بأنها تعود إلى زمن الشيخ عبد السلام الأسمر الشيخ المشهور ويستدل على تلك الرواية بزيارة قام بها الشيخ الأسمري إلى الخلوة أثناء سفره إلى زاوية سيدي الدوكالي بمسلاته على الطريق الرابط بين زليتن ومسلاته والتي تعرف بطريق الحاجية والتي تمر بجانب خلوة راقد العقله وهذا كلام مرده للروايات الشفوية المتناقلة عبر الأجداد، والتاريخ الذي تعود إليه هذه الفترة على الأرجح هو حوالي من ١٥٠ سنة قد خلت ومرجع الكلام هذا للأهالي، والمشائخ والطلاب الدارسين بها وبعض المشائخ الفواتير الذين كانوا يمرون بها ومن بينهم الشيخ سالم الفيتوري.



الترميم الذي أجري عليها:-

تذكر لنا الحاجة عائشة مسعود عن ترميم هذه الخلوة حيث قالت بدأ في ترميم هذه الخلوة عندما تزوجت من زوجي محمد علي الفرجاني في عام ١٩٣٤ إبن الشيخ علي سالم الفرجاني وعن تعاون الأهالي في الترميم قالت لقد شارك الجميع في ترميمها وأنا بنفسي شاركت أيضاً في ترميمها ويدل على هذا الكلام جلب عمها علي الفرجاني.

شاركت في إنزال الزنورة من على ظهر الجمل وهذه الزنورة هي التي تتوسط سقف الخلوة.

وكان الشيخ علي سالم الفرجاني قد أشار إلى كل عائلة من لحمة أولاد عثمان أن تجلب زنورة وتشارك في بناء وترميم سقف الخلوة

لاشــك أن روح التعاون هي التي أنجزت هذه الخلوة وكانت حــاضرة في كل مرحــلة من بــنائها وترميمها. كما قــام أهالي منطقــة الكويف بجلب تبن البحر على ظهور حمالهم من الشاطئ وفقاً لإحــدى روايات الأهالي، لقد كان تحديد تاريخ الترميم مقترناً بحدوث الزلزال الذي حدث في ذلك الزمان.

أيام المديح والذكر:-

لكي يعطي الأهالي لهذه الخلوة جــواً مــن الروحانيات خصصوا يومين من الأسبــوع للذكر والمديح مديح ســيد الكائنات محــمد ولقــد حــدد يوما الأحــد والخميس موعداً لإلتقاء الذاكرين والمادحــين وكان توقــيت المديح يمتد من بعد صلاة العصر إلى أن تبدأ شمس المغرب في الغرق في اللون البرتقالي.

ولقــد عُرفت مجموعة أســماء أشــتهرت بالذكر أهم هذه الأسماء:

١ـ **عمر بن عبد النبي**

٢ـ **أحمد أبو ظفيرة.**

٣ـ **أبو صيدة الجربي.**

وغيرهم من الأســـماء الأخرى التي كانت تحيي ليالي هذه الذكرى.

طريقة الذكر:-

أتبعت الطريقة العروشية في الذكر في هذه الخلوة حيث يلتف خلفه الذاكرون لتلاوة آيات بينات من القرآن الكريم وبــعد الإنتهاء من التلاوة يبــدأ رئيس الحلقــة والذي عادة ما يكون في منتصف حلقة الذكر.

وعادة ما يبــدأ الذكر بــمفرده ليردد باقــي الناشدين الأذكار بطريقة تصاعدية.

أما عن طريقــة التعليم المتبــعة في الخلوة لتعليم القرآن الكريم:-

فلقد أتبع نظام الكتابة على الألواح الخشبية على قطع ذات أشكال مختلفة وكانت الكتابة تتم عن طريق أقــلام (القصبــة) وهي عن عبارة عن قطع من نبات القصبة يتم قــطعها وتجفيفها حتى تصبح القصبة ذات لون أصفر ويتم بعد ذلك تهذيبــها وإزالة الشــوائب منها ويتم قطعها على طول أقلام الحبــر الحــالية وتدبيب رأسها وشــق رأس هذه القصبــاية بطريقة طولية لتساعد على تشرب الحبر أو ما يعرف بالدواية والتي تصنع من الصوف وبقايا المخلفات" كعال الغنم" الحــيوانية عن طريق تسخينها حتى يصبح لونها أسود وعند كتابــة الآيات والســور القــرآنية يحــفظها الطالب ويقرأها "يسمعها" على الشيخ المعلم فإذا ما تم حفظها أذن الشيخ للطالب بمحوها بالطين الأصفر المنقوع في الماء لمحوها في حوض خاص ومن ثم تعريض لوحه للشمس ليجف



ليأتي في اليوم التالي ليجدها جافة ويبدأ في كتابة سورة أخرى من القرآن الكريم.

المقبرة المجاورة للخلوة:-

تقع هذه المقبرة بجانب الخلوة وحسب ما ذكرت لنا الحاجة عائشة بأن أغلب هذه القبور لأطفال.

البئر:-

تقع بجانب الخلوة ولقد نظفها الأهالي عديد المرات ولقد كان هناك شخص مسؤول عليها وهو الشيخ علي سالم الفرجاني والذي كان لا يفتح البئر إلا عقب صلاة العصر من كل يوم وكانت الحكمة من ذلك هو حرصه الشديد على المحافظة على كميات المياه الصالحة للشرب.

مراحل الترميم التي قام بها الأهالي:

١- دراسة موقع الخلوة وتصويره على حالته الموجودة عليها.

٢- توثيق وتصوير الخلوة قبل البدء في ترميمها- مرئي مسموع.

٣- البدء في تنظيف الخلوة وتوضيح ورسم المعالم الأصلية.



٤- البدء في مرحلة الترميم المتضمنة إعادة بناء الجدران بالحجارة والطين.

٥- تم إعادة بناء السقف بالزنور والديس وتبن البحر والطين ولقد أتسم الترميم بالمحافظة على روح المعمار والاستعانة قدر الإمكان بالمواد الأولية القديمة.

٦- ثم إعادة ترميم الركابة(الدكة) على نفس حالتها الأولى.

٧-إعادة ترميم المحراب والتأكيد على الأتجاه الصحيح للقبلة.

٢ـ مسجد الباشا (مسجد الحميدية):

يعد هذا المسجد من المساجد العريقة ويقع في وسط مدينة الخمس، ويلاصق مبنى هذا المسجد مبنى بريد الخمس(حالياً)،أما عن سبب تسمية هذا المسجد بجامع الباشا فهناك قولان في هذا الصدد: القول الأول والذي يرجح كون المسجد يعود نسبه إلى الوالي محمد باشا وذلك حسب روايات أهالي المدينة.

أما القول الثاني فينسبه البعض إلى رجب باشا حيث كان هذا الوالي حاكماً لولاية طرابلس في الفترة من (١٣٢٢-١٣٢٦)هـ، وفي هذه الفترة التي ازدهرت فيها الولاية وخاصة في المجال العسكري الحربي والمجال الثقافي ، وكان هناك نوع من الازدهار الذي حظيت به (مدينة الخمس) تمثل في بناء مئذنة المسجد، ووجد في مدخل المئذنة نص بأسم رجب باشا، وتاريخه يرجع للسادس عشر من شعبان سنة ١٣٢٥هـ الموافق

٢٢/ ٦/ ١٩٠٦م تقريباً، بالإضافة إلى وجود (طغراء) للسلطان عبد الحميد، والذي في عهده كان قد بني المستشفى البلدي للمدينة والمدرسة الابتدائية، أما بيت الصلاة فيرجح أنه قد بني قبل بناء المئذنة ، ونلاحظ أن العناصر التركية تظهر ظهوراً جلياً في الطراز الذي اتبع في بناء القبة.

ومن مشتملات المسجد:

١ـ بيت الصلاة: وهو مكون من بناء ضخم مربع أعلاه قبة مركزية كبيرة وتبلغ أطواله (١١,٥٠-١١,٧٥)م، والقبة ترتكز على جدار انتقالي مثمن، يرتكز هذا الجدار بدوره على البناء المربع حيث يوجد بزوايا هذا الجدار الانتقالي أربع حنايا ركنية مستديرة.

٢ - المحراب: يتوسط محراب هذا المسجد جدار القبلة.

٣ - المنبر: ويقع على يمين المحراب وهو منبر حجري ذو ثماني درجات وبسطة، وبمدخل هذا المنبر عقد مائل من الحجر يرتكز على عمودين حجريين وزخرفة وحول المنبر من جانبيه إطاران مستطيلان ، والعقد المائل بأعلاه كتابة نصها(لا إله إلا الله محمد رسول الله).

٤ - المئذنة: تقع مئذنة هذا المسجد في الجهة الجنوبية الغربية بالركن الغربي.

٥ - الميضأة: كانت موجودة بجوار المئذنة ولكنها الآن أزيلت وأقيمت في مكان آخر من الناحية الغربية للمسجد.

الزخارف: هذا المسجد غني بالزخارف البديعة التي تنم على الحس الفني الراقي للحضارة العربية الإسلامية.

الكتابات:

وجدت الكتابات في بطن المحراب حيث كتبت آية قرآنية نصها:(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)، وعبارة (ماشاء الله)، بالإضافة إلى كتابة أخرى موجودة بأعلى المئذنة من خط الطغراء تمثل السلطان عبد الحميد وتاريخ١٦/شعبان/ ١٣٢٥هجري، وهو تاريخ إنشاء المئذنة، وهي في عهد ولاية الوالي رجب باشا، والطغراء هي الطرة تُكتب في أعلى الكتب والرسائل فوق البسملة تتضمن نعوت الحاكم وألقابه، وأصلها "طورغاي" وهي كلمة تترية استعملها الروم والفرس ثم أخذها العرب عنهم.



مادة البناء: بني هذا المسجد من الحجر الصغير المخلوط بالملاط ، وكذلك القبة، ويبدو ذلك واضحاً من سماكة جدران بيت

الصلاة، حيث تبلغ (٨٠) سم.

ويعاب على ترميم هذا المسجد إستخدام المواد الحديثة المتمثلة في الجرافيت الأبيض والأخضر اللون تتنافى مع المادة الأصلية للمسجد التي كانت على الأغلب من الجير الأبيض.

منارة الخمس القديمة:- الخمس القديمة عمق أصالة عراقة موغلة في القدم بين سنة الإنشاء ١٨٨١ وسنة٢٠٠٦ قرن وربع من الزمان شهدتها المنارة التي كانت دائماً شامخة في مدينة الخمس تفتح ذراعيها للضيوف وتنير لهم الطريق وهم على أمواج اليم الأزرق وتهدي قوارب البحارة وتنير لهم الطريق في الليالي الحالكة وإن دارت بها الأيام وشاخت وهرمت ولعل أهم أسباب ذلك قربها من البحر المشبع بالرطوبة فتشققت وتصدعت وشارفت على الإنهيار كانت حينها هاجساً حاولنا في صحيفة المرقب، وفي الإذاعة المسموعة لإذاعة الجماهيرية العظمى لإنقاذ هذا المعلم- كان حلما أن ترمم وبهذه السرعة لنفيق على حين غرة لنجد الصدوع قد اختفت والشقوق قد رممت وقلنسوتها النحاسية قد عادت لسابق عهدها شباباً في شباب فلكل الذين ساهموا في ترميم هذا المعلم التاريخي والأثري كل الشكر.



تلعب المنارات منذ القدم دوراً هاماً في حياة البحارة والصيادين لاسيما وأنها تعتبر وميض الأمل لكل سفينة أو مركب انقطعت به السبل في عرض البحر المليء بالمفاجآت والأهوال وتعد منارة الخمس العتيقة من المنارات القديمة إذ يرجع زمن تأسيسها إلى العام ١٨٨١م، أما الغرض الأساسي الذي أنشئت من أجله فهو إرشاد القوارب والبواخر. يوجد ثلاثة فنارات (منارات) في ساحل طرابلس الذي يمتد من حدود تونس إلى وادي (فارغ) الواقع في أقصى الشرق، الأول في طرابلس نفسها ذو شعلة بيضاء خافتة وهو على ارتفاع متر، والثاني في خمس ذو شعلة بيضاء قوية يرى على بعد ١٦ميلاً، والثالث في (رأس مصراته) يرسل أشعته على ارتفاع ٤٢متراً ذو شعلة بيضاء أيضا.

وتقع منارة الخمس البحرية بالقرب من الميناء القديم الخاص بقوارب الصيادين، وهي من حيث الوصف العام ذات شكل قريب إلى الأسطواني وتقع على ربوة مرتفعة لتكون في نقطة عالية لتسهل على القوارب

والسفن رؤيتها وبالتالي الوصول والاهتداء إلى شاطئ الأمان، وعند انتهاء الشكل القريب للأسطواني وبعد (الكورنيش) تبدأ القلنسوة التي يوجد في داخلها الفانوس الخاص بتنظيم ومضات المنارة الضوئية وذلك وفق ومضات إنارة منتظمة وتعلو القلنسوة النحاسية أداة معدنية نحاسية تدل على الجهات الأربعة: الشمال والجنوب والشرق والغرب، ورمز لها بحروف إنجليزية.

لقد كان إشعال الفانوس في فترة ليست بالبعيدة يعتمد على حارس المنارة الذي يقوم بإشعال الفانوس قبل موعد غروب الشمس بربع ساعة وإطفائه قبل الشروق في اليوم التالي بربع ساعة أيضاً ولكن مع استخدام الجهاز الكهربائي المنظم لتلك العملية بكل دقة وكفاءة أصبح الأمر يخلو من التعقيد والمماطلة.

تتميز المنارة بنظام تنوير خاص، علاوة على كونه متعارفاً عليه دولياً والمتمثل في إصدار ومضات ضوئية ذات رموز معينة تستدعي انتباه قبطان السفينة أو ملاحي المراكب العادية في معرض بحثه عن أقرب نقطة دالة ترشده إلى وجود الميناء من عدمه خاصة في الليالي الحالكة السواد، ويتراوح معدل توقيت تلك الومضات ما بين(١٠-٢٠) ثانية.

استنتاجات حول منارة الخمس القديمة.

١- من خلال متابعة هذا المعلم التاريخي المهم نجد أنه مر بعدة ظروف:-

أ- نظراً لقرب المنارة من شاطئ البحر ظلت لسنين طويلة تحت رحمة ارتفاع نسبة الرطوبة العالية التي أثرت في بدن المنارة وعملت على تشقق أعلى المنارة بشكل واضح جهة الكورنيش مما أحدث شرخاً كبيراً، كاد أن يؤدي إلى إنقسام البدن.

ب- تغير طلاء المنارة من الطلاء الأبيض الكامل إلى اللون المتعارف عليه في المنارات البحرية وهما اللونان الأبيض والأسود وبقي هذا اللون إلى قبيل إجراء عملية الصيانة.

ج- تأثرت القلنسوة النحاسية الخاصة بالمنارة بالرطوبة والظروف الجوية القاسية مما أدى إلى تآكل مادتها النحاسية الأمر الذي جعل عملية الصيانة تشملها وتعيدها إلى سابق عهدها.

د- وقوع المنارة في منطقة مرتفعة تجري بقربها عمليات جرف ربما سببت إحداث تصدعات نتيجة لإهتزازات الآلات الثقيلة المتمثلة في الجرارات.



هـ- الفانوس الداخلي للمنارة هو الآخر تعرض للظروف الصعبة مما لزم تطويره وحمايته بالقلنسوة التي تم إضافة الزجاج إليها من الرطوبة والأمطار.

و- أسفر العمل الشبابي من قبل طلبة وباحثي قسم التاريخ والآثار بالتعاون مع الشركة الاشتراكية للموانئ ومراقبة آثار لبدة بما أعدوه من بحوث ومراسلات تكن الولاء للموروث الثقافي والحضاري عن إجراء الصيانة على بدن المنارة والقلنسوة وتحديث المصباح وصيانة السلم الداخلي للمنارة والغرف الخاصة بمعداتها.

المراجع

١- تقرير أمانة اللجنة الشعبية للمواصلات والنقل البحري- مصلحة الموانئ والمنائر، منجزات قطاع المواصلات والنقل البحري، ١٩٩١م.

٢- عفاف سعد الورفلي ، منارة الخمس التاريخية، مشروع تخرج في كلية الآداب، أشراف الدكتور/ حسين السيد، الخمس عام ١٩٩٩م.

٣- عبد السلام عمر سنان، ومحمد عمر بن طالب، وفوزي عمران زايد، الخمس تواصل الحضارات، كتاب صادر عن اللجنة الشعبية للمؤتمر الخمس المدينة، دار الرواد، طرابلس ٢٠٠٣م.

٤- جورجيو توراكا، تكنولوجيا المواد وصيانة المباني الأثرية، ترجمة د. أحمد إبراهيم عطيه، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٣.

٥- صيانة المباني الأثرية، دراسة منشورة في مجلة عالم البناء، العدد السابع، القاهرة، ١٩٨١م.

٦- سالم الفرجاني، ومحمد عمر بن طالب، بحث بعنوان خلوة راقد العُقله/ غير منشور.

٧- الروايات الشفوية بصدد خلوة راقد العقله، الحاجة عائشة، زايد فرحات، زايد احميدة التومي، مهيدي الفرجاني، عبد السلام الفرجاني، الحاج عبد السلام، الحاج صالح، (من أهالي منطقة الكويف الخمس).



دراسات تاريخية

مذكرات سليمان فيضي



بقلم/ أ.م. د. سمير عبد الرسول العبيدي
الجامعة المستنصرية/ قسم الدراسات التاريخية

تمهيد.

تجتذب الكتابة عن الشخصيات التاريخية عدداً متزايداً من الباحثين والكتاب ، ويعزى سبب ذلك لكونها نوعاً غير تقليدي من الجهد المعرفي ، فالباحث في هذا النطاق لا يتعامل مع المصادر تعاملاً تقليدياً، بل وزيادة على ذلك فانه يصبح بإمكانه أن تكون له سمة خاصة من دون الإخلال بشروط ومقومات البحث الأكاديمي .

إن الحيز الممنوح هنا يتناسب وبشكل مباشر مع حجم الجهد المبذول من الباحث ، أي بمعنى انه نجح في الإلمام بجوانب الموضوع نجح في الاسترسال في آرائه واستنتاجاته ، ذلك إن الاستنتاج لا بد وان يبنى على حقيقة علمية وكما هو معروف .

إضافة إلى ما تقدم ذكره يعتمد النجاح والتميز في هذا المضمار على امتلاك خبرة حياتية



وعلى حسن تدبير الأمور ، إذ إن الشخص المعني لا بد وان يتحرك على عدة مسارات يمتزج فيها العام والخاص ، وهو في كل ذلك يجب أن يكون سعيه الدائم هو البحث عن الحقائق العلمية ، وفي الختام فأن الأمر يتخذ شكل الهواية لذا نجد أنَّ هناك عدداً من دور النشر والباحثين والمحققين(نجدة فتحي صفوة ، أ.د. محمد حسين الزبيدي ، ...) ممن عرفوا بالإجادة في هذا المضمار .

سمات الشخصية.

لدى دراسة شخصية سليمان فيضي (١٨٨٥-١٩٥١م)، تبرز سمة أساسية كونه يمثل شخصية المثقف العراقي المتعدد الاهتمامات ، إذ كان ناشطاً في مجالات عدة منها التعليم والصحافة والقانون والزراعة ، وسجل حضوراً في مجمل الأحداث التي شهدتها مدينة البصرة ، وقد ساعدته الظروف في ذلك إذ كانت الدولة العثمانية تعيش أيامها الأخيرة ، رافق ذلك سعي جميع الأطراف المؤثرة سواء منها المحلية أو الإقليمية أو الخارجية لإيجاد موطأ قدم في البصرة بحكم موقعها الاستراتيجي وكونها المنفذ المائي الوحيد للعراق وبوابته على العالم الخارجي ، إضافة لما تتمتع به من تاريخ حافل دفع بالعثمانيين إلى تسمية الخليج العربي "بخليج البصرة " ، ناهيك عن كونها تمتلك حدوداً مباشرة مع نجد والحجاز والكويت وإمارة المحمرة إضافة إلى بلاد فارس .



إذا أردنا أن نحدد وبوضوح أهم ما تميزت به هذه الشخصية ضمن الإطار الخاص فلابد من أن نؤكد على انه يمثل خروجا عن النمط المألوف للشخصيات الفاعلة إبان مرحلة الحكم الوطني ٢٣ / ٨ / ١٩٢١ - ١٤ / ٧ / ١٩٥٨ م) ، فهو لم يكن سياسياً نمطياً ، أي بمعنى انه مارس السياسة بعيداً عن شغل المناصب الحكومية وقد تميز في كل ذلك بحسه الوطني – العروبي ، لذا لم يكن من المصادفة أن المرة الوحيدة التي دخل فيها مجلس النواب في دورته السادسة (١٩٣٥ - ١٩٣٦م) ، كان في عهد وزارة ياسين الهاشمي (١٨٨٤ – ١٩٣٧م) الثانية (١٧/ ٣/ ١٩٣٥-٢٩/١٠/١٩٣٦)،والتي تميزت بتوجهها العروبي .

إن أهم الأسباب التي جعلت من سليمان فيضي شخصية جديرة بالدراسة هي:-

١ .ولد سليمان فيضي في الموصل لكنه انتقل

منها إلى بغداد ومن ثم إلى البصرة التي استقر بها منذ عام ١٩٠٤ م،وهو أمر لم يكن شائعا في ذلك الزمن ،وربما تعود حفاوة البصريين به إلى غنى وتعدد اهتماماته إذ كان قانونيا ضليعا ،ومن أوائل الذين طالبوا بإعادة الاعتبار إلى اللغة العربية ، وأفتتح أول مدرسة للتدريس باللغة العربية في البصرة عام١٩٠٨ م . وفي العام التالي حصل على امتياز أول جريدة باللغة العربية في البصرة ، وسماها "الإيقاظ" ، وقد نشر (٨٩) خطبة ومقالة خلال المدة (١٩٠٩-١٩٤٨م) ، كما ومارس التدريس والترجمة نظراً لإجادته الفارسية والتركية والإنكليزية والفرنسية ،وقد أصدر (١٢) مؤلفا في القانون والأدب والزراعة (إضافة إلى هذه المذكرات) .

٢. أدرك سليمان فيضي أهمية أن ترى وثائقه الشخصية النور ، فحرص على أن يهيئها للنشر وطبعت فعلا عقب عام واحد من وفاته (كانون الثاني ١٩٥٢م) ؛ وتصدرتها مقدمة للكاتب مؤرخة في١٦/١/١٩٥١ م أي قبل رحيله بثلاثة أيام وهو أمر له دلالات كثيرة . وربما تكون هذه سابقة في تاريخ العراق المعاصر ،إذ لم يسبق لأحد الساسة العراقيين في العهد الوطني أن قام بنشر مذكراته كاملة قبل العام ١٩٥٨م ،ويبدو إن اهتمام سليمان فيضي قد انتقل إلى أبنائه أيضا الذين حرصوا على إيصال رسالة والدهم إلى الأجيال المتعاقبة من الباحثين والقراء ، فصدرت ٤ طبعات منقحة من المذكرات إبان الأعوام (١٩٥٢، ١٩٧٤، ١٩٩٨ ،٢٠٠٠م) ،وقد صدرت الطبعتان الأخيرتان بتحقيق وتقديم (باسل سليمان فيضي) ، ويمكن تتبع اللمسات الخاصة به في جميع فصول الكتاب ؛كما وتضمنت الطبعة الأخيرة كلمة للأستاذ (نجدة فتحي صفوة) ، ولابد من أن نشير هنا إلى أن كل طبعة جاءت بشكل أكثر اتساعا وشمولية من سابقاتها سواء من حيث المضمون أو الوثائق الشخصية المصورة مما منحها قيمة علمية مضافة ؛كما تم ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية عقب صدور الطبعة الثانية في بيروت عام ١٩٧٤م ، وهو ما قد يشكل سابقة أخرى على صعيد المذكرات الشخصية.

٣. ارتبط سليمان فيضي بصلات وثيقة مع عدد من الشخصيات البارزة منها الشيخ



خزعل (١٨٦٣ – ١٩٣٦ م) حاكم إمارة المحمرة وابن سعود (١٨٧١ – ١٩٥٣ م) وغيرها ، إلا أن الشـخصية الأكثر تأثيرا كان السـيد طالب النقيب(١٨٧١ – ١٩٢٩م) [١] والذي بدأت علاقته به لدى تعيينه معتمداً للحـزب الحر المعتدل في البـصرة والذي افتتح في ٨/٦/ ١٩١١ م، في حين ترأس طالب النقيب الحزب ، ولم تنقطع الصلة بـينهما بـرغم النفي الطويل له على يد البريطانيين .

٤ . امتلك سـليمان فيضي نوعاً من الذاكرة التوثيقية ،تمثل بحرصه الشديد على تسجيل جميع الوقائع التي أسهم فيها إبـان سـني حـياته ، وهذا الأمر تحسـب له إذ انه وثق بذلك واحدة من أهم مراحـل تاريخ العراق المعاصر ، وتحسب له جملة من الأمور منها انه قام بذلك بصورة طوعية كما وحـرص على تدوين أحداث ووقائع ذات طابع خاص ، أي أنها لم تكن ذات صفة رسـمية ، وقـد سـعى في كل ذلك لمنح الحـيز الحقيقـي للشخصيات من دون إضافة أو اختزال .



مقدمة تاريخية.

أولى المهتمون بالشأن المعرفي في العراق مرحـلة الحـكم الملكي (٢٣/ ٨ /١٩٢١ - ١٤/٧/ ١٩٥٨م) أو كما يسـميها غالبـية المختصين بمرحـلة الحـكم الوطني (وهو الأصح) جل اهتمامهم ، إذ تبرز وبقـوة عند الحـديث عن تاريخ العراق المعاصر كونها شهدت بناء الدولة العراقية الحـديثة عقـب انتهاء الحكم العثماني ، وقـد تجلى ذلك في اتجاهين أساسيين اولهما تمثل بكتب السـير والمذكرات الشـخصية وثانيهما ويتمثل بالرسائل الجامعية.

تمثل الرسائل الجامعية إحـدى أهم مصادر البحـث المعرفي ،وبـخاصة تلك التي يتم كتابتها والإشراف عليها من قبل المؤسسات المعرفية الرصينة والمشهود لها بالحـيادية والالتزام بمقومات البحث العلمي، وقـد أُتيح لكاتب المقال تتبع الموضوع بشـكل منهجي أثناء أعداد رسالته للماجستير (محمد صديق شنشل ودوره في السياسة العراقـية حـتى العام ١٩٥٩م،كلية الآداب –جامعة بـغداد ، ١٩٩٧م).

وفي واقع الأمر أن الدور الأساسـي لهذه النوعية من المؤسسات لهو البحث المعرفي بـمختلف فروعه أما التعليم فيكون بمثابـة

نشاط موازٍ وداعم للفكرة الأساسية.

شغلت كتب السيرة والمذكرات الشخصية حيزا كبيراً من اهتمامات الباحثين في تاريخ العراق المعاصر،إلا انه يلاحظ أن غالبيتها قد اهتمت بالشأن السياسي بسبب خلفيات مؤلفيها ، ولكون مرحلة الحكم الوطني في العراق امتازت بحالة من الحراك السياسي والاقتصادي والاجتماعي مما ميزها عن سابقتها مدة الحكم العثماني(١٥٣٤-١٩١٨ م)، بل وحتى عن لاحقتها التي تميزت بالحكم الفردي و استمرت حتى ٤/٩/ ٢٠٠٣م ؛الأمر الذي نتج عنه نوعٌ من النمطية في تناقل المعلومات بسبب قصر المدة التاريخية، ولطابعها النخبوي المتميز.

شكلت المرحلة الحالية في العراق عقب ٩ / ٤ / ٢٠٠٣م ، مناسبة لتسليط الضوء على الدور الريادي المتميز الذي قامت بهِ جميع فئات المجتمع العراقي إثر تأسيس الدولة العراقية الحديثة لدى قيام الحكم الوطني في ٢٣ / ٨ /١٩٢١م، وضمن إطار مشروع الوحدة الوطنية ، لعل من أبرزها مذكرات سليمان فيضي ، مع التنويه هنا أن كتب السير والمذكرات قد صدرت إجمالا قبل العام ١٩٧٥ وبكميات محدودة ؛ ولم تتم إعادة طباعتها لرحيل أصحابها وعدم اهتمام أسرهم بموضوع إعادة النشر ، في فيماعدا بعض الاستثناءات منها (مذكرات سليمان فيضي) التي طبعت ٤ مرات بدعم خاص من أسرته ، و هو أحد رواد النهضة العربية في العراق ؛ إضافة لذلك تبرز أهمية هذا الكتاب من أمرين ،اولهما شخصية كاتب المذكرات

وفيما يخص الشأن السياسي فقد بدأه بالانضمام إلى فرع " الحزب الحر المعتدل " ، وهو أول حزب معارض انشأ في العراق عام ١٩١١،ثم انضم لحزب الاخاء الوطني عام ١٩٢٨[٢] وأختتم مشواره السياسي بأنتخابه في عضوية المجلس النيابي العراقي عام ١٩٣٥، واحتفظ بمقعده حتى تم حل المجلس عقب سقوط وزارة ياسين الهاشمي الثانية(١٧ /٣/ ١٩٣٥-٢٩/ ١٠/ ١٩٣٦) فاعتزل بذلك العمل السياسي [٣].

أما الأمر الثاني فهو حرص صاحب المذكرات على توثيق جميع نشاطاته ،وهو ماينطوي على أهمية تاريخية كبيرة بالرغم من انه لم يستوزر في أية وزارة ،إلا انه كانت له صلات وثيقة مع عدد من الشخصيات



البارزة ومنهم السيد طالب النقيب وأبن سعود والشيخ خزعل حاكم إمارة المحمرة ،ويبدو انه قد أدرك أهمية أن ترى هذه الوثائق النور ،فحرص على أن يقدمها للنشر ونشرت فعلا بعد عام واحد من وفاته ،وربما تكون هذه سابقة في تاريخ العراق المعاصر ،إذ لم يسبق لأحد الساسة العراقيين في العهد الملكي أن قام بنشر مذكراته كاملة قبل العام ١٩٥٨ ، ويبدو أن حرص سليمان فيضي قد انتقل إلى أبنائه أيضا الذين حرصوا على إيصال رسالة والدهم إلى الأجيال المتعاقبة من الباحثين والقراء ، فصدرت ٤ طبعات منقحة من المذكرات إبان الأعوام (١٩٥٢ ، ١٩٧٤ ، ١٩٩٦ ، ٢٠٠٠) ،كما وتمت ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية عقب صدور الطبعة الثانية في بيروت عام ١٩٧٤، وتم توثيق ذلك أكاديميا بكتابة رسالة ماجستير عنه في كلية الآداب – جامعة البصرة عام ١٩٩٨ ،من قبل الباحثة (خولة طالب لفتة) وقد نشرت في كتاب عن دار الأديب البغدادية ٢٠٠٣ .



عرض مادة المذكرات

لدى مطالعة مادة المذكرات ، يتبين للقارئ انه اقرب ما يكون في الإطار العام إلى أسلوب كتابة الاطاريح الجامعية منه إلى كتب السيرة الذاتية ،آذ تألف من (١٦) فصلا ،وتم تخصيص الفصول من (١-٣) لتكون بمثابة المقدمة ؛في حين شكلت الفصول من (٤ -١٥) متن الكتاب ، وعنون الفصل الأخير "الختام"أي الخاتمة،وهو النمط العلمي المتبع في كتابة الاطاريح الجامعية . ومما يؤكد ذلك احتواء الكتاب على فصل خاص للملاحق ، تضمنت عددا كبيرا من الوثائق العائدة إلى سليمان فيضي وبعضها تم تصويره ونشره توخيا للأمانة التاريخية ،كما واحتوى الكتاب على عدد من الوثائق البريطانية المهمة و التي يراد بها دعم وجهات نظر المؤلف، و كما جاء على لسان محرر الكتاب(باسل سليمان فيضي) في (ص١٢)" أدخلت على بعض الفصول ملاحق اقتضتها الضرورة لتوضيح ما احتاج إلى بيان أو أمثلة أو تفسير أو إثبات أو معالجة اختلاف أو نقد أو استفسار.و حوت الملاحق أحيانا بنودا ووثائق تتعلق بأحداث الفصل ذاته توثيقا لما دون فيه،و أحيانا أخرى نماذج لمراسلات شخصية أو رسمية أو صور نادرة،رغبة في استمتاع القارئ بالإطلاع عليها".

و مع تضمن المذكرات عددا كبيرا من الفصول وجب تقسيمها إلى مجاميع لتسهيل عرض محتوياتها،لذا يمكن القول إن الفصول (١-٣) تشكل مقدمة الكتاب و تطرق فيها المؤلف لولادته بالموصل في ١٨٨٥\٧\٢٦ ،حيث أنهى دراسته الأولية ثم انتقل إلى"الإعدادية العسكرية" في بغداد،و التي طرد منها مع ثمانية من زملائه بسبب حدوث شجار بين الطلاب،و قد تقرر التحاقه بالخدمة العسكرية المسماة"الزجري"،ولكنه بدلا من ذلك لجأ إلى أمير حائل عبد العزيز الرشيد الذي نجح في الحصول على عفو خاص عنه في نيسان ١٩٠٤ ،و منذ هذا التأريخ استقر في البصرة حيث درس فيها،ثم عين عضوا في أحدى محاكمها .

وبجانب سيرته الذاتية حاول سليمان فيضي أن يقدم خلفية تاريخية للكتاب حيث تطرق في الفصل الثاني لنشأة الحركة الوهابية وتطورها ، في حين قدم في الفصل الثالث نبذة موجزة عن عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) ،مركزاً وبشكل أساسي على عوامل ظهور (جماعة الاتحاد والترقي) .

شكلت الفصول من (٤-١٥) متن الكتاب ومن الممكن تقسيمها تاريخياً إلى قسمين ، الأول ويغطي المدة (١٩٠٨-١٩١٩م) . ويبدأ مع قيام سليمان فيضي بإنشاء مدرسة "تذكار الحرية" في ٢٧ /١٠/ ١٩٠٨ ، وأعقب ذلك إصداره لجريدة " الإيقاظ "في ٢/ ٥ /١٩٠٩م وهي أول جريدة عربية تصدر في البصرة، واستمرت بالصدور حتى ١٠/٣/ ١٩١٠م، إذ توقفت بسبب سفر صاحبها إلى الحج ، ومن هناك إلى عاصمة دولة الخلافة اسطنبول حيث حاز على شهادة الحقوق، ولدى عودته بدأ بممارسة النشاط السياسي وعين معتمدا "للحزب الحر المعتدل "والذي افتتح في ٦\٨\١٩١١م ،ومن هنا بدأت علاقته الوثيقة بالسيد طالب النقيب الذي ترأس الحزب.

وقد أسهم سليمان فيضي في عدد من الجمعيات السياسية الأخرى والتي ظهرت كرد فعل مباشر على سياسة التتريك ،وأثناء ذلك انتخب عضواً في مجلس المبعوثان العثماني في عام ١٩١٢م ،وقد أورد في مذكراته معلومات قيمة عن حالة الحراك السياسي في اسطنبول أثناء تلك المرحلة المصيرية ، ومتتبعا بدقة تطور الحركة القومية العربية مؤكدا على مثالب السياسة



العثمانية . وعقب احتلال القوات البريطانية للبصرة في ٣\١١\٢٣ ١٩١٤م أتيح له أن يوثق الأوضاع في البصرة ،والعلاقة فيما بين القوى الإقليمية ممثلة بأبن سعود من جهة وبين السيد طالب النقيب والدولة العثمانية من جهة أخرى ،وهو ماأسهم في امتناعه عن التعاون مع السلطات البريطانية ممثلة بالكولونيل (لورنس العرب) الذي عرض عليه في ٦\٤\١٧ ١٩١٦م "التوسط لدفع الرشوة " للقادة العثمانيين من اجل رفع الحصار عن قوات بلاده في الكوت ،الأمر الذي حدا بهم لمعاقبته بوضعه تحت الإقامة الجبرية حتى أوائل عام ١٩١٩ م .

تطرق القسم الثاني من المذكرات إلى نشاط سليمان فيضي عقب رفع الإقامة الجبرية عنه في عام ١٩١٩م حيث عين حاكما لمحكمة بداءة البصرة ،ثم انتقل في نهاية العام إلى بغداد عضوا في محكمة الاستئناف ،وهي أعلى محكمة مدنية آنذاك ،وفي العام التالي عين عضوا في" لجنة الانتخابات العراقية " ،وقد رفض شغل أي منصب وزاري مفضلاً التدريس في كلية الحقوق ، وقد بقي في بغداد حتى نهاية عام ١٩٢٢ م،حيث عاد الى البصرة وافتتح مكتبا للمحاماة فيها ،مواصلاً إضافة إلى ذلك نشاطه الصحفي ، وقدعارض بشدة معاهدة ١٩٣٠م،الأمر الذي دفع بحكومة نوري السعيد الأولى(٣\٢٣-١٩٣٠-١٩\١٠ ١\١٩٣١م) الى نفيه لمدينة عانة لمدة وجيزة ، وقد انتخب نائبا عن البصرة في المجلس النيابي عام ١٩٣٥م ،والذي جاء بحكومة ياسين الهاشمي ذات التوجه العروبي ،وعلى اثر حل المجلس اعتزل النشاط السياسي وعاد إلى البصرة نهائيا ،وانصرف إلى الأعمال الخيرية والنشاطات الثقافية إلى حين رحيله في ١٩\١١\١٩٥١م ،عن ٦٦ عاما ،حيث دُفن في مدينة الزبير .



اعجاز القران و تهافت المترجمين

عرض وتقديم



بقلم/ أ٠د٠نهاد فليح حسن العاني
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

ختمت دار الشؤون الثقافية العامة / سلسلة ترجمان/ نتاجها العلمي لعام٢٠١٤ م بالكتاب الموسوم (اعجاز القرآن وتهافت المترجمين) للمترجم والباحث العراقي عزيز عارف، وسبق للدار ان نشرت للباحث نفسه كتاب(نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم ــ بالانكليزية و(الفرنسية) وضمن سلسلة الموسوعة الثقافية رقم (١٩) لسنة ٢٠٠٥ م .

ولم يتأت هذا العمل ــ في تقديرنا ــ الا لمن اتقن اللغتين الانكليزية والفرنسية اتقان الباحث المتخصص، ويبدو من سيرة المؤلف الذاتية انه تعلم اللغة الانكليزية في لندن واللغة الفرنسية في باريس، والجانب الآخر الذي ساعده على انجاز هذا النتاج العلمي الرصين المحكم اهتمامه بالدراسات الفلسفية ولاسيما ما يتعلق بالفلسفة الاسلامية والفكر الصوفي منها و لغتها على ما سنقدمه من مواضع في هذا العرض .



إذ نشر الباحث ــ وما يزال ــ سلسلة مقالات في مجلة المورد عن الفكر الفلسفي عند ابن

عربي(ت٦٣٨ هـ) الفيلسـوف الصوفي منذ عام(٢٠١٢م)،وله كتاب: فلسـفة اللغة الصوفية تحت الطبع قسم التأليف والنشر/دار الشؤون الثقافية العامة .

ويسعدنا في هذا المقام ان نقدّم لقرّاء المورد الكرام عرضا وتقديما لكتابه الصادر حـديثا: اعجاز القرآن وتهافت المترجمين .

اولا : المقدمة

يذكر في المقدمة سرّ اعجاز لغة القرآن الكريم، أنه عربي فاذا استبـدلت لغته بـلغة اخرى فقـد جرّدته من سـرّ اعجازه ولم يعدْ يسمى قرآنا، ويؤكد القـرآن نفسـه ذلك في اكثر من ثمانية مواضع وفي سـور مختلفة هذا السرّ ،منها قوله تعالى:((وكذلك انزلناه قرآنا عربيا)) سورة طه ١١٣، ثم يقدّم الباحث آراء من قـال في اعجاز النظم القـرآني من العلماء ومن البـلاغيين والنقـاد واللغويين ومنهم ابو بكر الباقـلاني (ت ٣٠٤هـ) في قوله عن سرّ الاعجاز:(وله اسـلوب يختص بـه ويتميز في تصرفه عن اسـاليب الكلام المعتاد)[١] ثم يسرد المؤلف نصوصا وشواهد من القـرآن الكريم توضح سـرّ الاعجاز في المفردة اللغوية الواحـدة التي لو استبـدلت لتبـدد الاعجاز ، منها ما ذكره اصحـاب الاعجاز نحو قـوله تعالى:(وهمّت كل أمر سولهم ليأخذوه)سورة غافر٥،وهل وقعت في الحسن موقع قـوله تعالى:(ليأخذوه) كلمة؟ وهل تقوم مقـامها في الجزالة لفظة ؟ وهل يسدّ مسده في الاصالة نكتة؟ هكذا يتسـاءل الباقلاني؟ لو وضع (موضع ذلك (ليقتلوه) او (ليرجموه) او (ليذلوه) ونحو هذا ما كان ذلك بديعا ولا بارعا ولا عجيبـا ولا بـالغا ، فانقد هذه الكلمة وتعلم بـها مـا تذهب اليه من تخير الكلام وانتقاء الالفـاظ والاهتداء للمعاني)[٢] .



منهج الكتاب: يقـع محـتوى الكتاب في جزئين **الاول:** يتناول بالنقـد الموضوعي نماذج من الخلل في ترجمات باللغة الانكليزية لنصوص قرآنية من ترجمات(مولانا محمد علي و عبد الله يوسف علي والمستشرقين من المترجمين بـيكثول ورودول وآربـري و داوود) ويشير المؤلف الى ان نشـر ترجمة هذه النصوص ونقدها ودراستها لم يسبـق اليه بل هي اضافة جديدة لم تنشرمن قبـل. ومنهجه في عرض كل ترجمة منها ان تُثبت ــ على سبـيل المقـارنة والموازنة ــ

ترجمات اخرى لمعنى النص نفسه هدفه من ذلك ان يدل بالموازنة ما في الترجمة موضوع النقد من جوانب الخلل ومن ثم الردّ على من يتوهم ان طبيعة الترجمة والنقل من لغة الى اخرى تقتضي وقوع مثل هذا الخلل، ويرى في منهج الموازنة كشفا عن جوانب من الاختلاف فيما بينها ومدى قرب بعضها من معنى النص وملامسته وابتعاد بعضها الآخر عنه.

والجزء الآخر: تناول فيه بالنقد الموضوعي جوانب من الخطأ والخلل في ترجمة المستشرق الفرنسي الاستاذ بلاشير – باللغة الفرنسية – لنصوص قرآنية تجاوزت اربعين نصا هي الاخرى لم تنشر من قبل .

اذن الكتاب يضم في جزئيه نماذج من الخلل والتقويم في سبع ترجمات لمعاني القرآن هي : ترجمة مولانا محمد علي الصادرة في الهند عام ١٩٣٥م، وعبد الله يوسف علي في الهند ١٩٣٤م ومحمد مار مادوك بيكثول الصادرة في لندن ١٩٣٠م، وترجمة رودول الصادرة في انكلترا عام ١٩٠٠ م، وترجمة ارثر جون اربري الصادرة في لندن ١٩٦٤م وترجمة : ناجي داود الصادرة في لندن ١٩٨١م و الترجمة الفرنسية لـ ريجي بلاشير الصادرة في باريس عام ١٩٥٧ م .

وعرف المؤلف بهذه الترجمات جميعا في تمهيد دراسته مشيرا الى الاسم الكامل لكل ترجمة ومراكز نشرها واصدارها في العالم والنشرة المعتمدة في الدراسة والاحالة في الهامش اليها .

ويعزو في مدخل دراسته اسباب هذا الخلل – في الأعم الاغلب – الى جهل او غفلة من المترجم نفسه ومنها – في حدّ محدود – جاءت عن قصد متعمد افتراء على الله كذبا.[٣] او عدم تمكن المترجم من اصول اللغة العربية ونظامها في الصيغ والتراكيب والاشتقاق والاساليب اوعدم احاطة المترجم بالوجوه البلاغية والبيانية ولاسيما ما يتعلق بالنظم القرآني، او يعزو السبب الى افتقار المترجم لمعرفة علوم القرآن والحديث الشريف واحوال المقال والمقام في النصّ كاسباب النزول والدلالة السياقية والقرائن اللفظية والمعنوية المحيطة بالنصّ او جهلهِ بنظام العربية في التصنيف الجنسي – المذكر والمؤنث – واساليب اللغة في الاشارة اليهما،او دلالة المفردة



اللغوية على العدد فــي الافــراد والتثنيــة والجمع، او قد يجهل المترجم دلالة الصيغة الصرفية على قسم معين من اقســام الفاظ اللغة كالاســــــمية والفعلية والوصفية والمصدرية والمشتقــات الوصفية كاســم الفاعل واســم المفعول والصفة المشبــهة واســم التفضيل واســـناد الخطاب الى المجهول او المعلوم.

ومن تســاؤلاته في هذه الاصول مثلا ـ قــوله : كيف تجوز ترجمة بلاشــير لقــوله تعالى:(استغفر لنا) بمعنى (اغفر لنا) وفي الاولى معنى الطلب وفي الاخــرى معنــى الامر من ادنى الى اعلى؟سبحان الله وترجمة لفــظة (والــديّ) للمثنــى ـ الأم والأب ـ بمعنى(أبــي) بــصيغة الافراد؟ وفي ترجمة مولانا محمد علي وبيكثول ورودول ـ مثلا ـ لفظة(بنــون)وهم الابناء من الذكور حصرا تترجم الى معنى (الاولاد) وهو في العربية لفظ عام مطلق يشــمل الذكور و الاناث؟ ان مثل عدم الدقة هذه او ســوء فهم خصائص العربية ونظامها تترتب عليه اساءة بــالغة الى كتاب الله الكريم والمترجم مسؤول عنه ويتحمل وزره .



ان مثل هذا التهافت عند المترجمين قــد شــــخصه المؤلف في مباحــــث هذا الكتاب(اعجاز القرآن وتهافت المترجمين) واشار في هوامش منظمة ودقيقة الى موضع كل منها كما صدرت عن مترجميها ثم يختــم مقدمته بقوله تعالى:((انا نحــن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) سورة الحجر ٩ .

عرض المحتويات

قدّم المؤلف في مطلع الجزء الاول من الكتاب نماذج من الخلل في ترجمة عبــد الله يوســف علي التي صدرت بــعنوان(ترجمة معاني القــــــرآن الكريم) في لاهور عام ١٩٧٧م ومنهجه ان يضع النص القــرآني الى جانب ترجمته الانكليزية ثم يعلق علــى الترجمة ويشــــخص مواضع الخلل فيها .

وأولى ملاحظات المؤلف عزيز عارف، نذكر منها:

١ـ ان المترجم يسقــط لفظة من النص ـ مثلا ـ اسقاط لفظ الجلالة "الله " من قــوله تعالى:(وليتق الله ربّه) سورة البقرة ٢٨٣ .

وترجمته :

((and let him fear his lord))

ان الترجمة اسقــطت لفظ الجلالة "الله" فلم يظهر لها اي معنى ولا اشــارة في الترجمة

في حـــين التزمت الترجمات الاخرى ذكرها (allah) فكانت مقبولة المعنى .[٤]

٢ــ ســو ء فهم التصنيف الجنســـــي في العربية ودلالته الفقهية ، من نحــو قــوله تعالى: ((من عمل صالحـــا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحييه حياة طيبـــة)) ســورة النحل ٩٧ .

ترجمة النص عند يوســف عبـدالله جاءت مختلفة المعنى لان عبارة النصّ(من ذكر أو انثى) واضحة وترجمتها (رجل او امرأة) (man or woman) وهذا خلل في المعنى لان كل رجل انما هو ذكر وليس كــل ذكــر رجلاً وان كل امرأة هي انثى وليس كل انثى امرأة والرجل في فقه اللغة من بــلـغ ســن الرشـــد والمرأة كذلك وهذه الترجمة تخرج كل القـــاصرين من الذكور والقـــاصرات من الاناث ومن هنا وقع الخلل في الترجمة .

٣ــ سوء فهم الدلالة المعجمية للألفاظ مثلا: الرسول والنبيّ.

قال تعالى :(يا ايها النبي حسبـــك الله ومن اتبعك من المؤمنين) الانفال ٦٤

جاء في النص نداء(يا ايها النبيّ) وترجمة عبد الله يوسف علي (يا ايها الرسول) (oApoti) وفرق في المعنى بين النبــي والرســـول اذ معلوم ان كل رســـول انما هو نبيّ ولكن ليس كل نبي رسولا .

... في حــــين التزمت الترجمات الاخرى عبارة(يا ايها النبـــيّ) كما وردت في النصّ ((prophet أوophophete))قال الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هــ):((الرسول يقـــال لمتحمل القول والرسالة والرســول يقـــال للواحد والجمع وَرُسُــل الله تارة يراد بـــها الملائكة وتارة يراد بها الانبياء والنبـــيّ من النبوة الرفعة وســمي نبـيا لرفعة محــله ومقامه عن سائر الناس والنبوة والنبـــاوة الارتفاع والنبي بغير الهمز ابلغ من النبيء بـــالهمز [٥]، يذكر المؤلف من المعلوم ان كل رسول انما هو نبي اذ يتصف الرسول بصفتي الرسالة والنبوة ولكن ليس كل نبي رسولا اذ يتصف النبي بالنبوة وحدها ومن هنا جاءت الترجمة في كثير من المواضــع مختلفـــة المعنى لانها لم تميز الفرق الدلالي بـــين الالفاظ وعدها المترجم من مترادف اللغـــة (اعجاز القرآن وتهافت الفلاسفة:ص ١١٣).

٤ــ سوء فهم الدلالة الاصطلاحية للألفاظ :

ذكرالمؤلف سوء فهم المترجمين لدلالة

الالفاظ الاصطلاحية في النص القـرآني،مثلا لفظة (القصاص) في قوله تعالى : ((يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والانثى بـالأنثى)) البقرة ١٧٨.

وردت في النص القرآني لفظة (القصاص) وهي تنطوي على معنى الجزاء وفي النص جزاء على فعل القتل، وفي ترجمة يوسـف عبد الله علي جاء القصاص بمعنى(قـانون المساواة)(The Law of quality).

(وهذه الترجمة في رأي الباحـث لا تؤدي معنى القصاص لأنها تفتقـد معنى الجزاء وهو المطلوب في سياق النصّ(والقصاص ان يفعل به مثل فعله من قـتل او ضرب او قطع اوجرح والقصاص الاسم) ذكر الشريف الجرجاني(ت ٨١٦ هـــ) فـي التعريفـات: القـصاص هو ان يفعل بـالفاعل مثل ما فعل[٦].

٥ــ عدم توخي الدقـة في ترجمة النص ولاسيما ترجمة المفردة المكررة في النصّ نفسه:

ذكر المؤلف من ملاحظ الافتقار الى الدقة في ترجمة المفردة قـوله تعالى: (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبـلك) سورة البقرة ٤ .

وترجمة النص :

And who believe in the Revelution) sent to and sent before the time)

لاحظ في النص القرآني تتكرر عبارة (ما أنزل) بصيغة المجهول مرتين الاولى: بمعنى ما أنزل اليك يا محـمد وهو القـرآن، والاخرى(ما أنزل من قبـلك) اي التوراة والانجيل. لكن في الترجمة ترد مرة واحـدة بمعنى(The Revelation)

اي التنزيل والترجمة بـهذه الصورة من الاضطراب توهم القارىء بـان ما انزل الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو نفسه التنزيل الذي انزل من قبله وهذا وهم محتمل كان الأولى بالمترجم ان يدفعه فيكرر ترجمة العبـارة ما أنزل مرتين ملتزما معنى النص في حين الترجمات الاخرى عند محمد علي و بيكثول و رودول وبلاشـير التزمت تكرار العبارة وهو الأصح والأدق[٧].

And who believe in that which) has been revealed to you and that which was revealed before you.)



٦ـ التقديم والتأخير في عناصر النصّ

تتعلق ببلاغة النصّ وفصاحته من علم المعاني والبيان ظاهرة التقديم والتأخير في عناصر النصّ ومكوناته،اذ لكل كلمة موضعها الذي يفرضه النظام التركيبي للجملة من رتب الكلام كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل والمفعول والعمدة في الكلام والفضلة وغيرها، ومن مزايا الاسلوب ما يدعو الى نقل بعض عناصر الجملة التركيبية من موضعها وهذا التغيير له ما يسوغه من الناحية المعنوية والبلاغية وهو ليس بالأمر الجزاف او الاعتباطي لان للتقديم والتأخير في المواضع اغراضا التزم بها التركيب، قال سيبويه:(كأنهم انما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه اعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم)[٨] ولم يلتفت بعض المترجمين الى هذه الظاهرة واثرها في دلالة النصّ واعجازه من ذلك ما ذكره المؤلف في ترجمة قوله تعالى:(و ليتق الله ربّه) البقرة ٢٨٢ ، وترجمة عبد الله يوسف علي :

(But Let him fear his lord God)

نلاحظ على هذه الترجمة انها تفتقر الى الدقة ، لماذا لأنها اخرت لفظ الجلالة (الله) وقدمت لفظة (ربّه) خلافا لترتيب النص ومن دون ان تفطن الترجمة الى دلالة لفظ الجلالة واهميتها في التقديم[٩] بينما التزمت الترجمات الاخرى مواضع المفردات في النصّ مدركة اهمية ذلك وقد سجلها المؤلف مشيرا اليها في مظانها .

٧ـ سوء فهم بعض الترجمات للدلالة العددية للكلمة

من خصائص اللغات السامية دلالة الكلمة على عدد معين بين الافراد والتثنية والجمع، ولاحظ المؤلف ان بعض الترجمات قد اساء اهمية هذه الدلالة في النص والعدد المقصود حصرا في التعبير نحو ترجمة قوله تعالى:(ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون)يونس ٤٤، وترجمة عبد الله يوسف علي :

verily God will not deal unjustly) with men in aught it is man that wrongs his own sout.)

في النص لفظة (الناس) اسم جمع له مفرد من لفظه او من معناه وتكرر مرتين فيه، اما الترجمة فجاءت بصيغة المفرد"man"اي الانسان ومفهوم ترجمته: ان الله لا يظلم الانسان شيئا ولكن الانسان هو الذي يظلم نفسه. ومقارنة هذه الترجمة بالترجمات



الاخرى مثل ترجمة محمد علي و بيكثول و رودول و بلاشير نجدها جميعا قد التزمت اللفظة الدالة على الجمع.

(surely Allah does not do any injustic to men but men are unjust to them selves.)

٨ ـ سوء فهم الدلالة الصرفية للكلمة وصيغتها: المعروف ان النظام الصرفي لأي لغة يقوم على مجموعة من المباني تقابلها طائفة من المباني كمباني الافعال و مباني الاسماء ومباني الصفات ولكل مبنى او صيغة دلالتها الصرفية ولاسيما الصيغ او المباني المشتقة الوصفية والاسمية كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم المفاضلة واسمي الزمان والمكان ولكل منها دلالتها الصرفية الثابتة في النظام .

وكشف المؤلف عدم دقة لغة المترجمين في اختيار الصيغة المناسبة ودلالتها في الاستعمال اوفي النصّ، مثل ترجمة قوله تعالى:((ولكن اكثر الناس لا يؤمنون))هود ١٧ وترجمة عبد الله يوسف علي:(yet many among men do not believe) (اذ لم يلتفت المترجم الى الفرق بين (افعل)و(فعيل): اكثر وكثير والاولى للمفاضلة بين المؤمنين وغيرهم ممن لا يؤمنون في العدد او الكثرة والاخرى للوصف الثابت والنصّ يريد(اكثر الناس)اي اغلبهم عددا من غيرهم اما الترجمة فتقول: (كثير من الناس) (many a mong men)

ولا يعني هذا اغلبهم بل صفة عامة ومن هنا وقع الخلل في الترجمة، وموازنة مع الترجمات الاخرى نجدها قد التزمت المعنى المقصود وعبرت عن (اكثر) بكلمة (most) نحو ترجمة محمد علي :

(But most man do not believe)

أو (But most of mankind believe)

والقسم **الثاني** من الجزء الاول خصه المؤلف في: جوانب من الخلل في ترجمات شتى عرض فيه نصوصا من القرآن الكريم تمثل في اعجازها دقة العبارة وسعة المعنى ومن ثم قصور ترجمات مولانا محمد علي و رودول وبلاشير عن ادراك المعنى الدقيق العميق لهذه النصوص وكأنها اشتركت في الخطأ او سوء الفهم نفسه .

مثلا لفظة (بنون) في نصّ قوله تعالى: ((المال و البنون زينة الحياة الدنيا)) الكهف ٤٦.

رأى المؤلف ان اربع ترجمات قد اخطأت في ترجمة معنى النص وخطؤها في لفظة(بنون)



بمعنى(children) بدلا من المعنى الصحيح (sons)ان لفظة بـنون الواردة في النصّ يقتصر معناها على جنس الذكور فقـط في حين ان لفظة (children)

تضم معنى الجنسـين معا ذكورا و اناثا ومن هنا وقع الخلل في الترجمة[١٠]، ذكر الراغب الاصفهاني[١١]: وجمع ابن ابـناء وبـنون ويقال في مؤنث ابن:ابـنة وبـنت والجمع بنات، قال تعالى:((هؤلاء بـناتي هن اطهر لكم)) هود ٧٨، وخاطب بذلك اكابر القـوم وعرض عليهم بناته .

اما ابن وبنون فجاء في قوله تعالى:((وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة)) النحل ٧٢.

ذكـر المؤلـف: ان المعاجـم الانكليزيـة المعتمدة تفرق في المعنى بين كلمة(child) وكلمة(son) اما كلمة

(child) فيجمع معناها الذكـر والانثـى وكلمة(son) يقـتصر معناها على الذكر وحده (male) على النحو الآتي:

(child ;npl .children caboy or girl)

ويستمر المؤلف في عرض قـائمة من خلل الترجمات الاربعة في الالفاظ اوفي فهم النصّ بشكل عام مثل الفرق بين[١٢]:(السارق) و(السارقة) وقـوله تعالى:(لم يتسـنه) في قوله تعالى:(فانظر الى طعامك وشرابـك لم يتسنه) البقـرة ٢٥٩،اي لم يتغير بـمرور السنين،او ملاحظة دقـة النص القـرآني في توجيه الخطاب ،اواسقـاط لفظة من النص، والفرق بين (آنظرونا) و (أنظرونا) والفرق في دلالة صيغ الافعال بين الماضي والحاضر والأمر .

والفرق بـين دلالة صيغ الخالق عزّ وجلّ: السميع والبـصير والعالم والعليم والقـادر والقدير وبين صيغ افعالها: سـمع وبـصر وعلم وقـدر، والفرق بـين الالفاظ غير المترادفة مثل النبي والرسول .

الجزء الثاني: خصّ المؤلف الجزء الثاني من الكتاب لترجمة بلاشير بـاللغة الفرنسـية و نشر بلاشير ترجمته بعنوان:(القـرآن ترجمة ريجي بلاشير الاستاذ في السوربون من اللغة العربية).

ونشر سنة ١٩٢٣ م، في القـاهرة واعتمد المؤلف في دراسته النشـرة الثانية الصادرة في باريس ١٩٥٧ م.

مهّد المؤلف لهذا الجزء بـإضاءة مختصرة عن المترجم في سـيرة ذاتية اما



ترجمته فوصفها بانها مشحونة بـالأخطاء وطافحة بـجوانب شـتى من الخلل وقـدم للقارىء نماذج كثيرة من اخطاء هذه الترجمة واساءتها الى فهم النصّ القرآني : اهمها

١ــ اسقاط كلمة او اسقاط عبـارة كاملة، مثلا اسقاط عبارة: (قال يا نوح انه ليس من اهلك)من ترجمة الآية ٤٥ ــ ٤٦ من سورة هود .

اذ تجاهل بلاشير العبارة هذه ولم يظهر لها في ترجمته اي معنى ولا اشـارة فخرج بذلك عن امانة الترجمة .

واسقط من ترجمة قـوله تعالى:(هذا ما كنزتم لأنفسـكم فذوقـوا ما كنتم تكنزون) التوبة ٣٥، لاحـظ المؤلف اسقـاط لفظة (لأنفسكم) من النص المترجم وكأن لا وجود لها في النص ّالقرآني واغفل المترجم بلاشير لفظة(يعقوب) ــ عليه السلام ــ في مواضع ترجمته فلم يظهر لها اي ذكر او اشارة في ترجمته وكأن لا وجود لهـا فـي النـصّ، ويثبت اللفظة نفسها في مواضع اخرى من ترجمته مما يدل على تهافت ترجمته،مـن نحو قوله تعالى:(ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) مريم٤٩ ومثلها في سـورة الانعام ٥٤ وسورة الانبـياء ٧٢ و سـورة العنكبوت ٢٧،(ينظر:اعجاز القـرآن وتهافت المترجمين١٣٩).



٢ــ سوء فهم الدلالة الوضعية للألفاظ، نحو ترجمة قوله تعالى:(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاصفي القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبـد والانثى بـالأنثى) سـورة البقـرة (١٧٨)، وعبارة(الأنثى بالأنثى) الواردة في النص قد جاءت في ترجمة بلاشير بـمعنى (المرأة بالمرأة) وعلى النحو الآتي:

(Lu femme contre La femme)

وتعليق المؤلف : من المعلوم ان كلّ امـرأة انما هي انثى ولكن ليس كـلّ انثـى امـرأة والمرأة في التعريف المعجمي: انها انسـان انثى بـالغة سـنّ الرشـد فأخرجت ترجمة بلاشير من النصّ الفتيات والصبايا القاصرات اللاتي لم يبلغن مبلغ النساء ومن هنا وقـع الخلل في الترجمة ولم يفرق المترجم ايضا بين(المرأة)و(العجوز)في مصطلح الاستعمال مثل ترجمة قـوله تعالى:((وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين))الصافات ١٣٣ــ ١٣٥وترجمة هذا النص تفتقر الى الدقـة لان عبـارة (الا

عجوزا) الواردة في النص القرآني قد جاءت بمعنى (الا امرأة) وعلى النحو الآتي:ومثله لم يفرق المترجم بين الأصم و الأبكم في قوله تعالى: (اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم) محمد ٢٣، لاحظ المؤلف على ترجمة النصّ التحريف و اختلاف المعنى ذلك لان اللفظ (فأصمهم) معناه (جعلهم صما لا يسمعون) اما في ترجمة بلاشير فقد حرف هذا اللفظ الى معنى (فأخرسهم)من الخرس وهو عدم القدرة على الكلام اي جعلهم بكما اما الصمم فهو فقدان حاسة السمع وهو انسداد الأذن وثقل السمع وبه يوصف من لا يصغي الى الحقّ و لا يقبله، اما الاخرس فهو الذي لا يقدر على التكلم والفرق واضح بين الحالتين. وترجمته(Muets)،أي بكم كما جاءت في الترجمة.

٣ـ اغفال العلاقة بين المتضايفين ـ المضاف و المضاف اليه:

قال تعالى:(فاكهين بما آتاهم ربّهم) الطور ٨١، ترجمة بلاشير :

Jouissant de ce que Le seigneur)
(Leur a accord

نلاحظ ان اللفظة (ربهم) الواردة في النص قد جاءت في الترجمة بمعنى(الرب) مجرد عن الاضافة الى الضمير (هم) الذي يشير الى الابرار المتقين تشريفا لهم ومن الواضح ان الترجمة لم تلتفت الى دلالة الاضافة واهميتها في النص في التخصيص والتعيين للمقصود.

٤ـ سوء فهم عودة الضمير(الشخص) الى الغائب او المتكلم او المخاطب قال تعالى:((وما منّا الا له مقام معلوم)) الصافات ١٦٤ .

لاحظ المؤلف ترجمة النصّ مختلفة المعنى لان عبارة النصّ (وما منّا) للمتكلم وقد انقلب معناه في ترجمة بلاشير الى(وما منكم) للمخاطب. وهذا قول الملائكة تعظيما لله ـ عزّ و جلّ ـ وانكارا منهم عبادة من عبدهم وترجمته.

nest parmi vous personne qui)
(nait une place marguee

ومثله في ترجمة قوله تعالى :(سَوأء عليكُم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) الاعراف١٩٣، عبارة (سواء عليكم) للمخاطب انقلب معناه في الترجمة الى(سواء عليهم) على النحو الاتي :

(egal est pour eux)

للغائب ومن هنا جاءت الترجمة مختلفة



المعنى .

وقــوله تعالى:((وقــــالوا ياويلنا هذا يوم الديــن)) الصافات ٢٠ ،يــرى المؤلــف ان المترجم قد اساء فهم استعمال الضمير في لفظة (يا ويلنا) فهو للمتكلميــن امــا فــي ترجمة بلاشير فمعناه يا ويلكم

(Malheur a vous)

للمخاطبين ومن هنا جاءت الترجمة مختلفة المعنى والشــيء نفســه في ترجمة لفظة (رسلهم) للغائب اذ جاءت ترجمتها (رسلنا) (NosApotres)للمتكلمين في اكثر مــن موضع، و(رســلهم) اي الرســـل الذين ينتسبــون اليهم ويعرفونهم حــقّ المعرفة وكذلك لاحـــظ المؤلف في ترجمة الضمائر الاخرى في النصوص مثل (منكم) و(منهم).

ان خلفية الباحــث ومعرفته بــــالفكر الفلسفي الاسلامي ولا سيما الفكر الفلسفي الصوفي ســاعداه على تشــخيص مواضع الخلل في الترجمات التي تعرض لها ومنها فكرة: الوجود المطلق لله سبحــانه وتعالى في كل زمان، ولكن جاء في ترجمة قــوله تعالى:

(قال لا تخافا انني معكما أسمع و أرى) طه٤٦



الفعلان:(أسمع وأرى لمعنى الحضور الدائم وانما هو سبحانه ابدا في الحــاضر وزمن الفعلان في النص يدلان على الحضور الدائم اما في ترجمة بلاشــير فقــــد ورد الفعلان بصيغة الزمن المستقبل:

(Jentendral et verrai)

((أسمع وسأرى)).

اذ جعلت الترجمة لله توقيتا والله سبحانه في كل آن وعلى الدوام يسمع ويرى لان وجوده مطلق فلا يصحّ اذن المعنى الذي جاء فــي هذه الترجمة[١٣] .

ومن ملاحـــظات المؤلف على ترجمة بلاشير، انه يقحــم في الترجمة الفاظا غير موجــودة فــي النــص مثـــل لفـــظ الجلالة(الله)اولفظة(فرعــون) واضافـــة الضمير هم الى الفعل(ابـــصر) ليترجمه الى (ابصرهم) (VoisLes) والفرق كبــير في المعنى بين الأمر بالبــصيرة وبــين قــوله تعالى(وجعلهم يبـــــصرون). وفرق في المعنى بين (أبــصرَ) و(أبــصرهم) كما في الترجمة.

مقابل هذا لاحظ المؤلف على ترجمة بلاشير اسقاط آيات قــرآنية كاملة من النص، مثل

اسقاط عبارة(ثم اغرقنا الآخرين) الصافات ٨٢، من ترجمة النص وقوله تعالى:(كذلك نجزي المحسنين)الصافات ١١٠، اذ اسقطها من ترجمة النص ويعلق على هذه الظاهرة: تقتضي امانة الترجمة على المترجم ان يلتزم معنى النص لا ان يتصرف فيه تحريفا او تغييرا او نقلا من موضعه او اسقاطه لأنه مكرر في النصّ كما يتراءى له ويتوهم[١٤]،واخيرا توافينا الخاتمة بمآخذ المؤلف على ترجمة بلاشير واهمها مأخذه على ترجمة لفظة(قرآن) في كل المواضع التي وردت في الترجمة نحو قوله تعالى:(ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل)الاسراء ٨٩، ونحو قوله تعالى: ((ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل))الكهف ٥٤، في ترجمة بلاشير جاءت لفظة (القرآن) الواردة في هذين النصين على نحو(predication) بمعنى خطاب او موعظة او انذار او بشارة كما هو ثابت في المعجمات الفرنسية .

وهذه الترجمة لا تدل اطلاقا على معجزة الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وكتاب المسلمين ودستورهم، والقرآن لفظة قد اصابها التطور الدلالي خصّ بها الكتاب المنزل على محمد نبي الاسلام ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فصار له كالعلم مثل التوراة والانجيل. والمأخذ الآخر ان المترجم لم يفطن الى اهمية التقديم والتأخير في لفظ (للناس) في الموضعين [١٥] .

وينهي المؤلف كتابه بفهرس للمحتوى اما قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة والبحث فقد اشار الى تفاصيلها في مواضعها من الهامش. ان لهذا الكتاب ميزة في اسلوب التأليف المختصر، وفي قدرة الباحث على ابراز وتشخيص مواضع الخلل في ترجمة النص القرآني وسوء فهم المترجم لمضمون النص وهدفه تنبيه ذوي الاختصاص الى عدم الأخذ بظاهر هذه الترجمات من دون تدقيق لترويض ذاكرتهم وتحريك مجسّات القراءة عندهم نأمل ان يستفيد المترجمون من هذه الدراسة وان يتلافوا ما وقع عند غيرهم من اوهام اذا ارادوا التماس النفع، وقراءة هذا الكتاب بعناية وتعمق ليصلوا الى هدف المؤلف، واهم ما فيه انه ممتع القراءة اتّصف بحكمة المؤلف في اختيار نصوصه وتميز اسلوبه بالسلاسة



والانسياب في عرض الموضوعات ولا سيما عبارته المتكررة في كل موضع: ولعل سائلاً يسأل اين الفرق في المعنى ؟ ــ في صيغة السؤال وجوابه ــ وعباراته الأخرى: نلاحظ هذه الترجمة انها مختلة المعنى، لماذا ؟ وعبارة: ونلاحظ هذه الترجمة قد اخلت بمعنى النصّ، لماذا ؟ يستحق هذا الكتاب مكانا مرموقا في مكتبات كليات اللغات واقسام الترجمة واقسام اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية في كليات الآداب والتربية واعتماده مرجعا في الدراسة والتعليم والبحث .

الهوامش والاحالات

(١) اعجاز القرآن،الباقلاني: ٣٥، واعجاز القرآن وتهافت الفلاسفة : ٧ .

(٢) اعجاز القرآن للباقلاني : ١٧٩ و١٨٩ واعجاز القرآن وتهافت المترجمين : ١٠.

(٣) اعجاز القرآن وتهافت المترجمين : ١٥.

(٤) المصدر نفسه ٢٨ .

(٥) مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، مادتي : رسل و نبي، ط١ ، بيروت ١٩٩٦م.

(٦) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٩٩ ، بغداد ١٩٨٦ م.

(٧) اعجاز القرآن وتهافت المترجمين: ٥١ ــ ٥٢.

(٨) كتاب سيبويه ١ / ٣٤ ، بيروت ١٩٨٥ م .

(٩) اعجاز القرآن وتهافت المترجمين :٥٣.

(١٠) المصدر نفسه : ١٠.

(١١) مفردات الفاظ القرآن مادة بني ، ص ١٤٨.

(١٢) اعجاز القرآن وتهافت المترجمين : ١٢٥.

(١٣) المصدر نفسه : ١٦١.

(١٤) المصدر نفسه : ١٧٥.

(١٥) المصدر نفسه :



التَحَوُّل الصَّوتِي في البِنيَة المقطَعيَّة لحُروفِ المَعَانِي



بقلم/ د. لطيف عبد السادة سرحان
الجامعة التقنية الوسطى

مقدمة.

دراسة البنية المقطعية لحروف المعاني لاتعني تمييزها صوتياً عن بقية البنى الصرفية في العربية ، إنَّما هي منتزعة من النسيج المقطعي فيها ، إلا أنَّ بُغية الوقوف على التحولات الصوتية والتغييرات التي تطرأ على هذه البنية – لما لها من أهمية في السياقات اللغوية المختلفة – كانت وراء هذه الدراسة. إذ تتغير بنى حروف المعاني في بعض السياقات والتراكيب اللغوية ، فيطرأ عليها حذف أو زيادة أو تغير حركتها من حيث الطول والقصر، أو تنوع صوتي بتبادل أصواتها فيما بينها وما إلى ذلك من التحولات الصوتية المختلفة .



وقد جاءت دراسة(التحول الصوتي في البنية المقطعية لحروف المعاني) ليكون الكلام على ذلك في مبحثين: الأول : وقف فيه البحث عند(أثر النظام الصوتي) في العربية على هذا التحول ، ويظهر هذا الأمر في قسمين : الأول : (التركيب) ويراد به تركيب الكلام ونظمه وتتضح

مصاديق ذلك في كيفية التخلص من التقـاء الساكنين،وما يعتري بنية(أل) التعريف وعند اتصال بعض اللواحق. والثاني :(التنغيم) بوصفه وسيلة نطقية لبيان المعنى المراد كما في الاستفهام بحروف المعاني . أمَّا المبحث الثاني فاختصَّ الكلام فيه على (الأثر اللهجي) في الاستعمال اللغوي على بنية حروف المعاني ، وجاء هذا الأثر في خمسة أقسام هي:الإبدال والإتباع الحركي والتخفيف والحذف والإمالة.وفي كل من هذين الأثرين(الصوتي واللهجي) صورة جديدة لحروف المعاني كشف عنها التحليل الصوتي بنوعيه الفونيمي والمقطعي .

المبحث الأول : (أثر النظام الصوتي)

يتوخى الناطق العربي السهولة في جل استعمالاته اللغوية والابتعاد عن التعقيد والالتواء اللفظي، الذي لايوائم لسانه أو أذنه المدربة على موسقة الكلام؛ لذا جنح – على وفق النظام الصوتي في العربية – إلى توخي ما يسهل النطق به ما أمكنه ذلك . وبناء على هذا الأمر سيسلَّط الضوء على بنية حروف المعاني التي يحدث فيها تحول صوتي في سياقاتها اللغوية المختلفة، بفعل ذلك النظام ، وسيكون الكلام على هذا في جانبين رئيسين :



أولهما التركيب: ويراد به تأليف الكلام وما يفضي إليه في بعض الظواهر اللغوية كالتقاء الساكنين وما يترتب عليه من النطق في تغيُّر المقطع القصير أو اتصال اللواحق بالحروف وما ينتج عنه من تغيُّر في المقطع الطويل أو توسط الحروف البنى المختلفة كما في (أل) التعريف .

وثانيهما التنغيم : وهو آلة الناطق العربي في كثير من الاستعمالات اللغوية التي يعبر بها المتكلم عما يريد بيانه كما في الاستفهام بحروف المعاني.

أولاً : التركيب .

أ : التخلص من التقاء الساكنين .

لا تخلو بنى حروف المعاني من أن تكون منتهية بصوت صامت أو مصوت ، كما الحال في البنية المقطعية العربية عموماً ، وبناء على هذا التنوع الصوتي فقد تدخل ربقة هذه الظاهرة اللغوية بعض حروف المعاني التي تنقسم – في ضوء هذا المفهوم – على نوعين :

الأول:ما انتهى منها بصامت مثال ذلك:

(أَمْ، بَلْ، هَلْ، عَنْ، مِنْ، قَدْ).

الثاني: ما انتهى منها بمصوت طويل مثال ذلك: (إلى ، على ، لولا، إلاَّ ، حاشا ، عدا ، لا، ربَّما ، إمَّا، أمَّا، ما ، في ، لو). وعند ملاقاة هذه البنى المقطعية ساكناً في الكلمة الثانية عند نظم الكلام تُحدِث ثقلاً يتعسر على المتكلم النطق به في درج الكلام وهو التقاء الساكنين . وقد تخلَّص الناطق العربي من هذا الثقل بتحريك أحد الساكنين أو حذفه تبعاً للحالة الصوتية التي تطرأ على بنى الحروف .

١ - التحريك .

الأكثر فيه تحريك الأول من الساكنين، والغالب فيه أن يحرك بالكسر، (فَجُملَةُ هَذَا البَابِ في التَّحريكِ أنْ يكونَ السَّاكِنُ الأَوَّلُ مَكسُوراً ، وَذَلِكَ قَولُكَ : اضْرِبِ ابنَكَ ، وأكرمِ الرَّجُلَ، واذهَبِ اذهَب و(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ)[1] ؛ لأنَّ التَّنوينَ سَاكِنٌ وَقَعَ بَعدَهُ حَرفٌ سَاكِنٌ ، فَصَارَ بِمَنزِلَةِ بَاءِ اضرِبْ ونَحوِ ذَلكَ ، ومِن ذَلكَ : إنِ اللهُ عَافَانِي فَعَلتُ ، وعنِ الرَّجُلِ ، وقَطِ الرَّجُل ، ولَو استَطَعنَا)[2]. وفي ضوء هذا المفهوم فإنَّ النطق بحروف المعاني المنتهية بصامت، متلوَّة بهمزة الوصل تقرأ بالكسر أي: بنهاية مصوِّتة فيقال مثلاً :(أزيدٌ جَاءَ أَمِ ابنُهُ ؟) و(لَيسَ زَيداً بَلِ ابنَهُ) و (سَأَلتُ زَيداً عَنِ ابنِهِ)و(هَلِ ابنُكَ زَيدٌ؟)و(قَدِ استَطَعنَا) و(لَوِ استَطَعنَا) وما أشبه ذلك.فبنية الحرف خارج السياق اللغوي تلزم السكون نحو:(أمْ) (ءـَم)أي:(ص ح ص) و (بَلْ وهَلْ) (بـَل) و(هـَل)أي:(ص ح ص)،و(عَنْ) (عـَن) أي: (ص ح ص). وعند إبقاء بنية الحرف الأصلية ساكنة يحدث ثقل في النطق، فيعمد المتكلم إلى تحريكه بالكسر في مثل هذه المواضع. ولايعني هذا أنَّ كل التقاء للساكنين هو ثقل يجب التخلص منه بالتحريك أو غيره ؛ إذ البنية المقطعية في اللغة قائمة على ثنائية الصامت والمصوت، فالمقطع في العربية مؤلف من مصوت قصير أو طويل مسبوق بصامت ومتلو بصامت في حال الدرج أو بصامتين في حال الوقف[3]. فحينما يكون المقطع طويلاً مغلقاً منتهياً بصامت(ص ح ص) ويتلوه مقطع آخر في درج الكلام سواء على مستوى البنية أو التركيب، فحينئذٍ يلتقي (صامتان) ساكنان ولكنهما ليسا ثقيلين ولا يجب التخلص من أحدهما كما في بنية الفعل (اضْرِبْ): (ءـِض رـِب) أي : (ص ح ص ص ح ص).

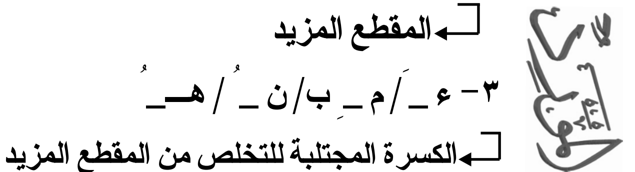
وهذا النسيج المقطعي هو ما ألفته طبيعة



العربية وألسنة متكلميها . والأمر الذي يدعو إلى ثقل الكلام وضرورة التخلص منه في إطار هذه الظاهرة هو ما ذكره القدماء من وجود ثقل وفسره المحدثون بوجود مقطع مرفوض في نسيج البنية المقطعية يتكون عند التقاء الساكنين وهو مقطع(مزيد) (ص ح ص) ومعلوم أمر هذا المقطع من كونه ليس من مقاطع الدرج بل الوقف ، لذا وجب التخلص منه بالتحريك كما مر ، أي : باجتلاب قمة للمقطع المزيد ليؤلف مقطعين أحدهما قصير(ص ح) والآخر طويل مغلق (ص ح ص)[٤] كما في قولنا : (أمِ ابنه) ؛ إذ يحدث الآتي : تسقط القاعدة الأولى والقمة من مقطع الهمزة في درج الكلام فيلتقي سكون الحرف (أمْ) أي القاعدة الثانية لمقطعها القاعدة الثانية لمقطع الهمزة وهي (ب) في ابنه فيتكون مقطع مزيد كما يأتي :

١- ءـَ م / ءـِ ب/ن ـُ/ هـُ

تسقط عند النطق



٢-ء ـَ م ب/ن ـُ / هـُ

المقطع المزيد

٣- ء ـَ/م ـِ ب/ن ـُ / هـُ

الكسرة المجتلبة للتخلص من المقطع المزيد

ويتكرر الأمر نفسه مع بقية الحروف من هذا الباب ويتم التخلص منه بالطريقة ذاتها ، وفي الحالات جميعاً يفضي إلى وجود بنية صوتية جديدة للحرف تظهر في درج الكلام . والمشهور في التخلص من التقاء الساكنين في مثل هذه الحالات اللغوية أن تؤثر الكسرة على غيرها؛ إذ((أَصلُ تَحريكِ التِقَاءِ السَّاكِنينِ الكَسرُ ، فَمَتى حرَّكُوا بِغيرِ ذَلكَ فإنَّمَا هُو للاستِثقَالِ أو لإتباعِ اللَّفظِ اللَّفظَ))[٥]، إلا أنَّ التخلص كان بالفتحة مع الحرف(مِن) في نحو (جَاءَ زيدٌ مِنَ الحَجِّ)أي عند التقائه بـ(أل) التعريف على الرغم من مشابهته بقية حروف هذا الباب من حيث البنية المقطعية ؛ إذ يتألف من مقطع مغلق (مـِ ن) (ص ح ص) . وقد أنتج التقاؤه همزة الوصل مقطعاً مزيداً.(ص ح ص ص) أيضاً كما يأتي :

١- م ـِ ن/ ء ـَ ل/ ح ـَ ج / ج ـِ

تسقط الهمزة عند النطق

٢- م ـِ ن ل / ح ـَ ج / ج ـِ

المقطع المزيد المرفوض

٣-م ـِ /ن ـَ ل/ ح ـَ ج /ج ـِ

الفتحة المجتلبة للتخلص من التقاء الساكنين

والسؤال هنا:لمَ يكون التخلص بالفتحة لا الكسرة في ضوء قول القدماء بأصالة

التخلص من التقاء الساكنين بالكسرة ؟ وقد علل سيبويه(ت ١٨٠ هـ)هذه الظاهرة بطلب الخفة في النطق بقوله:(ونَظيرُ ذَلكَ قَولُهم: مِنَ اللهِ ومِنَ الرَّسُولِ ومِنَ المُؤمِنينَ ؛ لـمَّا كَثُرَتْ فِي كَلامِهِم ولَمْ تَكُن فِعلاً وكَانَ الفَتحُ أَخَفَّ عَلَيهِم فَتَحوا وشَبَّهوهَا بـأَينَ وكَيفَ)[٦]. وعلَّل د.إبراهيم أنيس من المحدثين هذه الظاهرة بأمرين[٧] : الأول إيثار بعض الحروف حركةً معينة كإيثار حروف الحلق الفتحَ على سواه مثلاً . والثاني الميل إلى التجانس الصوتي بين المصوتات المتجاورة ووراء ذلك اقتصاد عضوي في النطق يتوخاه المتكلم دون شعور أو تعمد .

والذي يبدو لي أنَّ القمة المجتلبة (الفتحة) في هذه الحالة هي نفسها قمة المقطع الأول في الكلمة الثانية، أي: مقطع همزة الوصل ؛ إذ حين التقى الساكنان أُسقِطَت الهمزة من الكلام فبقيت قمة المقطع وقاعدته الثانية ، ومن ثَمَّ اجتُلِبَت القاعدة الثانية لمقطع الحرف لتكون قاعدة المقطع الأول للكلمة الثانية ، أي : عِوَضَ الهمزة . وعلى هذا فالمصوت القصير (الفتحة)المجتلب للتخلص من التقاء الساكنين ما هو إلاَّ حركة الهمزة ، والحاصل هو حذف همزة الوصل فقط لا زيادة حركة . والدليل على هذا انَّ (مِن) مع همزة الوصل المكسورة تحرك بالكسر نحو (مِنِ ابنِكَ ، مِنِ امرِئ) أي : هي قمة مقطع الهمزة أيضاً والفرق بين الحالتين هو إن كانت الهمزة مفتوحة حُرك الحرف الساكن قبلها بالفتح ، وإن كانت مكسورة حُرك بالكسر على وفق التحليل الصوتي المار آنفاً .

ومهما يكن من أمر فإنَّ البنية المقطعية لحروف المعاني في الأمثلة السابقة حدث فيها تحول صوتي أعطاها صورة نطقية مختلفة في لسان المتكلم أثناء نظم الكلام ودرجه عن صورتها في حال الوقف أو النطق بها مع بعض الأصوات الأخرى في درج الكلام كاتصالها ببعض الضمائر كما في قولنا:(مِنِّي ، مِنكَ ، مِنهُم) وما أشبه هذا ، إذ لم تتأثر بنيتها ولم تتغير . والذي يلحظ في الحالات السابقة هو تغيُّر مقطعي واضح حيث تدمج بنية الحرف ببنية الكلمة التالية له ويربطهما مقطع صوتي واحد .

٢-الحذف.

هو حذف المصوت الطويل واستبداله بمصوت قصير ، أي : تقصير الطويل في المقطع الصوتي لبنية الحرف ، وهو الساكن عند القدماء إذ يقول سيبويه : (هَذا بَابُ مَا



يُحــذَفُ مِن السَّواكِنِ إذا وَقَعَ بَعدَهَا سَاكِنٌ ، وذَلكَ ثَلاثَةُ أَحرفٍ : الألِفُ واليَاءُ التي قَبلَها حَرفٌ مَكسورٌ والواو التي قَبلَها حَرفٌ مَضمومٌ، فأَمَّا حَذفُ الألِفِ فقَولُكَ :رَمَى الرَّجُلُ وأَنتَ تُريدُ رَمَى)[٨] . أما الدرس الصوتي الحديث فلا ينظر إلى المصوتات الطويلة : (الألف، والواو والياء المديتين) بوصفها حروفاً ساكنة أو متحركة ، بل هي مصوتات أي : حركات طويلة أو قصيرة كالفتحة والضمة والكسرة ، وجميعها يؤلف قمماً إسماعية في المقطع الصوتي ، والقول باحتمال المصوت الطويل للحركة يعني القول بوجود قمتين في المقطع الصوتي الواحد، بخلاف الصوامت التي تؤلف القواعد فيه ، فيمكن أن يحتوي المقطع على أكثر من قاعدة ولا يتجاوز الاثنين في آخره عند الوقف[٩] ومهما كان حجم التباين بين القدماء والمحدثين في هذا الصدد، فإنَّ النتيجة واحدة في الحذف وهي التخلص من الثقل الذي يسببه وجود مقطع من مقاطع الوقف وهو هنا المقطع (المديد) (ص ح ح ص) [١٠]. وقد جاءت طائفة من حروف المعاني المنتهية بمصوت طويل على هذا الحال عند التقائها صامتاً كهمزة الوصل في(أل) التعريف نحو: (في ، على ، إلى ، حتى، حاشا ، عدا، لولا، ربَّما، ما، لا، أمَّا، إلاَّ)، ففي قولنا مثلاً: (زيدٌ في الدار) لابد من تقصير المصوت الطويل (الياء) ؛ لأنَّ في بقائه إنتاج مقطع مرفوض وهو (المديد) كما يأتي :

١ – في حالة عدم الحذف يتكون المقطع المديد (ص ح ح ص) كما يأتي :

ف ـِ د / د ـً / ر ـِ

← المقطع المديد (ص ح ح ص)

٢ – في حالة الحذف يتم تقصير المصوت الطويل ليتحول المقطع المديد إلى مقطع طويل مغلق كما ياتي :

ف ـِ د/ د ـً / ر ـِ

← المقطع الطويل المغلق (ص ح ص)

إذ تميل البنية العربية في كثير من أبنيتها المقطعية إلى تحويل المقطع المديد إلى مقطع طويل مغلق أي : من مقطع الوقف إلى مقطع الدرج . وبناء على هذا فقد حدث تحول صوتي في بنية الحرف المقطعية الأصيلة بتغير نهايتها من مصوت طويل إلى مصوت قصير، ويختلف مظهر هذا التحول باختلاف بنى الحروف في ضوء هذا التفسير وكما يأتي :



بنية الحرف قبل التحول		بنية الحرف بعد التحول	
الحرف	بنيته المقطعية	الحرف	بنيته المقطعية
إمَّا،أمَّا،إلاَّ، حتَّى	(ص ح ص) (ص ح ح)	إمَّ ، أمَّ ، إلَّ، حتَّ	(ص ح ص) (ص ح)
إلى،على،عدا	(ص ح) (ص ح ح)	إلَ،علَ،عدَ	(ص ح) (ص ح)
ما،لا	(ص ح ح)	مَ،لَ	(ص ح)
حاشا	(ص ح ح) (ص ح ح)	حاشَ	(ص ح ص) (ص ح)
لولا	(ص ح ص) (ص ح ح)	لولَ	(ص ح ص) (ص ح)

ب- اتصال اللواحق (الضمائر) .

من حروف المعاني إذا ما اتصلت به بعض الضمائر، حدث تحول صوتي في بنيته المقطعية عند درج الكلام وذلك مع الحرفين (إلى وعلى)،إذ يتألف كل منهما من مقطعين:الأول قصير(ص ح)والثاني طويل مفتوح (ص ح ح) كما الآتي : (ءِ ــ ل)ــً ، عَ ــ ل ــً .

ولكن عند اتصالهما بالضمائر في نحو:(إليَّ وعليَّ) و (إليكَ وعليكَ) و(إليه وعليه) تتغير بنيتها وذلك بتحول المصوت الطويل (الألف)،أي:نصف مصوت وهو (الياء) غير المدية التي هي بين المصوت والصامت ؛ إذ ينجم هذا النوع من الأصوات بارتفاع اللسان فوق نقطة ولادة المصوت فيُحدث ذلك احتكاكاً مسموعاً في النطق[11] مما يجعل قيمتها قيمة الصامت ومن ثَمَّ تسلك سلوك الصوامت[12] كما يأتي :

١- ءــِ ل ــ ي ــ ي ــَ ، ع ــ ل ــَ ي ي ــَ

٢-ءــِ ل ــَ ي ك ــَ ، ع ــ ل ــَ ي ك ــَ

٣- ءــِ / ل ــِ ي/ هـــ ، ع ــ لَ/ ــ يَ/ هــِ

ويقول سيبويه في تعليل هذه الظاهرة : ((وسألتُ الخليلَ عَمَّن قال : رأيتُ كِلا أخويكَ ومررتُ بكِلا أخويكَ ، ثُمَّ قال: مررتُ بكِلَيهمَا فقال: جَعلوهُ بمنزِلةِ عَليكَ ولَديكَ في الجر والنصب ؛ لأنَّهما ظَرفانِ يُستعمَلانِ في الكلامِ مجرورَينِ ومنصوبَينِ فجُعِلَ كِلا بمنزِلتِهمَا حينَ صارَ في موضعِ الجرِّ والنَّصبِ ، وإنَّما شبَّهوا كِلا في الإضافةِ بعَلَى لكَثرتِهمَا في كلامِهم ولأنَّهمَا لايَخلوانِ مِن الإضافةِ))[13]. وقد عللها هو في موضع آخر بقوله : (وأمَّا ما يتغيَّرُ: فلَدَى وإلَى وعَلَى إذا صِرنَ أَسماءً لرجالٍ أو نساءٍ، قلتَ: هذا لَداكَ وعَلاكَ وهذا إلاكَ ، وإنَّما قالوا : لَدَيكَ وعَليكَ وإلَيكَ في غيرِ التَّسميةِ ؛ ليُفرِّقوا بَينهمَا وبينَ الأَسماءِ المُتمكِّنَةِ كَما فرَّقوا بينَ عَنِّي ومِنِّي وأَخواتِهمَا وبينَ هني)[14].والذي يبدو لي أنّ التحول الصوتي في البنية المقطعية للحرف إنَّما كانت وراءه دوافع نطقية تتوخى السهولة واليسر في النطق فضلاً عن إثار الحروف



لبعض المصوتات في إطار التجانس الصوتي .

ج- (أل) التعريف .

تعد السابقة (أل) – في ضوء الاستعمال اللغوي المطرد في أبنية العربية المختلفة – مورفيماً ذا وظيفة دلالية تفيد معنى التعريف ، وعند تركيبها مع ما بعدها ونظمها مع ما قبلها يحدث في بعض أحوالها تحول صوتي في جهتيها السابقة واللاحقة ، كاتصالها بحروف المعاني التي تنتهي بناها بمصوت طويل أو اتصالها بالكلمات ذوات الحروف الشمسية فعند اتصال أحد حروف المعاني بهذه البنية يحدث تحول يسبقها علاوةً على إضافة مصوت قصير للسواكن في نحو : (بل وهل) أو تقصير المصوت الطويل في نحو :(إلى وعلى وفي) كما مرَّ . وعند اتصالها بالكلمات ذوات الحروف الشمسية تختفي القاعدة الثانية لمقطع الهمزة من النطق تماماً، كما في (الشَّمس) أي : (ءَـ ل) شَ- م/ س ـُ .

إذ إنَّ صعوبة النطق بذلك أدت إلى تحول البنية المقطعية إلى الآتي[١٥]:(ءَ ـ ش/ ش ـَ م/س ـُ) إذ حذف الصامت الأخير من مقطع الهمزة وهو اللام في(ءَ ـ ل)أي: تحول المقطع الطويل المغلق (ص ح ص) إلى قصير (ص ح) ، ولإعادة ترتيب البنية المقطعية للكلمة يحدث إدغام في صوت (الشين) ليكون أحد الشينين قاعدةً عوضَ القاعدة المفقودة في النطق وهي (اللام) وبهذا تكون صورة الحرف (ء ـَ) بدلاً من (ء ـَ ل) . وعند اجتماع الاتصالين السابق واللاحق بـ(أل) التعريف في سياق نطقي فإنَّها تختفي منه تماماً مثال ذلك قولنا:

(بَلِ الشَّمسُ) أو (في الشَّمسِ) إذ يحدث الآتي:

ب ـ ل

ف ـً   ء ـَ ل   ش ـَ م   س ـِ

تحولات التقاء الساكنين وحذف الهمزة وحركتها   اختفاء (أل) بين التحولين   تحولات الإدغام وحذف اللام

ب ـَ | ل ـِ   ش   ش ـَ م | س ـُ

ف ـِ

وعلى هذا يكون النطق : (بَلِشَّمسُ) و (فِشَّمسِ) وبذلك تتحول (أل) من بنية النطق إلى بنية الخط والرسم فقط ،ومن ثمَّ تصبح قرينة معنوية لا لفظية يدل عليها الاستعمال والسياق وتبقى الفونيمات التركيبية الخاصة بمقطعها –كونها أمراً ذهنيَّاً – هي الدالة على وجودها في بناء الكلمة أو العبارة .



ثانياً: التنغيم.

ويراد به الإطار الصوتي والإيقاع الموسيقي الذي تقال به الجملة [١٦]. وهو من الظواهر اللغوية التي تؤلف قرينة صوتية مهمة في توجيه المعنى وتخصيص الدلالة، وقد تنبه القدامى إلى هذه الظاهرة وأقاموا عليها أحكامهم اللغوية كقول ابن جني (ت٣٩٢هـ): (وقَد حُذِفَتِ الصِّفَةُ ودلَّتِ الحَالُ عَلَيهَا، وكأنَّ هذا إنَّما حُذِفتْ فيهِ الصِّفةُ لِمَا دَلَّ من الحالِ على موضِعِهَا وذلكَ أَنَّكَ تُحسُّ في كلامِ القَائلِ من التَّطويحِ والتَّطريحِ والتَّفخِيمِ والتَّعظِيمِ مَا يَقُومُ مَقَامَ قَولِهِ: طَويلٌ أو نحوِ ذلك)[١٧]. وقد عدَّها الدرس الصوتي الحديث من الظواهر التطريزية في الكلام والفونيمات غير التركيبية[١٨] التي تدل على معانٍ مختلفة ومواقف معينة كالتعبير عن الفرح أوالحزن أو المدح أو الذم وما إلى ذلك. وقد دخلت حروف المعاني حدود هذه الظاهرة ويتجلى ذلك في أسلوب الاستفهام، فحينما يُستَفهَم بالتركيب المؤلف من أحد حروف الجر وهي

(عن ومن وإلى وعلى وحتى وفي واللام والباء) ومن(ما) كما في نحو: (عمَّ وممَّ وإلى مَ وعلامَ وحتى مَ وفيمَ ولِمَ وبِمَ) فإنَّ تحولاً صوتياً يحدث في بنى هذه التراكيب وموضعه(ما)؛إذ الأصل فيها(عن ما ومن ما وإلى ما وعلى ما وحتى ما وفي ما ولما وبما) بناءً على أصلها في النطق منفردة أو في غير الاستفهام وفي هذا يقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): (واعلَمْ أنّ الحرفَ يَتَّصلُ بما اتصالاً لايَتصلُ بغيرِها، تقولُ إذا استَفهمتَ: فيمَ ضربتَ؟ فتَنقِصُ الألفَ، وإذا كانتْ في غيرِ استفهامٍ أتمَمتَ فتقولُ:جئتُ فيما سألتُكَ)[١٩].

ومهما يكن من أمر فإنَّ ما تمخَّض عن هذا الأسلوب هو تحول صوتي في هذه التراكيب وهو على نوعين:

الأول: يحدث في بنية حرف الجر وما المتصلة به كما في نحو:(عن +ما) و(من + ما). إذ تتألف البنية المقطعية لحرفي الجر من مقطع طويل مغلق (ص ح ص)، وتتألف بنية (ما) من مقطع طويل مفتوح (ص ح ح)، وعند التقاء المقطعين في هذا التركيب تصبح البنية:(عَـ ن مـً) و (مِـ ن مـً) أي: (ص ح ص ص ح ح). ولكن الاستعمال العربي المائل إلى السهولة في النطق أدغم القاعدة الثانية (ن) في المقطع الأول بقاعدة المقطع الثاني (م)؛ ليكونا معاً ميماً مشدَّدة، وأسقط جزءاً من المصوت الطويل وهو قمة



المقــطع في (ما) لتكون : (م ـــَ) مقــطعاً قصيراً كما في الآتي :

ع ـــَ ن ┐
م ـــ ن ┘ ← ام ـــً ← سقوط جزء من المصوت الطويل

(مَّ) ←——— عَمَّ ، مِمَّ

الثاني: يحدث في تركيب الاستفهام المؤلف من أحد حروف الجر وهي(إلى وعلى وحتَّى وفي واللام والباء) ومن (ما) أيضاً ، وفي هذا التركيب يقتصر التحول على بــنية (ما) فقط ، فالذي يحدث هو سقوط جزء من قمة مقطعها الطويل ليكون قصيراً كما في الآتي:

والذي يلحظ في حــالات التحــول الصوتي التي مرت تشــــــكل صورة جديدة مختلفة للحــرف في الســياق النطقــي عن صورته الأصلية .

المبحث الثاني : أثر الاستعمال اللهجي

اللهجة ((مجموعة من الصفات اللغوية ، تنتمي إلى بــيئة خاصة ويشــــترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البــيئة))[20]، فهي لون من ألوان الاستعمال اللغوي الذي شغل مكانة مهمة في اللغة المشــتركة بــوصفه أنموذجاً لغويا فصيحا من حيث أبنية العربية وأقيستها، ونظراً إلى أنَّ الحرف قسيم ثالث في مادة العربــية فلا بــد من أن يعتريه ما

حرف الجر	(ما) قبل الاستفهام	(ما) بعد الاستفهام	المركب الاستفهامي
إلى	مقــطع طويل مفتوح (ص ح ح)	مقطع قــصير مفتوح (ص ح)	إلى مَ
على			علامَ
حتْى			حتْى مَ
في			فيمَ
اللام			لِمَ
الباء			بِمَ



يعتري بقية أقسام الكلم من الأثر اللهجي في الاستعمال اللغوي ، وقد جاءت مصاديق هذا الأثر في عدة ظواهر لغوية هي :

١ - الإبدال .

وهو ظاهرة صوتية يراد بها(إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض)[٢١].وهي الأصوات المتقاربة في المخارج والصفات على وفق قانون التطور اللغوي [٢٢] والمماثلة الصوتية لما ينطوي عليه ذلك من تقليل الجهد على الناطق[٢٣].

وتتضح مصاديق هذه الظاهرة في بعض بنى حروف المعاني كالحرف(ثُمَّ)،إذ يقال : (ثُمَّ و فُمَّ)[٢٤] نحو:(كلَّمتُ زَيداً ثُمَّ عمراً وفُمَّ عمراً)[٢٥]ويظهر التحول الصوتي هنا في الإبدال بين(الثاء) وهو صوت رخو مهموس مخرجه بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، و(الفاء) وهو صوت رخو مهموس مخرجه بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا[٢٦] . ويلحظ التحول الصوتي أيضاً فيما تسمى بـ(العنعنة) وهي لهجة تقتضي إبدال (أنَّ) المفتوحة عيناً[٢٧] فيقال :(أشهدُ عنَّك رسولُ الله)[٢٨]. فأثر التحول واقع بين (الهمزة)وهي صوت شديد مجهور [٢٩] يخرج من أقصى الحلق[٣٠]، و(العين)الذي هو صوت مجهور بين الرخاوة والشدة، مخرجه من وسط الحلق[٣١]. ويرى د. عبد الصبور شاهين أنَّ سبب هذا الإبدال هو قوة النبر في مقطع الهمزة مما أدَّى إلى تحوله من الهمزة إلى العين[٣٢].

وتحول آخر يظهر في بنية الحرف (حتَّى) وذلك فيما تسمى بـ(الفحفحة)[٣٣]،وهي لهجة تقتضي إبدال (الحاء) (عيناً) كما في قولهم : (قُمْ عتَّى آتيك)[٣٤] أي : حتى آتيك ، إذ حدث إبدال بين (الحاء) وهو صوت مهموس رخو مخرجه من وسط الحلق[٣٥]والعين آنف الذكر ، ومثل هذا التحول في بنية(نَعَم)إذ يقال: (نَحَم)[٣٦].

وفي الطمطمانية [٣٧] وهي لهجة فيها إبدال (الميم) – وهو صوت مجهور شديد[٣٨] مخرجه بين الشفتين[٣٩] – من(اللام) في(أل) التعريف ، وهو صوت مجهور متوسط بين الرخاوة والشدة ، مخرجه بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا[٤٠]، كما في قولهم:(طابَ أمهواء أي: طاب الهواء)[٤١]. ويلحظ في حالات الإبدال السابقة أنَّ التحول الصوتي فيها مقصور على الجانب النطقي فقط أي : تغيُّر الصوت من حيث المخرج والصفة، أما البنية المقطعية فبقيت على أصلها كما في (أنَّ) و(عنَّ) إذ تتكون من مقطعين : الأول طويل مغلق (ص ح ص) والثاني قصير



مفتوح (ص ح) . وكذلك في (حــتَّى) و(عتَّى)، إذ تتألف من مقطعين طويلين: الأول مغلق (ص ح ص) والثاني مفتوح (ص ح ح) . ومثل ذلك في(نَعَم) و (نَحَم) ؛ إذ تتألف من مقطع قصير (ص ح) وطويل مغلق(ص ح ص) وتتألف بنية (أل) و(أم) من مقطع طويل مغلق(ص ح ص) وفي منظور التحليل الفونيمي تعد الأصوات المتبادلة في كل حالة من الحالات المارة تنوعين لفونيم واحد ، وعلى هذا فـ(الهمزة والعين) تنوعان لفونيم واحد ، وكذا(الحاء والعين) و (اللام والميم) .

ومن الإبدال ما نجده في الحرف (لَعَلَّ)؛ إذ وردت فيها عدَّة لغات وهي[٤٢]:(لَغَلَّ ولَعَنَّ ولَغَنَّ ولأَنَّ وعَلَّ وغَلّ وعَنّ وغَنَّ) . فهناك تبادل بين (العين) في (لعلَّ) و(الغين) في (لغلَّ)، والغين صوت رخو مجهور مخرجه من أدنى الحلق[٤٣]. وبين (اللام) في (لعلَّ) و(النون) في (لعنَّ)، والنون صوت مجهور متوسط بين الرخاوة والشدة مخرجه من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا[٤٤].وكذلك بين(اللام) في(لغلَّ) و(النون) في (لغنَّ)، وبين (العين) و(الغين) و(الهمزة) في (لعنَّ) و(لغنَّ) و(لأنَّ) . وهذه الطائفة من البنى المتشابهة التي تفيد معنى واحداً كالذي في



(لعلَّ) وهي : (لعلَّ ولغلَّ ولعنَّ و لغنّ ولأنَّ) متحدة البناء وإن اختلفت أصواتها من حيث المخرج أو الصفة إلا أنَّها مؤلفة من ثلاثة مقاطع هي:قصير(ص ح) وطويل مغلق(ص ح ص) وقصير(ص ح) ، وبناء على هذا فالأصوات المتبادلة فيها تنطوي على دلالة واحدة ،فهي تنوعات(ألفونات) لفونيم واحد.
أما الطائفة الثانية التي جاءت منقوصة اللام ، فالإبدال واضح بين(العين والغين) في (علَّ وغلَّ) و (عنَّ وغنَّ) ، والأبدال بين (اللام والنون) أيضاً في (علَّ وعنَّ) و(غلَّ وغنَّ). وقد بقيت بنية هذه المجموعة ثابتة كسابقتها، مؤلفة من مقطع طويل مغلق(ص ح ص) وقصير(ص ح). ويصدق على الإبدال فيها ما قيل في المجموعة السابقة كونه ضرباً من التنوع لفونيم واحد، وضابط هذا في كل ما مرَّ هو أنَّ المعنى يبقى ثابتاً وإن وقع التحول الصوتي .

٢ - الإتباع الحركي.

وهو ظاهرة صوتية يحدث فيها الانسجام بين المصوتات المختلفة في البنية الواحدة ، ويقع فيها تأثير أحد هذه المصوتات على المصوت المجاور لها[٤٥] طلباً للخفة[٤٦] أو الميل إلى الانسجام بين الأصوات وتقليل الجهد المبذول في ذلك[٤٧]. ومن أمثلة هذه

الظاهرة في حروف المعاني ما نجده من ضم (ها) التنبيه في قراءة ابن عامر [٤٨] لقوله تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ المُؤمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ) [٤٩]، وقوله تعالى:((وَقَالُوا يَاأَيُّهَ السَّاحِرُ ادعُ لَنا رَبَّكَ بِمَا عَهِد عِندَكَ إِنَّنا لمُهتَدونَ) [٥٠]،وقوله تعالى :(سَنَفرَغُ لَكُم أَيُّهَ الثَّقَلانِ) [٥١] ؛ إذ تحذف ألفها وتضم اتباعاً لما قبلها [٥٢].

ومظهر التحول الصوتي فيها هو تحول بنيتها من مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) إلى قصير (ص ح) وذلك بسقوط القمة الطويلة وتعويضها بقمة قصيرة وهي مصوت الضمة كما يأتي :

أيُّها: (ص ح ح) (هـ ــ) أيُّهُ:

سقوط القمة الطويلة بفعل الإتباع

(ص ح) (هـ ـُ)

القمة القصيرة بفعل الإتباع

وكذا الحال نجده مع بنية حرف الجواب (نَعَم)؛ إذ تكسر عينها فيقال : (نَعِم) [٥٣] . وتكسر نونها إتباعاً لما بعدها فيقال: (نِعِم) [٥٤] والتحول في هذه البنية لايحدث تغييراً كبيراً فيها سوى تبادل المواقع بين المصوتات القصيرة مع بقاء المقاطع الصوتية في البنية المقطعية على صورتها المفتوحة او المغلقة وهي مؤلفة من مقطع قصير(ص ح) وآخر طويل مغلق (ص ح ص) كما يأتي :

١- **الحالة الأولى** : (نـَ / عـَ م).

٢- **الحالة الثانية** : (ن ـَ /عـِ م).

٣- **الحالة الثالثة** : (نـِ / عـِ م)

والملاحظ في هذين المثالين(ها) التنبيه و(نعم) الجواب أن الإتباع في الأول كان اتجاهه تقدمياً أي: تأثير الأول (السابق) في الثاني(اللاحق)والمماثلة في أمامية.والإتباع في الثاني كان اتجاهه (تراجعياً) أي : تأثير الثاني(اللاحق) في الأول(السابق) فالمماثلة خلفية . ونجد صدى الإتباع واضحاً في بنية (إمَّا) التخييرية ، إذ من العرب من يفتح الهمزة إتباعاً لما بعدها فيقال (أمَّا) للمعنى عينه [٥٥].

٣- التخفيف.

يجنح الناطق العربي في كثير من أحواله إلى السهولة واليسر في النطق ، وقد يسلك لأجل ذلك سلوكاً يقتضي حذفاً أو زيادة في البنية المقطعية للألفاظ ، ومما توخاه في هذا الصدد هو فك الإدغام في بنية (إمَّا و أمَّا)؛ إذ تبدل ميماهما بيائين للتخلص من التضعيف [٥٦]. فيقال – بناء على هذا-:(إِيْمَا وأَيْمَا) . والذي حدث في البنية المقطعية للأولى هو تحول المقطع الأول الطويل



المغلق (ص ح ص) إلى طويل مفتوح (ص ح ح).

أما الثانية فتحول القاعدة الثانية في مقطعها الأول وهي (م) الأولى إلى نصف مصوت وهو الياء غير المدية وكما يأتي :

حالة الإدغام	حالة التخفيف
إمًّا ← ءِ ـِ م إم ـً أمًّا ← ءَ ـ م إم ـ	إيما /ء ـ م ـ ً أيما ء ـ يَ م ـ

ويبدو أن السبب وراء هذا التحول في الأولى هو كثرة نبر الهمزة وقوته عند النطق ، مما جعل قمة مقطعها طويلة فأدى بها إلى أن تؤثر في مستوى النطق للصوت الذي يتلو الهمزة وهو الميم الأولى المدغمة ؛ لأنَّ الهمزة المتحركة لم تبق على ماكانت عليه في هذا الموضع ، كونها مقطعاً قصيراً في السابق ثم أصبحت مقطعا طويلاً لا حرفاً متحركاً مع بنية(إمَّا)الجديدة وهي (إيما)؛ لأنَّ ذلك يعني اجتماع قمتين في مقطع واحد ، وهو أمر مرفوض في البنية المقطعية كما مرَّ . فالياء ليست حرفاً ساكناً إنما هي حركة طويلة تمثل قمة إسماع عالية للمقطع الأول ، ولا وجود لمصوت قصير (كسرة أو فتحة) قبلها.أما السبب وراء تحول الثانية فهو النبر أيضاً،ولكنَّه أفضى إلى وجود نصف مصوت فيها وهو الياء غير المدية .



وكذا الحال نجده في(رُبَّما)إذ وردت مخففة في قراءة عاصم (ت١٢٧هـ) ونافع (ت١٦٩هـ)[٥٧] لقوله تعالى:((رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو كَانُوا مُسلِمِينَ))[٥٨]. فأحدث هذا التحول الصوتي تغييراً في بنيتها المقطعية، إذ استُبدل المقطع الأول وهو طويل مغلق (ص ح ص) بمقطع قصير(ص ح) كما يأتي :

١- رُبَّمَا ←——— ر ـُ ب/ ب ـَ م ـً

٢-رُبَمَا ←——— ر ـُ /ب ـَ م ـً .

والذي حدث هو إسقاط القاعدة الثانية (ب) من المقطع الأول تماماً من البنية تخفيفاً للنطق بها . ولاريب في أنَّ هذا الجنوح نحو التخفيف في فك الإدغام والتضعيف ، إنَّما هو لتقليل الجهد المبذول في عملية النطق .

٤-الحذف.

هناك استعمالات لهجية أفضت إلى إحداث تغيير واضح في بنى ألفاظ الحروف ، وقد توخى الناطق في ذلك سبيل الحذف للوصول إلى غايته وذلك في الآتي :

١-حاشا.

إذ وردت بلغتين هما[٥٩]: (حَشَا وحَاشَ)، والبنية المقطعية لحاشا هي(ص ح ح) (ص

ح ح) أي مؤلفة من مقطعين طويلين مفتوحين، والتحول في استعمالهما كما في اللغتين قد أحدث تغييراً في البنية؛إذ الأولى (حاشا) أي:(ص ح) و(ص ح ح) والثانية (حاش)أي:(ص ح ح) و(ص ح).وهذا يعني تحول البنية إلى مقطعين مختلفين أحدهما طويل مفتوح وهو أصيل فيها والآخر قصير ناتج عن تقصير المقطع الطويل المفتوح السابق باسقاط جزء من قمته ، ونجد هذا المقطع القصير منتقلاً داخل البنية ، فتارة في أولها كما في (حشا) وتارة في آخرها كما في (حاشَ) . ويبدو لي أنَّ شدة نبر الناطق للمقطع الأول من (حاشا) أدى إلى تقصيره كما في (حشا) وشدة نبره للمقطع الأخير أدى إلى تقصيره أيضاً كما في (حاشَ) .

٢ - سَوْفَ :

إذ وردت بلغات ثلاث هي[٦٠]: (سَف وسَو وسَي)والبنية المقطعية لـ (سوف)هي: مقطع طويل مغلق (ص ح ص) ومقطع قصير (ص ح) ، والذي يلحظ في هذا التحول حالات ثلاث هي :

الأولى: إسقاط القاعدة الثانية للمقطع الأول ليصبح مقطعا قصيراً ثم تتألف البنية من مقطعين قصيرين (ص ح) (ص ح) كما في (سَف).

الثانية : إسقاط المقطع الثاني برمته ليبقى المقطع الأول فقط كما في (سَو) .

الثالثة: إسقاط المقطع الثاني كاملاً ، وبقاء المقطع الأول فقط مع تحول قاعدته الثانية (الواو) إلى (ياء) كما في (سَي) .

٥ - الإمالة.

هي (أنْ تَنحوَ بالفتحةِ نَحوَ الكسرةِ وبالألفِ نَحوَ الياءِ .. طلباً للتشاكُلِ؛ لئلاَّ تَختلفَ الأصواتُ فَتَتنافرَ .. وهي فرعٌ على التَّفخيمِ)[٦١]. ومن ألفاظ حروف المعاني التي حدث في بنيتها تحول صوتي بفعل الإمالة ، حرف الجواب(بَلَى) إذ يقول ابن قتيبة: ((وتُكتَبُ بلى.. بالياء؛لأنَّ الإمالةَ فيها أحسَنُ وأفصحُ من التَّفخيمِ)[٦٢].وكذلك إمالة(الفاء) في (فإنَّهم) و(الواو)في(وإنَّا) وإن لم يكن بعدها ألف[٦٣]. فالأول في قوله تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ إنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإنَّهُم لايُكَذِّبُونَكَ ولَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ)[٦٤]،والثاني في قوله تعالى :(الَّذِينَ إذَا أصَابَتهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا للهِ وإنَّا إلَيهِ رَاجِعُونَ))[٦٥].

خاتمة البحث ونتائجه.

بعد هذه الإجالة السريعة للنظر في بنى حروف المعاني في ضوء ما وقع عليها من



الأثرين الصوتي واللهجي في الاستعمال اللغوي يمكن القول بما يأتي :

أولاً : إنَّ هناك تحولاً صوتياً مؤثراً في البنية المقطعية للحرف، ويظهر ذلك في ثلاثة مواضع :

الأول : انفتاح المقطع الصوتي الأخير من الحرف ودمجه في بنية الكلمة الثانية ، ويؤلفان معاً بنية مقطعية واحدة متصلة ، وقد مرَّ هذا في التخلص من التقاء الساكنين بطريقة التحريك .

الثاني : حذف جزء من المقطع الصوتي للحرف وهو قمته ومن ثم دمجه بالمقطع الثاني من بنية الكلمة التالية ، كما في حالات الحذف للتخلص من التقاء الساكنين ، والإتباع الحركي والحذف في (حاشا) .أو الاقتصار على الحذف كما في الاستفهام بالمركب(حرف المعنى + ما) والحذف في(سوف) .

الثالث : اختفاء صورة الحرف وأثره من البنية المقطعية تماماً، كما هو الحال في (أل) التعريف ؛ إذ يبقى الأمر الذهني وهو فونيم اللام دالاً على وجوده فقط .

ثانياً : إنَّ هناك تحولاً صوتياً لا يؤثر على البنية المقطعية سوى استبدال الصوت بصوت آخر قد يكون مصوتاً أو صامتاً أو نصف أحدهما كما في حالات الإبدال والتخفيف والإمالة .

ثالثاً:إنَّ هناك صورتين للحرف: الأولى قبل التحول الصوتي والثانية بعده ، ولاتخلو الثانية من تغيير مقطعي في مستوى الطول والقصر والانغلاق والانفتاح ومهما كان نوع التغير فإنَّ نتيجة الأمر وجود صورة ثانية لبنية الحرف ، والأولى تقع خارج السياق اللغوي والثانية داخله،ويقف الأثر الصوتي واللهجي وراء هذا التنوع الصوري للبنية .

رابعاً:إنَّ القول بالتحول الصوتي في حروف المعاني وما يتبعه من تغير في البنية المقطعية وثبوت دلالتها، يفضي إلى القول باختلاف اللفظ واتفاق المعنى أي : وقوع الترادف في حروف المعاني .



هوامش البحث

(١) الإخلاص ، ١-٢ .

(٢) الكتاب ،سيبويه ٤/ ١٥٢ .

(٣) ينظر : أبحاث في أصوات العربية ، د. حسام سعيد النعيمي /٨-١٠ .

(٤) ينظر : م.ن / ٩ .

(٥) الأصول في النحو، ابن السراج ٢/ ١٤٠ .

(٦) الكتاب ٤/ ١٥٣-١٥٤.

(٧) ينظر : من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس/٢٥٢-٢٥٣.

(٨) الكتاب ٤/ ١٥٦.

(٩) ينظر : أبحاث في أصوات العربية / ١١.

(١٠) ينظر : التطور النحوي ، برجشتراسر/ ٦٥، دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينيو/١٥٢، أبحاث في أصوات العربية / ٩.

(١١) ينظر : أبحاث في أصوات العربية/٧.

(١٢) ينظر: في الأصوات اللغوية ، د.غالب فاضل المطلبي/٢٢٦-٢٢٧.

(١٣) الكتاب٣ /٤١٣.

(١٤) م.ن٣/ ٤١٢.

(١٥) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين/٢١٢.

(١٦) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان/٢٢٦.

(١٧) الخصائص ،ابن جني ٢ /٣٧٢-٣٧٣.

(١٨) ينظر : علم الأصوات د. كمال بشر/ ٥٣١، دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر/ ٢١٩.

(١٩) أدب الكاتب ، ابن قتيبة/ ١٩٤.

(٢٠) في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس/ ١٦.

(٢١) الصاحبي، ابن فارس/٣٤٣.

(٢٢) ينظر : من أسرار اللغة / ٧٥.

(٢٣) ينظر : اللهجات العربية في التراث، د. أحمد الجندي١ /٣٤٩.

(٢٤) الكنز اللغوي في اللسن العربي، د. أوغست هفنر/ ٣٦.

(٢٥) الإبدال ، أبو الطيب اللغوي ١ /١٩٣، وينظر : الخصائص ٢ /٨٦، مغني اللبيب ، ابن هشام ١ /١٥٨،ا لإتقان في علوم القرآن ، السيوطي / ٢٤٤.

(٢٦) ينظر : الكتاب ٤/ ٤٣٣- ٤٣٥ ، الأصوات اللغوية / ٤٦،٤٧.

(٢٧) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور٩/ ٤٤١ مادة (عنن)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي١/ ١٧٦.

(٢٨) الكنز اللغوي / ٢٤.



(٢٩) عند المحدثين لا هو بالمجهور ولا بـالمهموس، ينظر: الأصوات اللغوية / ٩٠-٩١.

(٣٠) ينظر : الكتـاب ٤ /٤٣٣-٤٣٤، الأصوات اللغوية / ٩٠-٩١.

(٣١) ينـظر : الكتـاب ٤ /٣٣ _ ٣٥ ، الأصوات اللغوية/ ٨٩.

(٣٢) ينظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين/ ٣١-٣٢.

(٣٣) ينظر : المزهر ١/ ١٧٦.

(٣٤) الكنز اللغوي /٢٣-٢٤، وينظر: الإبـــدال ١/ ٢٩٥.

(٣٥) ينـظر: الكتـاب٤ /٤٣٣-٤٣٤،الأصوات اللغوية / ٨٩.

(٣٦) ينظر: مغني اللبـــيب١/ ٤٥١، الإتقـــان / ٢٧٤.

(٣٧) ينظر: المزهر ١/ ١٧٧.

(٣٨) عند المحدثين متوســـط بــــين الشـــدة والرخاوة ، ينظر: الأصوات اللغوية / ٤٥ .

(٣٩)ينـظر : الكتـاب ٤/ ٤٣٣-٤٣٤،الأصـوات اللغوية / ٤٥ .

(٤٠) ينظر: ٤/ ٤٣٣-٤٣٤، الأصوات اللغويـة / ٦٥.



(٤١) المزهر ١/ ١٧٧.

(٤٢) الكنز اللغوي ٥/٢٣،٣٣، الإنصاف في مسائل الخلاف ، أبو البركات الأنباري ١/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٤٣) ينـظر : الكتـاب ٤/ ٤٣٣-٤٣٤،الأصوات اللغوية /٨٨.

(٤٤) ينـظر: الكتـاب ٤٣٣/٤-٤٣٥،الأصوات اللغوية /٦٧.

(٤٥) ينظر : لهجة قبـــيلة أســـد ، علي ناصر غالب/١١٨.

(٤٦) ينظر : الكتاب١٠٨، ٤/ ١٩٥،١٩٧.

(٤٧) ينظر : في اللهجات العربية /٩٧.

(٤٨) العنوان في القـــراءات السبـــع ، أبــو طاهر الأندلســـي ، ١٣٨،١٧١،١٨٤،. التيســـير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني / ١٦١،١٦٢.

(٤٩) النور/ ٣١.

(٥٠) الزخرف/٤٩ .

(٥١) الرحمن/٣١.

(٥٢) ينظر : مغني اللبيب١/ ٤٥٦ .

(٥٣)ينظر: م.ن١ /٤٥١، وبـها قـرأ الكسـائي (ت ١٨٩هـــ) قـوله تعالى:(قَالَ نَعَم وإنَّكُم لَمِنَ المُقَرَبي) الأعراف/ ١١٤، ينظر : العنوان في القراءات السبع /٩٧، مغني اللبيب ١/ ٤٥١ .

(٥٤) ينظر ك مغني اللبيب ١/ ٤٥١ .

(٥٥) ينظر: م.ن ١/ ٨٤.

(٥٦) ينظر : م.ن ١/ ٧٩،٨٤.

(٥٧) ينظر : العنوان في القراءات السبع / ١١٦ .

(٥٨) الحجر /٢.

(٥٩) ينظر : إئتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ، عبد اللطيف الشرجي /١٧٩.

(٦٠) ينظر : مغني اللبيب ١/ ١٨٥.

(٦١) أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري /٣٤٨.

(٦٢) أدب الكاتب/٢٠٦ ، وينظر : مغني اللبيب ١/ ٤٥١ ، التيسير في القراءات السبع /٤٦ ،. الإتقان /٢٤٣.

(٦٣) ينظر : سر صناعة الإعراب ، ابن جني ١/ ٦٧.

(٦٤) الأنعام/٣٣.

(٦٥) البقرة/١٥٦.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

●إئتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة البصرة ، عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي ، تح: د. طارق الجنابي ، ط ١ ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٧م.

●أبحاث في أصوات العربية ، د. حسام سعيد النعيمي ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،١٩٩٨م.

●الإبدال ، أبو الطيب عبد الرحمن بن علي اللغوي، تح : عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٦٠م.

●الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ضبط وتصحيح : محمد سالم هاشم ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،٢٠٠٧م.

●أدب الكاتب ، ابن قتيبة الدينوري ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤ ، مصر ، ١٩٦٣م.

●أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري ، تح : فخر صالح قدارة ، ط ١ ، دار الجيل – بيروت،١٩٩٥م.

●الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، ط ٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ١٩٧١م.

●الأصول في النحو ، أبوبكر بن السراج البغدادي ،تح: عبد الحسين الفتلي ، بغداد ، ١٩٧٣م.

●الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : حسن حمد ، ط ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٩٨م.

●التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر ، ط ٤ ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ٢٠٠٣م.

●التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن



سعيد الداني، تصحيح: أوتوبرتزل، مطبعة الدولة – استانبول، ١٩٣٠م.

● الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمدعلي النجار، ط٤، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ١٩٩٠م.

● دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب – القاهرة، ١٩٩١م

● دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينيو، تر: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، ١٩٩٦م.

● سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد حسن محمد حسن اسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٠م.

● لصاحبي، أبو الحسن أحمد بن فارس، تح: الشيخ أحمد صقر، ط١، مؤسسة المختار – القاهرة، ٢٠٠٥م.

● علم الصوات، د. كمال بشر، دار غريب – القاهرة، ٢٠٠٠م.

● العنوان في القراءات السبع، أبو طاهر اسماعيل الأندلسي، تح: زهير غازي زاهد ود. خليل العطية، ط٢، مؤسسة المنار – النجف الأشرف، د.ت.

● اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

● في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، بغداد، ١٩٨٤م.

● في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ط٨، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، ١٩٩٢م.

● القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، دار الكتاب العربي – القاهرة، ١٩٦٦م.

● الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٩٨٢م.

● الكنز اللغوي في اللسن العربي، د.أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت، ١٩٠٣م.

● اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب – تونس، ١٩٧٨م.

● لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ١٩٨٩م.

● المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ضبط وتصحيح: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٨م.

● مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط١، مؤسسة الصادق – طهران، د.ت.

● من أسرار اللغة، د.إبراهيم أنيس، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ١٩٧٢م.

● المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٠م.



المرأة والحب في الأندلس على مرآة طوق الحمامة



بقلم د. خليل محمد إبراهيم
لكلية التربوية المفتوحة /أدب أندلسي

مقدمة

تعد رسالة (طوق الحمامة في الألفة والألاف) لـ(ابن حزم الأندلسي) رسالة مهمة مقروءة من الكثيرين، فقد حظيت بنشرات كثيرة، وطبعات أكثر، لمحققين متعددين ومتنوعين؛ كل منهم حقق الكتاب لغرض، وليس من شأن هذا الموضوع المتواضع؛ تتبع النشرات أو الطبعات،ولا أسباب التحقيق،لكن من شأن هذا البحث أن ينبه إلى أنه ذكر الأبواب التي اقتبس منها بعض المقتبسات؛ مع ذكر عناوين الأبواب كي يمكن لمن لا يملك طبعة الباحث المعتمدة من الكتاب أن يعود إلى أية طبعة أخرى يستعين بها مستفيدا من رقم الباب أو من عنوانه أو منهما معا بحسب النشرة التي يعود إليها، كما أن من حق من يهتم بهذا البحث أن يعرف أن لهذا البحث سببا هو:- أن الباحث لاحظ بعض وسائل الإعلام المتنوعة؛ تحرض على رفض الحب ، فرأى أن يعرض هذا الكتاب؛ مبينا في أثناء العرض أن هناك جملة كثيرة من الفقهاء والمفكرين العرب والمسلمين؛ تناولت موضوعة الحب، فأباحتها، فكيف نرفض هذا الأمر؛ في وقت ندعو فيه إلى الرحمة والمودة[1]؟!



ثم أن المراد بالحب ليس مجرد العلاقة الخاصة، بين الرجل والمرأة؛ مع أن هذا طبيعي مقبول دينيا فقد جاء في القرآن الكريم -أهم مصدر تشريعي للأمة الإسلامية- قوله تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))[٢] فإذا كان الله - سبحانه وتعالى- قد جعل خلق الأزواج من أنفسنا آية من آياته وجعل المودة رابطة بين الزوجين، ففيمَ يقف الواقفون ضد الحب، وهم يذهبون إلى أنهم مؤمنون؟!

ليس من واجب هذا الموضوع الإجابة عن هذا السؤال، لكنه من واجب غيره، فله أن يجيب عنه إن وجد جوابا علميا مناسبا.

استغراب (ابن حزم) تبسم فقيه للحب:- الكثيرون يستغربون انشغال (ابن حزم) -الفقيه- بالحب؛ ظانين أن التعامل مع الحب، ليس من شأن الفقيه، ومنهم (ابن حزم) -نفسه- الذي استغرب تبسم فقيه حين ذُكِر عنده الحب فقال:- وأذكر في مثل هذا أني كنت مجتازا في بعض الأيام بقرطبة في مقبرة باب عامر، في لُمّة من الطلاب وأصحاب الحديث، ونحن نريد مجلس الشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري بالرصافة أستاذي رضي الله عنه، ومعنا أبو بكر عبد الرحمن بن سليمان البلوي من أهل سبتة، وكان شاعرا مفلقا وهو ينشد لنفسه في صفة متجنّ معهود أبياتا له، منها:-

سريع إلى ظهر الطريق وإنه
إلى نقض أسباب المودّة يسرع
يطول علينا أن نرقّع وُدّه
إذا كان في ترقيعه يتقطّع

فوافق إنشاد البيت الأول من هذين البيتين، خطور أبي علي الحسين بن علي الفاسي رحمه الله تعالى وهو يؤم أيضا مجلس ابن أبي يزيد، فسمعه، فتبسم رحمه الله نحونا وطوانا ماشيا وهو يقول:- بل إلى عقد المودة إن شاء الله، فهو أولى،هذا،على جدّ أبي الحسين علي رحمه الله، وفضله وتقربّه، وبراءته ونسكه، وزهده وعلمه. فقلت في ذلك:-

دعْ عنك نقض مودتي متعمّدا
واعقد حبال وصالنا يا ظالم
ولترجعنّ، أردته أولم ترد،
كرها لما قال الفقيه العالم"[٣]

وهذا الاستغراب؛ غريب، لان اغلب من كتبوا عن الحب- في العهد القديم-كانوا من فقهاء المسلمين أو من متفقهيهم أو من فلاسفتهم وأطبائهم ومنهم:-

١- أبو محمد جعفر بن احمد السراج (ت



٥٠٠ هـ =١١٠٦م) ولـه: - مصارع العشاق[٤].

٢- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ) وله:- ذم الهوى[٥].

٣- أحمد بن يحيى بن أبي حجلة المغربي (ت ٧٧٦ هـ = ١٣٧٥ م) وله:- ديوان الصبابة[٦].

٤- داود الأنطاكي الطبيب(ت ١٠٠٨هـ =١٥٩٩م) وله:- كتاب(تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق). وهو تلخيص وتهذيب لكتاب(أشواق العشاق)[٧]وهكذا نجد العلماء –مشارقة ومغاربة- يعنون بالكتابة في هذا الباب، ومن الطبيعي أن ينشغل الفقهاء بمسألة الحب، إذ أن هذه المسألة من المسائل التربوية المحكومة – عند المسلمين- بالحِل أو الحرمة ، والفقه محل تحديد هاتين المسألتين، فليس انشغال فقيه أو مجموعة فقهاء بمسألة الحب؛ خارج نطاق عملهم بل هو من صميم هذا العمل فانشغال (ابن حزم) –الفقيه- بالمرأة والحب أمر طبيعي.

غرض الكتاب

تحدث الكثيرون عن الشأن النفسي[٨] والاجتماعي والأدبي والفقهي لطوق الحمامة ونسوا إشارة بطرس البستاني إلى أنه كتاب في السياسة[٩]، ولأن بطرس البستاني لم يسوغ هذه المسألة بتحليل أو تعليل، ولأهمية هذه المسألة فقد تتبعتها وناقشتها في أطروحتي لنيل درجة الدكتوراه[١٠]. فبينما تكلم عن الحب، أراد الدعاية لأصفيائه من الأمويين الذين أمل أن يكون هذا الكتاب سهما أخيرا من سهام المحافظة على دولتهم الزائلة في الأندلس، فكان الحب موضوع الكتاب وكانت الدعاية لبني أمية غرضه. يتصور الكثيرون أن(طوق الحمامة في الألفة والألاف) مجرد كتاب يتحدث عن النساء ، يتعرض لشأنهن، في حين أنه يتعرض للمجتمع كاملا فيعرض على مرآته المتسعة الكثير من أحوال الحب، وأول ما يبدأ به حديثه عن الود القائم بينه وبين من طلب إليه إنشاء رسالة يحدثه فيها عن الحب وأغراضه ، فأجابه حين ألف رسالة (طوق الحمامة في الألفة والألاف) يقول:- "ثم لم ألبث أن اطلع عليّ شخصك وقصدتني بنفسك، على بعد الشقة، وتنائي الديار، وشحط المزار، وطول المسافة، وغول الطريق، وفي دون هذا ما سلى المشتاق ونسى الذاكر ، إلا من تمسك بحبل



الوفاء مثلك ، ورعى سالف الأذمَّة ، ووكيد المودّات، وحق النشأة، ومحبة الصبا، وكانت مودته لله تعالى.

ولقد أثبت الله بيننا من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون، وكانت مغازيك في كتابك زائدة على ما عهدته من سائر كتبك ، ثم كشفت إلي بإقبالك غرضك، وأطلعتني على مذهبك، سجيةً لم تزل علينا من مشاركتك لي في حلوك ومرّك وسرّك وجهرك، يحدوك الوُدّ الصحيح الذي أنا لك على أضعافه، لا ابتغي جزاء غير مقابلته بمثله. وفي ذلك أقول مخاطبا لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر رحمه الله في كلمة لي طويلة وكان لي صديقاً:-

أودّكَ وداً ليس فيه غضاضة
وبعض مودات الرجال سراب
وأمحضتك النصح الصريح وفي الحشى
لِودك ظاهرٌ وكتاب[١١]
فلو كان في روحي هواك اقتلعته
ومزق بالكفين عنه إهاب
وما لي غير الود منك إرادة
ولا في سواه لي إليك خطاب
إذا حزته فالأرض جمعاء والورى
أهباء وسكان البلاد ذباب"[١٢]



ففي هذه القطعة يتحدث عن الود القائم بينه وبين طالب المعرفة لشأن الحب، وهما رجلان، ينشد له خمسة أبيات تتحدث عن وده لـ (عبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة)وهما رجلان أيضاً، فليس الحب -عند (ابن حزم)- شأناً يربط بين الرجال والنساء فحسب، لكنه كما يوجد بين الرجال والنساء، فهو موجود بين الرجال المتوادين، كما يوجد بين النساء المتوادات ولكل من هذه المسائل ما يدل عليه من الأحداث المبسوطة في هذا الكتاب.

ومن الغريب أنه ذكر في -الباب الرابع باب من أحب بالوصف- ثلاثة أخبار هو بطلها أحب فيها رجلا قبل أن يراه فلما رآه أبغضه ثم تحدث عن آخر وكانا متباغضين فلما التقيا تحابا وكان الثالث رجلاً دام بينهما الود حتى وقت كتابة الكتاب فلا توجد امرأة في هذه الأخبار بل لا توجد الإشارة إلى حب ربات القصور المحجوبات بالوصف دون أن يذكر خبراً يدلل به على ما يقول كدأبه، لكن ذلك لم يمنع من ذكر خبر في باب المساعد من الأخوان، وهو خبر جارية تحملت الأذى من امرأة ، فلم تفشِ سر فتاة محبة فبدا التحابب والتباغض بين النساء كما هو بين الرجال.

سبب تأليف الكتاب

يتحدث(أبن حزم) عن سبب تأليف الكتاب قائلا لصاحبه الذي أرسل إليه:- وكلفتني – أعزك الله – أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه، وله، على سبيل الحقيقة، لا متزيدا ولا مفننا، لكن مورداً لِما يحضرني على وجهه وبحسب وقوعه، حيث انتهى حفظي وسعة باعي فيما أذكره، فبدرت إلى مرغوبك.ولولا الإيجاب لك لما تكلفته، فهذا من اللغو، والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به رحب المنقلب، وحسن المآب غدا. وإن كان القاضي حمام بن أحمد حدثني عن يحيى بن مالك عن عائد بإسناد يرفعه إلى أبي الدرداء أنه قال: أجمّوا النفوس بشيء من الباطل ليكون عونا لها على الحق"[١٣].

مبيناً أن الحب من اللغو الذي يحسن بالإنسان أن يبتعد عن البحث فيه لكنه مع ذلك يُسوِّغ هذا البحث بجملة من أقوال الصالحين منهم (القاضي حمام بن أحمد) – وهو أندلسي- يسند الحديث مرفوعا إلى (أبي الدرداء) –وهو من الصحابة المرضي عنهم- أفكان متردداً في أمر الحب ؟ أم هو يعرض تردد الفقهاء خاصة والناس عامة في هذا الأمر؟! سؤال يجدر التفكير به.

منهجه في تأليف الكتاب

بعد أن سوغ (أبن حزم) أمر الكتابة عن الحب؛ حدد منهجه في هذا الغرض فقال:- والذي كلفتني – به- لابد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي، وأدركته عنايتي، وحدثني به الثقات من أهل زمانه، فاغتفر لي الكناية عن الأسماء، فهي إما عورة لا نستجيز كشفها، وإما نحفظ في ذلك صديقاً ودوداً ورجلا جليلا.

وبحسبي أن أُسمّي من لا ضرر في تسميته، ولا يلحقنا والمسمّى عيب في ذكره،إما لاشتهار لا يغني عنه الطّي وترك التبيين، وإما لرضى المخبر عنه بظهور خبره، وقلة إنكار منه لنقله[١٤]. فهو –بهذا- يبين أنه لن يذكر أسماء من يتعرض لهم إلا إذا كان ذكر هذه الأسماء لا يضيرها ولا يضر بها، وهو منهج ناتج عن التردد في مسألة الحب.

يؤكد هذا التردد تخوفه من أن الشعر الذي سينشده لنفسه في هذه الرسالة ؛ قد يؤخذ على الحقيقة الواقعة؛لا على تصور المشاهد حين يقول:- وسأورد في رسالتي هذه أشعارا قلتها فيما شاهدته، فلا تنكر أنت



ومن رآها علي أني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه، فهذا مذهب المتحلين بقول الشعر[١٥] ، ومن منهجه التأكيد على أنه يتكلم عما شاهده أو نقله له الثقات – عنده– بلا تزيّد ولا تفنن متجاوزا أخبار الأعراب لأن الذين سبقوه ذكروها، ومنهجه غير منهجهم وخطته غير خططهم فهو لا ينضي مطاياهم ولا يستعير حلاهم؛ يتحلى بها يقول:– و التزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك، والاقتصار على ما رأيت، أو صح عندي بنقل الثقات، ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الأخبار عنهم، وما مذهبي أن أنضي مطية سواي، ولا أتحلى بحلي مستعار[١٦] ثم يقسم رسالته إلى ثلاثين باباً منها في أصول الحب عشرة[١٧] ومنها في أغراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر باباً[١٨] يذكرها ليقول:– ومنها في الآفات الداخلة على الحب ستة أبواب[١٩] ثم ينهي الكتاب ببابين يقول عنهما:– ومنها بابان ختمنا بهما الرسالة وهما:– باب الكلام في قبح المعصية وباب في فضل التعفف ليكون خاتمة إيرادنا وآخر كلامنا الحض على طاعة الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فذلك مفترض على كل مؤمن[٢٠]....الخ، فهذه ثلاثون باباً جمعها (ابن حزم) لمن يحب أن يتعرف على الحب شؤونه وشجونه.



شيء عن الكتاب في الباب الأول

–من أبواب طوق الحمامة؛(ماهية الحب)– صور (ابن حزم) الحب بقوله:– "الحب –أعزك الله– أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها،عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة"[٢١]، فهو لا يجد تعريفاً للحب ، ويتركه للمعاناة، حيث يعرف الحب بالممارسة لا من خلال الشعر والكتب، ثم يبين أن الحب "ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل"[٢٢]، على هذا الأساس يعدد جملة من أمراء الأمويين وخلفائهم في الأندلس ممن أحب ويعقب على ذلك قائلا:– "ولولا أن حقوقهم على المسلمين واجبة – وإنما يجب أن نذكر من أخبارهم ما فيه الحزم وإحياء الدين، إنما هو شيٌ كانوا ينفردون به في قصورهم مع عيالهم فلا ينبغي الإخبار به عنهم – لأوردت من أخبارهم في هذا الشأن غير قليل. وأما كبار رجالهم ودعائم دولتهم فأكثر من أن يحصوا[٢٣]، وقد تحدث عن كلف المظفر بن عبد الملك بن أبي عامر بواجد

بنت رجل من الجنانين[٢٤] حتى حمله حبها أن يتزوجها[٢٥]، ويبدو أنه ذكر ذلك لتصوره غرابته، إذ كيف يتزوج رجل مثل (المظفر) بـ (واجد)؛ من بنات الفلاحين؟!

وتكلم عن رجلين من المشرق شغفهما الحب أحدهما خليفة فاطمي هو(نزار بن معد) وثانيهما من فقهاء المدينة المنورة السبعة هو (عبد الله بن عتبة بن مسعود) ثم قال:- "وقد جاء من فتيا ابن عباس رضي الله عنه ما لا يحتاج معه إلى غيره حين يقول: هذا قتيل الهوى، لا عقل ولا قود"[٢٦]، وهو لا يُعرِّف الحب ولا يقبل تعريفه من أحد فقد ذهب إلى ما يرى أنه الحب وناقش ما ذهب إليه(محمد بن داود) حين قال:- وقد أختلف الناس في ماهيته[٢٧] وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع ، لا على ما حكاه محمد بن داود رحمه الله ، عن بعض أهل الفلسفة : الأرواح أُكَر مقسومة لكن على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي، ومجاورتها في هيئة تركيبها[٢٨].

وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال.والشكل دأبا يستدعي شكل ، والمثل إلى مثله ساكن ، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد، والتنافر في الأضداد، والموافقة في الأنداد، والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا، فكيف بالنفس ، وعالمها العالم الصافي الخفيف، وجوهرها الجوهر الصعاد المعتدل، وسِنْخها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة و النفار؛ كل ذلك معلوم بالفطرة في أحوال تصرف الإنسان فيسكن إليها، والله عز وجل يقول: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا "[٢٩] "فجعل علة السكون أنها منه[٣٠]، وهكذا يستند(ابن حزم) إلى جملة من الفقهاء المسلمين، ومنهم (ابن عباس) (رض) – صاحب النبي (ص) وابن عمه- يقرون الحب بين الرجال والنساء. ومع أنه معني بالجمال والخلق إلا أنه لا يرى أنهما السببان الوحيدان للحب من هنا فهو يقول:- ولو كان علة الحب حسن الصورة الجسدية لوجب ألا يستحسن الأنقص من الصورة، ونحن نجد كثيراً ممن يؤثر الأدنى ويعلم فضل غيره ، ولا يجد محيدا لقلبه عنه؛ ولو كان للموافقة في الأخلاق لما أحب المرء من لا يساعده ولا يوافقه. فعلمنا أنه شيء في ذات النفس. وربما كانت المحبة لسبب من الأسباب، وتلك



تفنى بفناء سببها، فمن ودّك لأمر، ولّى مع انقضائه.[٣١]، وهكذا يكشف عن غموض الحب في نفسه وفيه همسة خفيفة إلى حبه لبني أمية؛ الذين يعلم أنهم ليسوا الأحسن جمالا ولا خلقا فقد آذوه وآذوا أباه وأسرته، ومع ذلك فقد بقي مخلصا في حبهم، لأنه متمسك بحبه للقديم ، وكذا يمكن تلمس مظاهر هذا الحب ومصاديقه في أثناء الكتاب. يستمر (أبن حزم) في الحديث عن الحب بين الناس مبينا ما يشابهه في الطبيعة مثل تجاذب الحديد مع المغناطيس حتى يصل إلى قوله:- "والحب أعزك الله، داء عياء، وفيه الدواء منه على قدر المعاملة، ومقام مستلذ، وعلة مشتهاة لا يود سليمها البرء، ولا يتمنى عليلها الإفاقة. يزين للمرء ما كان يأنف منه، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطبائع المركبة والجبلة المخلوقة. وسيأتي كل ذلك ملخصا في بابه إن شاء الله"[٣٢].

وفي الباب الثاني يتحدث عن علامات الحب فيقول:

وللحب علامات يقفوها الفطن، ويهتدي إليها الذكي فأولها إدمان النظر، والعين باب النفس الشارع، وهي المنقّبة عن سرائرها، المعبّرة لضمائرها، والمعربة عن بواطنها،



فترى الناظر لا يطرف، يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس"[٣٣]،.... ويستمر في تعداد علامات الحب حيث يقول:- "ومنها الإقبال بالحديث"[٣٤]، "ومنها الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه... والتباطؤ في المشي عند القيام عنه وفي ذلك أقول شعراً:

وإذا قمت عنك لم أمش إلا مشي
عانٍ يقاد نحو الفناء
في مجيئي إليك أحتث كالبد
ر إذا كان قاطعا للسماء
وقيامي إن قمت كالأنجم العا
لية الثابتات في الإبطاء

ومنها بهت يقع و روعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة، وطلوعه بغتة ومنها اضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبه محبوبه، أو عند سماع أسمه فجأة. وفي ذلك أقول قطعة منها:

إذا ما رأت عيناي لابس حمرة
تقطع قلبي حسرة وتفطرا
غدا لدماء الناس باللحظ سافكا
وضرج منها ثوبه فتعصفرا[٣٥]

وهذه العلامات تكون قبل استعار نار الحب، وتأجج حريقه، وتوقد شعله، واستطارة لهبه.فأما إذا تمكن وأخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سرارا،والإعراض عن كل من حضر

إلا عن المحبوب جهارا ولي أبيات جمعت فيها كثيرا من هذه العلامات، منها:

أهوى الحديث إذا ما كان يذكر لي
فيه ويعبق لي عن عنبر أرج
إن قال لم أستمع ممن يجالسني
إلى سوى لفظة المستطرف الغنج
ولو يكون أمير المؤمنين معي
ما كنت من أجله عنه بمنعرج
فإن أقم عنه مضطرا فإني لا
أزال ملتفتا والمشي مشي وجي
عيناي فيه، وجسمي عنه مرتحل
مثل ارتقاب الغريق البر في اللجج
أغص بالماء إن أذكر تباعده
كمن تثاءب وسط النقع والوهج
وإن تقل: ممكن قصد السماء، أقل
نعم! وإني لأدري موضع الدرج![٣٦]

ويواصل وصف علامات الحب حتى يقول:- "ومنها علامات متضادة، وهي على قدر الدواعي والعوارض الباعثة، والأسباب المحركة، والخواطر المهيجة، والأضداد أنداد، والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها. ووقفت في انتهاء حدود اختلافها، تشابهت، قدرة من الله عز وجل تضل فيها الأوهام؛ فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فعل فِعل النار، ونجد الفرح إذا أفرط قتل، والضحك إذا كثر واشتد، أسال الدمع من العينين.

وهذا في العالم كثير، فنجد المحبين إذا تكافيا في المحبة، وتأكدت بينهما تأكدا شديدا، أكثر بهما جدهما بغير معنى، وتضادهما في القول تعمدا، وخروج بعضهما على بعض في كل يسير من الأمور، وتتبع كل منهما لفظة تقع من صاحبه وتأولها على غير معناها، كل هذه تجربة ليبدو ما يعتقده كل واحد منهما في صاحبه. والفرق بين هذا، وبين حقيقة الهجرة والمضادة المتولدة عن الشحناء ومحارجة التشاجر، سرعة الرضى[٣٧] ومع أن في بعض الأبيات غزلا رقيقا إلا أن فيها ما يدل على أنه نظم الشعر حيث نجد المصطلح العلمي بارزا فيه وفيه تكلف واضح فإذا ما انتهى من ذكر علامات الحب ذاكرا ما ذكر من الأخبار المدعمة بالأشعار انتقل إلى حيث يمكن للشخص أن يجد محبوبه أو أن يجد الطريقة التي تمكنه من الحب

فالباب الثالث "باب من احب في النوم"[٣٨] معرض ذلك، فهو يعترف بغرابة هذا الأمر وعجائبيته ويذكر عنه خبرا وقع لصاحب له هو قوله:- "دخلت يوما على أبى السري عمار بن زياد صاحبنا مولى المؤيد"[٣٩]...الخ، حيث أحب جارية رآها في نومه ظل يفكر فيها نحوا من شهر وأن (ابن



حزم) حاول أن يسليه عنها حتى سلا وقد دعم هذا الخبر بأبيات هي:-

"يا ليت شعري من كان وكيف سرت
أطلعة الشمس أم كانت هي القمر؟
أظنه العقل أبداه تدبره
وصورة الروح أبدتها لي الفكر
أو صورة مثلت في النفس من أملي
فقد تحير في إدراكها البصر
أو لم يكن كل هذا فهي
حادثة أتى بها سببا في حتفي القدر[٤٠]

وفي الباب الرابع (باب من أحب بالوصف) يرتقي من الحب في النوم إلى الحب بالوصف فيقول:-

"ومن الغريب أن تقع المحبة بالوصف دون المعاينة، وهذا أمر يُترقَّى منه إلى جميع - أعراض- الحب، فتكون المراسلة والمكاتبة، والهم والوجد، والسهر على غير الإبصار، فإن للحكايات، ونعت المحاسن، ووصف الأخبار، تأثيرا في النفس ظاهرا.

وأن تسمع نغمتها من وراء جدار، فيكون سببا للحب واشتغال البال. وهذا كله قد وقع لغير ما واحد، ولكنه عندي بنيان هارٍ على غير أسٍ وذلك أن الذي أفرغ ذهنه في هوى من لم ير، لابد له إذ يخلو بفكره، أن يمثل لنفسه صورة يتوهمها، وعينا يقيمها نصب ضميره، لا يتمثل في هاجسه غيرها، قد مال بوهمه نحوها. فإن وقعت المعاينة يوما ما، فحينئذ يتأكد الأمر أو يبطل بالكلية؛وكلا الوجهين قد عرض وعرف ، وأكثر ما يقع هذا ، في ربات القصور،المحجوبات من أهل البيوتات، مع أقاربهن من الرجال وحب النساء في هذا أثبت من حب الرجال لضعفهن وسرعة إجابة طبائعهن إلى هذا الشأن، وتمكنه منهن، وفي ذلك أقول شعرا منه:

ويا من لامني في حب من لم يره طرفي
لقد أفرطت في وصفك لي في الحب بالضعف

فقل: هل تعرف الجنة يوما بسوى الوصف؟""[٤١]

وهنا يخالف شعره ما ذهب إليه من قوله:- "وهذا عندي بنيان هارٍ على غير أُسٍّ" إذ كيف يكون الحب بالوصف بنيانا هاريا من غير أس مع أن حب الجنة خالط القلوب بالوصف، فمن الذي رأى الجنة؟

وهو يؤكد هذا المعنى بقوله:-

لقد وصفوك لي حتى التقينا
فصار الظن حقا في العيان
فأوصاف الجنان مقصرات
على التحقيق عن قدر الجنان[٤٢]

وإذ انتهى من باب من أحب بالوصف ارتقى **إلى الباب الخامس وهو باب (من أحب من نظرة واحدة)**[٤٣]؛ **قال:**

- "وكثيرا ما يكون لصوق الحب بالقلب من



نظرة واحدة وهو ينقسم قسمين"[٤٤]، **فالقسم الأول** حديثه عن رجل هو يوسف بن هارون الشاعر المعروف بـ(الرمادي)، الذي أحب امرأةً رآها في سوق العطارين مرة واحدة زعمت أن اسمها(خلوة) وخدعته عن رؤيتها فلم يرها بعد ذلك على الرغم من متابعته إياها وتحريه عن أخبارها وسفره وراءها [٤٥] في حين أن **القسم الثاني** كان عن امرأة من ذوات الحجاب رأت رجلا مرة واحدة ورآها فتحابا وتراسلا ولم ينقطع ذلك على الرغم من الصعوبات التي لم يشأ (ابن حزم)؛ أن يذكرها، فهذا دليل على احتمال ثبات الحب من نظرة واحدة خلافا لما قاله "فمن أحب من نظرة واحدة، وأسرع العلاقة من لمحة خاطرة فهو دليل على قلة الصبر،ومخبر بسرعة السلو، وشاهد الظرافة والملل. وهكذا في جميع الأشياء: أسرعها نموا، أسرعها فناء، وأبطؤها حدوثا، أبطؤها نفادا"[٤٦] وفي هذا ما يشعر بأن الرجل لم يدقق وإنما قال ما جاء على ذهنه وهو ما نبه إليه في التمهيد ضمن منهجه. لأنه يعتقد هذا الاعتقاد وقد ثبت هذا **في الباب السادس باب من لا يحب إلا مع المطاولة** [٤٧] **حيث قال**:

- "و من الناس من لا تصح محبته إلا بعد طول المحادثة وكثير المشاهدة ومتمادي الأنس، وهذا الذي يوشك أن يدوم، ويثبت، ولا يحيك فيه مر الليالي، فما دخل عسيرا، لم يخرج يسيرا، وهذا مذهبي"[٤٨]وواضح أنه يقدم المسألة متشككا،إذ يبدأ كلامه بقوله "ومن الناس"كما يستعمل كلمة"يوشك" وهذا يعني أنه متشكك، لكنه مذهبه أو ما يصف به نفسه من شدة الألفة للأشياء إذا ما طال الزمن الذي يربطه بها يقول: "وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل، وبعد ملازمة الشخص لي دهرا ، وأخذي معه في كل جد وهزل، وكذلك أنا في السلو والتوقي، فما نسيت لي ودا قط، وأن حنيني إلى كل عهد تقدم لي، ليغصني بالطعام، ويشرقني بالماء وقد استراح من لم تكن هذه صفته"[٤٩]، ويستمر بالحديث عن نفسه بهذا الشكل الذي لا يؤدي به إلى رفض الحب من نظرة واحدة فحسب لكن يؤدي به إلى رفض محبة اثنين في وقت واحد إذ يقول:- "ومن هذا دخل الغلط على من يزعم أنه يحب اثنين، ويعشق شخصين متغايرين، فإنما هذا من جهة الشهوة التي ذكرناها آنفا، وهي على المجاز تسمى محبة،لا على التحقيق، وأما نفس المحب فما في الميل به فضل يصرفه من أسباب دينه ودنياه، فكيف



بالاشتغال بحب ثان ؟ وفي ذلك أقول:"[٥٠]..الخ وأنشد ستة أبيات من شعره تمثل فيها بأمور دينية وعقلية تمنع اشتراك اثنين في قلب واحد.

يتلو تلك الأبيات بحديث عن فتى لم يسمه زعم أن النساء لا يشغفن به لأول وهلة حتى إذا ما خالط الواحدة منهن فجامعها استأثر بحبها ويعقب على ذلك بقوله:- "فمثل هذا وشبهه إذا وافق أخلاق النفس ولد المحبة ، إذ الأعضاء الحساسة مسالك إلى النفوس ومؤديات نحوها."[٥١] وهذا كلام يزيد على موضوع المخالطة، إذ أن الرجل والمرأة لا يصلان إلى الجماع إلا بعد تزوج أو تملك أو تعشق وهذا أكثر من مجرد المخالطة، فلم يقدم بهذا الخبر- دليلا على طول المخالطة المؤدية إلى الحب، خصوصا وأن الحب شيء والجماع شيء آخر، قد يترتب على الحب وقد لا يترتب عليه، وعندي أن حب الشخص لشخص آخر في النوم؛ أمرٌ بعيد الاحتمال،وإن وقع،فاحتمال وقوعه ناتج عن تصور شخص معشوق في لا شعور العاشق الذي لم يجده في الواقع، فكمِنَ في لا شعوره، أما الحب الناتج عن الوصف، فهو ممكن، لأن خيال الواصف يضفي على الموصوف صفاتٍ، يعشقها الموصوف له، فتقع المحبة على الصفات المتخيلة للموصوف، لا على الموصوف ذاته، من هنا يمكن توقع الحب من نظرة واحدة؛ ينظرهاالناظر للمنظور إليه، فلا يرى منه غير الظاهر الجميل، فيظنه الواقع؛ نتيجة التعجل وعدم التدقيق أو نتيجة لهما معا، فالناظر محتاجٌ راغب،فهو يقبل بالظاهر المشاهد الذي لا يعبر عن الواقع المنتظر، فيترتب على ذلك ما يترتب على الظمآن المتعجل في الشرب، فقد يقع على ماء صالح للشرب، وكثيراً ما يقع على غيره فيؤذيه ويمرضه.

أما الباب السابع، باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها[٥٢]،

فقد تخلى عن الحديث عن وقت الحب أو مكانه، وانتقل إلى الصفات المحبوبة، فرأى أن هناك أناسا يحبون صفات بأعيانها لا يتخلون عنها منهم هو وأبوه وأبناء مروان - يريد الأمويين الذين يترحم عليهم- فإنه كان يحب الشَعر الأشقر ولم يحبب سواه وكذلك أبوه وكذلك بنو مروان ، فقد كان أغلبهم شقرا - نزاعا إلى أمهاتهم ؛ كما يتصور- إلا الظافر، فقد كان أسود الشعر واللحية؛ منبها إلى أن هؤلاء من أهل العقل



الذين يميل بعضهم إلى صفات معتادة من الناس تدل على الجمال؛ قد يتخلون عنها إلى ما هو أدنى منها، ويستمرون على ذلك طيلة حياتهم، ويبدو لي أن هذا من الشأن السياسي الذي يلمح إليه في هذا الكتاب، ذلك أنه ينشد في آخر الباب أبياتا يصرح فيها بأن الرايات السود لم تبق للرشاد سبيلا ، والرايات السود هي رايات بني العباس خصوم بني أمية الذين قضوا على دولتهم في المشرق يقول:-

يعيبونها عندي بشقرة شعرها
فقلت لهم: هذا الذي زانها عندي

يعيبون لون النور والتبرضلة
لرأي جهول في الغواية ممتد

وهل عاب لون النرجس الغض عائب
ولون النجوم الزاهرات على البعد ؟

وأبعد خلق الله من كل حكمة
فضل جرم فاحم اللون مسود

به وصفت ألوان أهل جهنم
ولبسة باك مثكل الأهل محتد

ومذ لاحت الرايات سودا تيقنت
نفوس الورى أن لا سبيل إلى الرشد[٥٣]

أما الأبواب الثامن (التعريض بالقول)[٥٤] **والتاسع (الإشارة بالعين)**[٥٥] **والعاشر (المراسلة)**[٥٦] **فهي** الأبواب التي يبدأ بها التواصل بين المتحابين، فيستمر أو ينقطع، فإذا انقطع التواصل انتهى أمر الحب، ولم يعد الحديث عنه لازما؛ من هنا فالمقصود استمرار الحب. أما التعريض بالقول فهو -عند (أبن حزم)- على جنسين، أحدهما أن يعرّض طالب المودة ببيت شعر أو مثل، فيرى انعكاس أثر ذلك في هيئة من يطلب مواصلته أو رده، فإذا تم التواصل؛ جاء الجنس الثاني من جنسي التعريض بالقول، حين يقول أحد المتحابين شيئاً يخالف المطلوب يفهمه المحبوب، فيرد المحبوب عليه بما يفهمه المحب دون غيره إلا إذا كان من أهل الفطنة. ثم يترقى بالحديث من التعريض بالقول إلى الإشارة بالعين حيث يقول:- "ثم يتلو التعريض بالقول إذا وقع القبول والموافقة، الإشارة بلحظ العين"[٥٧] مبينا ما يمكن أن تدل عليه الإشارة بالعين؛ محددا كل حركة من حركات العين وما يمكن أن تدل عليه فهو يقول :- (وسائر ذلك لا يدرك إلا بالمشاهدة، واعلم أن العين تنوب عن الرسل ويدرك بها المراد،والحواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النفس، العين أبلغها، وأصحها دلالة، وأوفاها عملا، وهي رائد النفس الصادق)[٥٨]...الخ. فإذا انقضى أمر التعريض بالقول والإشارة بالعين، جاء دور المراسلة التي يقول عنها:- "ثم يتلو ذلك، إذا امتزجا، المراسلة



بالكتب. وللكتب آفات. ولقد رأيت أهل هذا الشأن يبادرون بقطع الكتب، وبحلها بالماء وبمحو أثرها، فرب فضيحة كانت بسبب كتاب. وفي ذلك أقول:-

عزيز علي اليوم قطع كتابكم ... ولكنه لم يلف بالود قاطع

فآثرت أن يبقى وداد وينمحي ... مداد فإن الفرع للأصل تابع

فكم من كتاب فيه ميتة ربه ... ولم يدره، إذ نمقته الأصابع

وينبغي أن يكون شكل الكتاب ألطف الأشكال، وجنسه أملح الأجناس"[٥٩].فهو يحاول أن يستوعب كل شيء يتعلق بموضوعه من حيث أسباب المراسلة وآفاتها ولا ينسى شكل الكتاب وضرورة ملاحته ووسائل كتابته من خلط الحبر بالدم أو بالريق بل كتابته بالدم، وواضح أن هذا قليل، ثم يذكر طرق استقبال الأحبة لكتب محبيهم أو محبوبيهم وأماكن وضعها على العين أو احتضانها أو ما إلى ذلك، كل ذلك دليل على الحب ومع أنه يعد الأبواب العشرة الأولى مجموعة شبه مستقلة،فأنني أشعر بأن بعض الأبواب التالية متداخلة في الأبواب العشرة **فباب السفير - وهو الباب الحادي عشر-**[٦٠] يمثل شكلا من أشكال المراسلة إلا أنها شفهية؛ من هنا، فهو يتحدث عن اختيار السفير وأهمية هذا الاختيار ويعدد مجموعة من السفراء المعتادين من رجال ونساء فيقول:-"واكثر ما يستعمل المحبون في إرسالهم إلى من يحبونه، إما خاملا لا يؤبه له، ولا يهتدى للتحفظ منه، لصباه، أو لهيئة رثة أو بذاذة في طلعته. وإما جليلا لا تلحقه الظنن، لنسك يظهره، أو لسن عالية قد بلغها. وما أكثر هذا في النساء ، ولا سيما ذوات العكاكيز والتسابيح والثوبين الأحمرين. وإني لأذكر بقرطبة التحذير للنساء المحدثات من هذه الصفات حيثما رأينها.أو ذوات صناعة يقرب بها من الأشخاص. فمن النساء كالطبيبة، والحجامة، والسرافة والدلالة، والماشطة، والنائحة، والمغنية، والكاهنة، والمعلمة، والمستخفة،والصناع في الغزل والنسيج، وما أشبه ذلك. أو ذا قرابة من المرسل إليه لا يشق بها عليه. فكم منيع سهل بهذه الأوصاف، وعسير يسر[٦١]"

وهنا أمور لابأس من لفت النظر إليها أهمها:

١ــ أنه يعرف وسائل للإسفار بين الأحبة لا يريد التنبيه إليها والتعريف بها لما يرى أنه يترتب عليها من الإفساد.

٢ــ ألحظُ أن جداتنا وأمهاتنا؛ كن يحذّرن بناتهن



وكنائنهن من هاتيك النساء وأمثالهن، وهي خبـرة جماعية لا أظن أنها مأخوذة من هذا الكتاب.

٣ــ هذه أعمال؛ يذكر (أبن حزم) أنها كانت للنساء في الأندلس؛ مما يبين أن بعض النساء الأندلسيات؛ كن عاملات.

٤ــ من الغريب أنه يجمع أربعة أصناف من النساء المختلفات الأعمال فالماشطة(وهي التي تزين النساء للأفراح) تسبق النائحة (التي تنوح في الأحزان) تليها المغنية التي يجدر أن تكون بعد الماشطة ؛ تليها الكاهنة، وإذا لم يكن له هدف غير مذكور من هذا الترتيب، فلعل هذا الترتيب؛ مما يدل على أن الرجل يكتب عفو الخاطر أو ما هو قريب من هذا الأمر وقد وضح ذلك في بداية الكتاب.

وإذ يستوفي الحديث عن سفارة الرجال والنساء بين المحبين – وهو أمر طبيعي– فإنه يخبر خبرا – يوشك أن يكون– عجائبياً في الإسفار بين المحبين إذ يتحدث عن حمامة مؤدبة – مدربة– تسفر بين محبين يُعقد الكتاب في جناحها[٦٢]،وهو مغرم بالغرائب وكان جديراً به أن يشير إلى أهمية طي السفير لسر المسفر، لكنه لم يفعل وتحدث في **الباب الثاني عشر (طي السر)**[٦٣]. عن كتمان أحد المحبين أو كليهما؛ سر حبه عن الآخرين وقال عن سبب ذلك:– "وربما يكون السبب في الكتمان تصاون المحب عن أن يَسِمِ نفسه بهذه السمة عند الناس، لأنه بزعمه، من صفات أهل البطالة فيفر منه ويتفادى، وما هذا وجه الصحيح؛ فبحسب المرء المسلم أن يعف عن محارم الله عز وجل التي يأتيها باختياره، ويحاسب عليها يوم القيامة. وأما استحسان الحسن، وتمكن الحب، فطبع لا يؤمر به، ولا ينهى عنه، إذ القلوب بيد مقلبها، ولا يلزمه غيرالمعرفة والنظر في فرق ما بينالخطأ والصواب، وأن يعتقد الصحيح باليقين. وأما المحبة فخلقة،وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه المكتسبة. وفي ذلك أقول:

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى
وسيان عندي فيك لاح وساكت
يقولون: جانبت التصاون جملة
وأنت عليم بالشريعة قانت
فقلت لهم: هذا الرياء بعينه
صُراحا ، وزيّ للمرائين ماقت
متى جاء تحريم الهوى عن محمد
وهل منعه في محكم الذكر ثابت
إذا لم أواقع محرما أتقي به
مجيئي يوم البعث والوجه باهت
فلست أبالي في الهوى قول لائم
سواء لعمري: جاهر أو مخافت



وهل يلزم الإنسان إلا اختياره
وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت[٦٤]

وهنا مسألة مهمة يؤكدها هي أن الحب شيء مباح غير محرم في الدين. و(أبن حزم) يذكر شيئا من أخبار كتمان أسرار الحب كما يذكر لهذا الكتمان أسباباً منها قوله:- "وربما كان سبب الكتمان توقّي المحب على نفسه من إظهار سره ، لجلالة قدر المحبوب"[٦٥]. ولو أن كاتبا حديثا كتب هذا الباب، فلعله يعنونه بقوله:- (طي السر وأسبابه)، ذلك أن أسباب طي السر تغلب على الباب.

وبعكسه **الباب الثالث عشر (باب الإذاعة)**[٦٦] .

يريد باب إذاعة سر الحب " وقد تعرض في الحب الإذاعة، وهو من منكر ما يحدث من أعراضه، ولها أسباب منها:

أن يريد صاحب هذا الفعل أن يتزيا بزي المحبين، ويدخل في عدادهم وهذه خلابة لا ترضى، و تخليج بغيض، ودعوى في الحب زائفة. وربما كان من أسباب الكشف، غلبة الحب، وتسور الجهر على الحياء فلا يملك الإنسان حينئذ لنفسه صرفا ولا عدلا. وهذا أبعد غايات العشق"[٦٧] ،ويذكر للإذاعة أسبابا أخرى يوردها؛ ومنها قوله:- "ومن أسباب الكشف وجه ثالث وهو عند أهل العقول وجه مرذول، وفعل ساقط وذلك أن يرى المحب من محبوبه غدرا أو مللا أو كراهة، فلا يجد طريق الانتصاف منه إلا بما ضرره عليه أعود منه على المقصود من الكشف والاشتهار وهذا اشد العار"[٦٨]،ومنها قوله "وربما كان الكشف من حديث ينتشر، وأقاويل تفشو، توافق قلة مبالاة من المحب بذلك، ورضى بظهور سره، إما لإعجاب وإما لاستظهار على بعض ما يؤمله"[٦٩]، ويقول كذلك:-"وقرأت في بعض أخبار الأعراب أننساءهم لا يقنعن ولا يصدقن عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه، ويجاهر ويعلن. وينوه بذكرهن؛ ولا أدري ما معنى هذا؟ على أنه يذكر عنهن العفاف، وأي عفاف مع امرأة أقصى مناها وسرورها، الشهرة في هذا المعنى؟"[٧٠]، ومن حقه أن لا يعلم سبب رغبة بعض الأعرابيات في أن ينوه المحب بها وبحبها والذي أراه لهذا الأمر أسباب منها أن الغزل شكل من أشكال المديح والإنسان الذي يرى في نفسه اكتمالا؛ يحب أن يعرف فيه هذا الاكتمال، فإذا لم يجد من يشيد به مال إلى الفخر، وبعض الأعرابيات؛



ترى في نفسها ما يستحق المدح –التغزل– فهي تريد من يتغزل بها، ليعلن عما فيها من كمالات، وليس أفضل من المحب، من يعلن عن هذه الكمالات، فهي مع من يحبها على أحد حالين، فأما أن ينالها محبها وتناله بشكل من أشكال العلاقة، وينتهي الأمر إلى ما ينتهي إليه بين الناس، وأما أن تحول التقاليد بين المتحابين– كما حدث بين (قيس)و(ليلى) أو (جميل) و(بثينة)أو (كثير) و(عزة)– ...الخ، فأنه سيعلو شأنها ويرتفع ذكرها وتحمى سوقها، فتجد من يخطبها، وقد حدث هذا لكل من (ليلى) و(بثينة) و(عزة)،وفي هذا شكل من أشكال الإعلام[٧١] ويبدو أن (ابن حزم) إنما ذكر هذا تنكيلاً بالأعراب وهزءا بالاختيار بين الذين نقلوا أخبارهم، ومنها أخبار نسائهم، وفيه عطف على أنه لا ينضي مطية غيره من ذكر أخبار غير أهل الأندلس وإن كان ذكر بعضها. ومن الطبيعي أن يطيع المحب محبوبه خلافا لما بدأ به

الباب الرابع عشر (باب الطاعة)[٧٢] يقول:

– "ومن عجيب ما يقع في الحب طاعة المحب لمحبوبه وصرفه طباعه قسراً إلى طباع من يحب"[٧٣]...الخ، ففيمَ العجب من طاعة المحب لمن يحب؟!

وإذا لم يطِع المحب محبوبه، فمن يطيع؟!

وفي شيء من هذا المعنى يقول بيتين جميلين هما :–

فهل للوصال إلينا معاد
وهل لتصاريف ذا الدهر حد
فقد أصبح السيف عبد القضيب
وأضحى الغزال الأسير أسد[٧٤]

وذكر لطاعة المحب، محبوبه أخبارا وأشعارا منها احتمال المحب ضرب محبوبه إياه[٧٥] وطاعة قاضٍ كبير – سعيد بن منذر بن سعيد البلوطي– جارية له احبها؛ خدعته، فحلق لطلبها لحيته واعتقها في مجلس عام ثم خطبها لنفسه فرفضت خطوبته وقبلت خطوبة أخيه؛ في المجلس نفسه[٧٦]، كما ذكر أخبارا أخرى تبين طاعة المحب لمحبوبه، بسبب أن المحبوب لا يطاوع المحب،و(ابن حزم) يخالف في ذلك، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

من هنا جاء **الباب الخامس عشر (باب المخالفة)[٧٧] والذي نصه:**

– "وربما أتبع المحب شهوته، وركب رأسه فبلغ شفاءه من محبوبه، وتعمد مسرته منه على كل الوجوه،سخط أو رضي،ومن ساعده



الوقت على هذا، وثبت جنانه، وأتيحت له الأقدار، استوفى لذته جميعها، وذهب غمه، وأنقطع همه، ورأى أمله وبلغ مرغوبه. وقد رأيت من هذه صفته. وفي ذلك أبيات منها:

إذا أنا بلغت نفسي المنى
من رشأ ما زال لي ممرضاً
فما أبالي الكره من طاعة
ولا أبالي سخطا من رضا
إذا وجدت الماء لا بد أن
أطفي به مشعل جمر الغضا"(٧٨)

وهذا الباب - كما هو واضح يوشك أن- يعبر عن (ابن حزم) الذي نبه إلى هذا المعنى في باب الطاعة وفي باب المخالفة يقول:- "وقد رأيت من هذه صفته"(٧٩) فلعله -بهذا- يعبر عن نفسه وعمّن يشبهه، ومشبهوهُ كثيرون.

وإذ تحدث عن طاعة المحب محبوبه أو مخالفته إياه، فقد انتقل إلى آفات الحب وأولها ما تحدث عنه في

الباب السادس عشر(باب العاذل)(٨٠) **حيث قال:** -" وللحب آفات، فأولها العاذل. والعذال أقسام، فأصلهم صديق قد أسقطت مؤونة التحفظ بينك وبينه، فعذله أفضل من كثير المساعدات فهو من الحض والنهي، وفي ذلك زاجر للنفس عجيب"(٨١)، وذكر قسماً آخر من أقسام العذال حيث قال:- "ثم عاذل زاجر لا يفيق أبداً من الملامة، وذلك خطب شديد وعبء ثقيل. ووقع لي مثل هذا، وأن لم يكن من جنس الكتاب، ولكنه يشبهه"(٨٢)، وهكذا يستوفي أقسام العذال منتبها إلى أن بعض ما يذكره؛ يخرج عن نهج الكتاب ثم أنه لا يذكر في هذا الباب مخاطر العذل ونتائجه التي قد يلفت النظر إلى بعضها في أبواب الكتاب الأخرى.

(والمساعد من الأخوان)(٨٣) (ضد العاذل) وهو **الباب السابع عشر ولعله مطلوبُ كل محب لذلك يقول:**- "ومن الأسباب المتمناة في الحب، أن يهب الله عز وجل، للإنسان صديقاً مخلصا، لطيف القول بسيط الطول، حسن المأخذ، دقيق المنفذ، متمكن البيان، مرهف اللسان"(٨٤) ويذكر من الأحوال الجميلة لهذا المساعد من الإخوان ما يزيد عن صفحة من صفحات الكتاب؛ يعقب على ذلك بقوله:- "وإن فيه للمحب لأعظم الراحات، وأين هذا ؟ فأن ظفرت به يداك فشدهما عليه شد الضنين، وأمسك بهما إمساك البخيل، وصنه بطارفك وتالدك، فمعه يكمل الأنس، وتنجلي الأحزان، ويقصر الزمان،وتطيب الأحوال" (٨٥) ...الخ وهو يرى أن للنساء في المساعدة



على الحب شأنا سبق جانب منه في باب السفير وهو مؤكد -هنا- بقوله:- "وما رأيت الإسعاد أكثر منه في النساء، فعندهن من المحافظة على هذا الشأن والتواصي بكتمانه والتواطئ على طيه، إذا أطلعن عليه، ما ليس عند الرجال وما رأيت امرأة كشفت سر متحابين، إلا وهي عند النساء ممقوتة مستثقلة، مرمية عن قوس واحدة. وأنه ليوجد عند العجائز في هذا الشأن، ما لا يوجد عند الفتيات، لأن الفتيات منهن، ربما كشفن ما علمن على سبيل التغاير، وهذا لا يكون إلا في الندرة، وأما العجائز فقد يئسن من أنفسهن فانصرف الإشفاق محضا إلى غيرهن"[٨٦]، يؤكد ذلك بخبرين يدلان على ما يقول، ويضيف إلى ذلك قوله:- "وإنك لترى المرأة الصالحة المسنة،المنقطعة الرجاء من الرجال أحب أعمالها إليها، وأرجاها للقبول عندها، سعيها في تزويج يتيمة، وإعارة ثيابها وحليها لعروس مقلة، وما أعلم علة تمكن هذا الطبع من النساء، إلا أنهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه والتآلف ووجوهه، لا شغل لهن غيره،ولا خلقن لسواه.والرجال مقتسمون في كسب المال، وصحبة السلطان،وطلب العلم، وحياطة العيال، ومكابدة الأسفار والصيد ، وضروب الصناعات ، ومباشرة الحروب وملاقاة الفتن، وتحمل المخاوف، وعمارة الأرض، وهذا كله متحيف للفراغ، صارف عن طريق البُطل"[٨٧]، فهو -بهذا- يسبب ما يقول، ويبين الفرق بين النساء والرجال في هذا الشأن، وكأني به يتصور من ينكر عليه هذه المعرفة فيرد عليه بقوله:- "ولقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب، وحين تفيل وجهي، وهن علمنني القرآن، وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط، ولم يكن وكدي وإعمال ذهني، مذ أول فهمي وأنا في سن الطفولة جداً ، إلا تعرف أسبابهن ، والبحث عن أخبارهن ، وتحصيل ذلك. وأنا لا أنسى شيئاً مما أراه منهن، وأصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها، وسوء ظن في جهتهن فطرت به فأشرفت من أسبابهن على غير قليل، وسيأتي ذلك مفسرا في أبوابه إن شاء الله تعالى"[٨٨] وهكذا يصرح بسوء ظنه بالنساء على ما ذكر من شأنهن وفضلهن عليه في تعليمهن إياه، ويبدو لي أن الأمهات يربين أبناءهن -غالبا- على عدم الثقة بالنساء



خوفا من خطر خطأ إحداهن في حق الزوج أو الأب أو الأخ. وعدم ثقته بالنساء موضَّح في الباب التاسع عشر(باب الواشي)[٨٩] حيث يخبر أن قطر الندى -جارية ابن حذير- قتلته[٩٠] معلقا على ذلك قائلاً:- "وفي ذلك أقول محذراً لبعض أخواني قطعة منها:

وهل يأمن النسوان غير مغفل
جهول لأسباب الردى متأرض
وكم وارد حوضاً من الموت أسود
ترشفه من طيب الطعم أبيض[٩١]

وله أن يرى رأيه في النساء أو في غيرهن، لكن أن يكون له رأي في مطلق النساء، فهو تعميم -لا يصح - في موضع التخصيص، وسيرد في كتابه ما يؤيد رأيه كما سيأتي ما يخالفه، فقد ذكر في باب الوصل[٩٢] رجالا ونساءً يتراوحون ويتراوحْنَ بين العفاف والتطلع إلى الوصل وما بعد الوصل فمن رجل متعفف تغريه جارية ولوع إلى رجل وجارية لا يمتنعان عن الوصل وما هو اكثر منه في حضرة الناس[٩٣] إلى امرأة باتت مع زوجها ليلة مات عنها في دثار واحد[٩٤]، كما تحدث في باب الوفاء[٩٥] عن جارية أحبت سيدها الذي مات، فتم بيعها، فامتنعت عن أن تكون لرجل غيره مع الضرب والإيذاء، وقبلت الخدمة وأنكرت إحسانها للغناء للسبب نفسه[٩٦]وهذا غير حديثه عن امرأة تقبل ترابا وطئه معشوقها وتلثمه[٩٧]- في باب القنوع-[٩٨] وعكس الأخ المساعد (الرقيب) -الذي تحدث عنه وعن أقسامه في **الباب الثامن عشر**[٩٩]- الذي يبدأه بقوله:- "ومن آفات الحب الرقيب،وإنه لحمّى باطنة، وبرسام مُلِحّ، وفكر مُكِبّ. والرقباء أقسام: فأولهم مثقل بالجلوس،غير متعمد،في مكان اجتمع فيه المرء مع محبوبه، وعزما على إظهار شيء من سرهما، والبوح بوجدهما، والانفراد بالحديث"[١٠٠]. وقسم آخر من الرقباء يمكن التعبير عنه بـ (الفضولي) وآخر مكلف بالتجسس على المحبين والتعرف على أخبارهم فذلك ممن ينبغي أن يرضى، فأن لم يرضَ، استعمل المحبان الإشارة بالعين وما إلى ذلك مما لا يلحظه الرقيب، وفي ذلك بعض الغناء ثم قد يحب محبان؛ محبوبا واحدا فيرقب أحدهما الآخر. وغير ذلك وقد تحدث بين الرقباء والمراقَبين حوادث طريفة أو عنيفة، خصوصا إذا كان الرقيب عاشقا؛ قد عرف أسباب التخفي ووسائله، فهو يفسدها على من يرقبهما، فيطلع على أسرارهما.

وقد انشد(ابن حزم)-لنفسه- جملة من المقطوعات والأبيات منها بيت جميل هو



قوله:

على كل من حولي رقيبان رقبا
وقد خصني ذو العرش منهم بثالث[١٠١]

الرقيبان هما الملكان أما هو –العاشق– فقد أضيف إلى رقيبيه الملكين رقيب ثالث من الناس فما أقسى هذا؟

على عكس هذه القسوة؛ ترضّي الرقيب على المتحابين، وتحويله إلى رقيب لهما؛ يعبر عنه بقوله:–

صار حياة وكان سهم ردى
وكان سما فصار ترياقا[١٠٢]

وماذا يفعل الرقيب؟!

ولماذا يراقب إذا لم يكن مغرما بالوشاية؟!

من هنا؛ يعرِّف (ابن حزم) في باب الواشي **ـالباب التاسع عشرـ(الواشي)** بقوله:ـ "وما في جميع الناس شر من الوشاة وهم النمامون"[١٠٣].ومن الطريف أن (ابن حزم) لا يدقق حتى في الأرقام التي يذكرها وهذا دليل على أنه جار على سجيته فمن ذلك قوله:– "من آفات الحب الواشي، وهو على ضربين. أحدهما واش يريد القطع بين المتحابين فقط ، وإن هذا لأفترهما سوأة ،على أنه السم الذعاف"[١٠٤] فهذا هو **الضرب الأول** الذي تحدث عنه في أكثر من صفحتين حيث يأتي **الضرب الثاني** الذي يقول عنه:–

"والثاني واش يسعى للقطع بين المحبين لينفرط بالمحبوب، ويستأثر به. وهذا اشد شيء ، وأفظعه"[١٠٥]" ومن الوشاة **جنس ثالث** وهو واش يسعى بهما جميعا ويكشف سرهما، وهذا لا يلتفت إليه إذا كان المحب مساعدا"[١٠٦]، فقد نسي أنه جعل الوشاة على ضربين في أول الباب. وإنما جرى في هذا على قلة تدقيقه. و(ابن حزم)؛ يعد الواشي نماما ويعد الوشاية والنميمة شكلا من أشكال الكذب الذي يستبشعه ويورد الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة؛ مسندة، للدلالة على خطئه وخطره.ويفرق بين أمرين مهمين؛ طالما خلط الناس بينهما؛ هما:– الناصح والنمام؛فيقول:–"وهل هلك الضعفاء، وسقط من لا عقل له، إلا في قلة المعرفة بالناصح من النمام، وهما صفتان متقاربتان في الظاهر متفاوتتان في الباطن، إحداهما داء والأخرى دواء . والثاقب القريحة لا يخفى عليه أمرهما"[١٠٧] ومن جميل ما انشد في هذا الباب:–

أنم من المرآة في كل ما درى
وأقطع بين الناس من قصب الهند
ظن المنايا والزمان تعلما
تحيله بالقطع بين ذوي الود[١٠٨]



ومن الطريف انه أخر باب الوصل ـالباب العشرين ـعن أبواب العاذل والرقيب والواشي وما إلى

ذلك فلماذا يعذل العاذل؟!
وماذا يرقب الرقيب؟!
وبماذا يشي الواشي؟!

إذا لم يكن هنالك وصل يرقبه أو يعذل بسببه ويشي به؟! ومع ذلك فقد وصف (ابن حزم)؛ الوصل وصفاً جميلاً حين قال وأطال ومما قال:- "ومن وجوه العشق الوصل، وهو حظ رفيع، ومرتبة سرية، ودرجة عالية، وسعد طالع؛ بل هو الحياة المجددة، والعيش السني، والسرور الدائم، ورحمة من الله عظيمة."[١٠٩] وذكر أخبارا وأنشد فيها لنفسه أشعارا باردة أو رائقة، فمن الأبيات الجميلة التي أنشدها هذه القطعة:-

وسائل لي عما لي من العمر
وقد رأى الشيب في الفودين والعذر
أجبته: ساعة، لاشيء أحسبه
عمرا سواها بحكم العقل والنظر
فقال لي: كيف ذا، بينه لي، فلقد
أخبرتني أشنع الأنباء والخبر
فقلت: إن التي قلبي بها علق
قبلتها قبلة يوما على خطر
فما أعدّ، ولو طالت سنيّ سوى
تلك السويعة بالتحقيق، من عمري[١١٠].

والهجر ضد الوصل-وهو الباب الحادي والعشرون- والذي يقول عنه:-



ومن آفات الحب أيضا الهجر، وهو على ضروب: فأولها هجر يوجبه تحفظ من رقيب حاضر، و إنه لأحلى من كل وصل"[١١١]

وواضح إن هذا الضرب والضربين اللذين يأتيان بعده -عند(ابن حزم)- مما هو الوصل أو أحلى من الوصل يقول:-"ثم هجر يوجبه التدلل ألذ من كثير الوصال"[١١٢] كذا يقول:- "ثم هجر يوجبه العتاب لذنب يقع من المحب، وهذا فيه بعض الشدة، لكن فرحة الرجعة، وسرور الرضى، يعدل ما مضى"[١١٣] ولا هجر إلا بعد وصال. قد توجبه الظروف أو يقع بسبب السأم والملل وقد تنبه (ابن حزم) إلى ذلك. وبعد الوصل والهجران وقبلهما؛ **يطلب الوفاء-الذي جعله الباب الثاني والعشرين-فقال عنه**:-"ومن حميد الغرائز، وكريم الشيم، وفاضل الأخلاق في الحب وغيره، الوفاء، وإنه لمن أقوى الدلائل، وأوضح البراهين على طيب الأصل"[١١٤] ويقول:-"ثم مرتبة ثانية وهو الوفاء لمن غدر،وهي للمحب دون المحبوب وليس للمحبوب هاهنا طريق،ولا يلزمه ذلك"[١١٥] من هنا يقرر أن"من قابل الغدر بمثله فليس بمستأهل للملامة" [١١٦] يقول:- "ثم مرتبة ثالثة ، وهي الوفاء مع اليأس البات، وبعد حلول المنايا، وفجآت المنون، وإن الوفاء في هذه المرحلة لأجلّ وأحسن منه في الحياة ومع رجاء اللقاء"[١١٧] فللوفاء -على هذا- ثلاث مراتب وفي شأن الوفاء

يقـــول:- "واعلم إن الوفاء على المحـــب أوجب منه على المحبوب، وشرطه له الزم ، لأن المحب هو البادئ بـــاللصوق والتعرض لعقد الأذمة"[١١٨] كذلك يقول:- "وإنما يحمد الوفاء، ممن يقدر على تركه"[١١٩]. ومع إن المتبادر أن الوفاء - في هذه الرسالة- مما يتعلق بالعاشقين إلا إن موضوع الوفاء أوسع من هذا بـــكثير؛ من هنا انفتح له أن ينشـــد لنفسه أشـــعارا، وأن يروي عنها أخبـــارا تتحدث عن شدة وفائه، وهي مسألة مبثوثة في الرسالة؛ ما أمكن لذلك سبيلا، فبـــعض الوفاء مما كان بين النساء والرجال، وبـــعضه مما كان بين الرجال حصرا، وعلى كل حـــال فالوفاء والغدر ليسا مقـــصورين على جنس من جنســـي البشـــــر، والوفاء مطلوب من العاشقـــين ومن غيرهم، والغدر مرذول؛ أيا كان الغادر. من هنا تلا باب الوفاء باب الغدر الذي هو نقيض الوفاء **بـاب الثالث والعشرون هو بـــاب الغدر الذي قـــال في أوله**:- "و كما أن الوفاء من سري النعوت، ونبـــيل الصفات، فكذلك الغدر من ذميمها ومكروهها، وإنمـــا يسمى غدرا من البادي به. وأما المقـــارض بالغدر على مثله، وإن استوى معه في حقيقة الفعل، فليس بغادر ولا هو معيبا بذلك، والله عز وجل يقـــــــول:((وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا))[١٢٠]" [١٢١] ثم يذكر السفير الغادر حين يقول:- "ومن قبيح الغدر، أن يكون للمحب سفير إلى محبوبه، يستريح إليه بأســـراره، فيسعى حتى يقلبه إلى نفسه، ويستأثر بـــه دونه"[١٢٢] يليه بأبيات وخبـــر؛ تدور حـــول السفير الغادر وخطره، ثم لا يتوسع في هذا البـــاب؛ مع أن التوســـــع فيه ممكن، وكان يمكنه أن يضم هذا الجانب من البحـــث؛ إلى باب السفير، لكنه سار هذا المسار؛ في جملة من أبـــواب الكتاب، ثم **يتحدث عن البـين في الباب الرابع والعشرين إذ يقـول**:- "و قد علمنا أنه لابـــد لكل مجتمع من افتراق، ولكل دان من تناء"[١٢٣] وعلى عادته يقسم البـــين أقساما وينشد فيه لنفســـه ولغيره أشـــعارا ويروي عن نفسه وعن غيرها أخبارا تبين أنه وفيّ، والبين قد ينشـــأ لهجر أو بـــدون هجر وقد يخفى على البعض الفارق بـــينهما وعليه يقول:-"واختلف الناس في أي الأمرين أشـــد: البـــين أم الهجر؟ وكلاهما مرتقـــى صعب، وموت احمر"[١٢٤]..الخ وهي التفاتة ظريفة من ظريف يبين ما بين البين والهجر من اتفاق، كما يبين ما بـــينهما من اختلاف حين يقول:-"وأما الهجر فهو داعية السلو، ورائد الإقلاع"[١٢٥] وإذ يقع البين - البـــعد- يحتاج المحـــب إلى القـــناعة؛ من هنا يفتح



(ابن حزم) **الباب الخامس والعشرين - باب القنوع - ليقول**:- "ولا بد للمحب، إذا حرم الوصل، من القنوع بما يجد، وإن في ذلك لمتعللا للنفس، وشغلا للرجاء، وتجديدا للمنى، وبعض الراحة. وهو مراتب على قدر الإصابة والتمكن. فأولها الزيارة، وإنها لأمل من الآمال"[١٢٦]... الخ ويستمر في تقسيماته وتفريعاته ينشد الأشعار لنفسه ويروي الأخبار عن نفسه وعن غيرها منتبها إلى إن "من القنوع الرضا بمزار الطيف، وتسليم الخيال"[١٢٧] فإذا لم يقدر المحب الذي بان عنه محبوبه وقع له الضنى **- الذي له الباب السادس والعشرون - والذي يقول فيه**:- "و لا بد لكل محب صادق المودة، ممنوع الوصل، إما ببين، وإما بهجر، وإما بكتمان واقع لمعنى، من أن يؤول إلى حد السقام والضنى والنحول، وربما أضجعه ذلك"[١٢٨] وقد ضني محبون ذكر أخبارهم وسمى بعضهم؛ ذهب إلى إنهم وسوسوا أو حدث لهم اختلاط في العقول مع أنهم -في الأصل- من الأدباء والعلماء وبعد الضنى -وهو ضده- **السلو - الذي كان له الباب السابع والعشرون - الذي قال عنه**:- "وأما أعراض الدنيا فنافذة فانية وزائلة مضمحلة، وعاقبة كل حب إلى أحد أمرين: إما اخترام منية، وإما سلو حادث"[١٢٩]، ولعله دليل على أن الرجل متشائم؛ تحدث عن أنواع السلو وفرق بينه وبين النسيان حين قال:- "والناسي ضد هذا"[١٣٠] أي أن الناسي ضد السالي وهكذا فرق بين السلو والهجر والملل والنفار وما إلى ذلك مما يقبل أو مما يستنكر منشدا الأشعار راويا الأخبار في تأييد ما يقول وله -في هذا الباب- عبارة جميلة يجدر ذكرها وإن كانت خارجة عن باب السلو هي قوله:-"وإنما النساء رياحين متى لم تتعاهد نقصت وبنية متى لم يهتبل بها استهدمت"[١٣١] وهذا أحد أحوال النساء عنده.

وبعد السلو يأتي الموت في **الباب الثامن والعشرين وهما متضادان يقول (ابن حزم)**:- "وربما تزايد الأمر ورق الطبع، وعظم الإشفاق، فكان سببا للموت، ومفارقة الدنيا، وقد جاء في الآثار:- من عشق فعف فمات فهو شهيد. وفي ذلك أقول قطعة، منها:

فإن أهلك هوى أهلك شهيدا
وإن تمنن بقيت قرير عين
روى هذا لنا قوم ثقات
ثووا بالصدق عن جرح ومين[١٣٢]

وفي الباب جملة أخبار عن رجال أو نساء عشقوا فماتوا عشقا أو أوشكوا أن يموتوا. **تلا ذلك الباب التاسع والعشرون باب قبح**



المعصية الذي تحدث فيه عن قبــح المعصية مبينا أن تعرض النســاء للرجال أو تعرض الرجال للنســـاء؛ مما يؤدي إلى المعصية ومن جميل ما انشد لنفســه في هذا البــاب قوله:-

لا تلــم مــن عــرض الــنفس لمــا
ليس يرضى غيره عند المحن
لا تقــرب عــرفجــا مــن لهب
ومتــى قربتــه قــامت دخــن
لا تصــرف ثقـــة في أحـــد
فسـد الناس جميعـا والـزمـن
خــلق الــنسوان للفحــل كمـا
خلــق الفحـل بـلا شـك لهـن
كل شكل يتشهي شكلــه
لا تكن عن أحــد تنفي الظنـن
صفة الصـالح مـن إن صنتـه
عـن قبيـح أظهـر الـطوع الحسن
وسواه مـن إذا ثقفتــه
أعمـل الحيلـة في خـلع الـرسن[١٣٣]

إضافة إلى آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة وآثار وأشعار وأخبــار تبــين قبح المعصية. وعليه فقد عقــب في الباب الثلاثين- بــاب فضل التعفف- بقــوله:- "ومن أفضل ما يأتيه الإنســان في حبــه التعفف، وترك ركوب المعصية والفاحشـــــة، وألا يرغب عن مجازاة خالقه له بــالنعيم في دار المقامة.. لحري أن يســر غدا يوم البــعث ويكون من المقربــين في دار الجزاء وعالم الخلود"[١٣٤] وذكر أخبــــارا تدل على إمكان التعفف كما انشد لنفسه أطول قــصيدتين له في الكتاب تحــثان على التعفف وتخوفان من المعاصي وتذكران بما في الجنان،وهو دأب الخطباء والوعاظ، وهو ما يبدو أنه كان من مقاصده، وعلى كل حــال فقــد قــدم المرأة الأندلسية ضمن المجتمع الأندلســي وما فيه من حب وبــغض وألاعيب ومخاطر تحــيق بالمحبــين وتحــيط بــهم في مجتمع يزخر بالمتناقضات، ففيه الحــياة بــكل عنفوانها والحياء بــلطفه وخفره؛ كل ذلك يظهر على شاشة هذا الكتاب الصغير الدقــيق -في كثير من الأحيان-على غير تعمق، ولا رجوع إلى المعجمات في التعبيرعن معاني المصطلحــات في أحيان أخرى، فهو يعتمد على واعيته في شرح مصطلحاته المتمثلة في أغلب عنواناته، وقد بدا كلا الأمرين فيما ســلف من قــراءة مبتســرة للكتاب مختصرة لجانبــي الحــب والمرأة، ومع أنهما قد لا يكونان الجانبــين الأهم عند (ابن حزم) لكنهما الجانبان الأبرز عنده والأهم عند الكثيرين، وعلى كل حــال، فهذه المطالعة اليسيرة، لا تغني عن قــراءة الكتاب قــراءة متأنية لذات الكتاب أو ضمن رســائل الكاتب أو ضمن مجموع مؤلفاته أو



ضمن حياته وربما بعدها، ففي كل دائرة من هذه الدوائر مغاليق تحتاج إلى فتح، وهذه الفتوح؛ محتاجة إلى فاتحين أذكياء حاذقين؛ قادرين على التوغل في الشوك؛ دون أن يخزهم؛ مجتارين للعسل دون أن يصيبهم قرص النحل فكم هذا ممكن؟! كم يمكن الوصول إلى الحق دون عناء؟ هذا ما لا يتيسر أبدا.

خلاصة البحث وبعض نتائجه

أن الكتاب يعرض لمجموعة من الظواهر الموجودة في الأندلس -عبر الأندلس- لكنها قد توجد خارجها منها استغراب الناس كتابة فقيه مثل (ابن حزم) عن الحب مع أن (ابن حزم) نفسه؛ استغرب تبسم فقيه لسماعه شيئا عن الحب وتمنى لصاحبه عقد المودة، وسوّغتُ هذا بأن من واجب الفقهاء، الاهتمام بالحب لأنه يقع ضمن مجال الحِل والحرمة، وهو عملهم. كما بيّن الكثير من شأن المرأة الأندلسية -حرة وجارية؛ محبة ومحبوبة- فضلا عن ذكره -عفوا- بعض صناعات النساء في الأندلس؛ معرّفا أن أول أمر تربيته؛ كان بأيدي النساء، وطبيعي أنه لم يكن الأندلسي الوحيد في هذا، غير أن أهم قضية من قضايا هذا الكتاب؛ أنه استثمر الحب، وغرضه سياسي هو الدعاية لبني أمية أصفيائه، وهي مسألة يصعب كشفها - لولا التحليل والتعليل- يمكن سحبها على الكثير من الكتب والرسائل والموضوعات النثرية والقصائد الشعرية التي تظهر شيئا، وغرضها شيء آخر، والتي ينبغي التنقير فيها للوصول إلى أهدافها الحقيقية.

هوامش البحث

١ - البحث مطور عن محاضرة ألقيتها ضحى يوم الأربعاء ٢٠٠٧/١٠/٣١؛ ضمن فعاليات منتدى نازك الملائكة النسوي؛ في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق وعلى قاعته؛ أعيد إلقاء المحاضرة في ضحى الاثنين ١٤/ ١/ ٢٠٠٨ على قاعة الاجتماعات ضمن الموسم الثقافي للكلية التربوية المفتوحة، والبحث مقبول ومناقش في ندوة بغداد السابعة عشرة التي أقامها قسم اللغة العربية في كلية التربية للبنات على قاعة المصطفى في اليومين ٢٢-٢٣/ ٤/ ٢٠٠٨ وشكرت كلية التربية للبنات الباحث على بحثه رسمياً.

٢ -الروم ١٢١.

٣- طوق الحمامة في الألفة والألاف ابن حزم الأندلسي، حققه وقدم له: صلاح الدين القاسمي، ص ١٥٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الدار التونسية للنشر،



١٩٨٦ ، و سيكون معوّل هذه الدراسة؛ على هذه النسخة.

٤- مصارع العشاق، أبو محمد جعفر بن أحمد السراج (ت ٥٠٠ هـ =١١٠٦م) ط بيروت ١٩٥٨.

٥- ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ) ط ١ بيروت مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٩٨م.

٦- ديوان الصبابة، أحمد بن يحيى بن أبي حجلة المغربي (ت ٧٧٦ هـ = ١٣٧٥ م) على هامش (تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق) ط مصر ١٢٩١.

٧- (تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق) داود بن عمر البصير الأنطاكي (ت ١٠٠٨ هـ =١٥٩٩ م) ط مصر ١٢٩١.

٨- منهم (آنخل جنثالث بالنثيا) في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي تعريب حسين مؤنس ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة مايو ١٩٥٥، على ص ٧٤؛قائلاً:- و ربما كان أهم شعراء الأندلس الذين عاشوا في فترة انهيار الخلافة ابن حزم القرطبي، المكثر في كل ناحية من نواحي الفكر والآداب، ونجد أكبر مجموعة من شعره في ((كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف)) وهو دراسة نفسية للحب.

٩- أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث حياتهم- آثارهم —نقد آثارهم، بطرس البستاني، ص ١٩٨، ط٦، دار المكشوف ودار الثقافة، بيروت— لبنان، آذار ١٩٦٨.

١٠- تنظر أطروحة الباحث المعنونة:- (ملامح قصصية في الرسائل الأدبية النثرية الأندلسية بين القرنين الخامس و الثامن الهجريين)على ص ١٦٧ وما بعدها، وينظر:- ملامح قصصية في الرسائل الأندلسية ، للدكتور خليل محمد إبراهيم ، المركز العلمي العراقي، بغداد، ودار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص٢١٠ وما بعدها.

١١-في الشطر الثاني من هذا البيت خطأ عروضي وقد أنشدته كما في الكتاب دون ما تدخل.

١٢-طوق الحمامة، ص٤٣.

١٣-م.ن، ص ٤٣.

١٤- م.ن، ص ٤٣- ٤٤.

١٥- م.ن، ص ٤٤.

١٦- م.ن، ص ٤٤.

١٧- م.ن، ص٤٤.

١٨- م.ن، ص ٤٤.

١٩-م.ن، ص ٤٥.

٢٠- م.ن، ص ٤٥.

٢١- م.ن، ص ٤٧.

٢٢- م.ن، ص ٤٧.

٢٣- م.ن، ص ٤٨-٤٩.

٢٤- فلاحي الحدائق.

٢٥- م.ن، ص ٤٩.

٢٦- م.ن، ص ٤٩.

٢٧- الحب.

٢٨- طوق الحمامة ص٥٠ .

٢٩- القرآن الكريم، سورة الأعراف من الآية ١٨٩.

٣٠ - طوق الحمامة ، ص ٥٠.

٣١- م.ن،ص ٥٠.

٣٢- م.ن، ص ٥٥.



٣٣- م.ن، ص ٥٧ .

٣٤- م.ن، ص ٥٨ .

٣٥- م.ن، ص ٥٨ .

٣٦- م.ن، ص ٥٩ .

٣٧- م.ن، ص ٦٠ .

٣٨- م.ن، ص ٦٨ .

٣٩- م.ن، ص ٦٨ .

٤٠- م.ن، ص ٦٩ .

٤١- م.ن، ص ٧٠-٧١ .

٤٢- م.ن، ص ٧١ .

٤٣- م ن ص ٧٥ .

٤٤- م.ن، ص ٧٥ .

٤٥- ينظر طوق الحمامة ، ص ٧٥ .

٤٦- طوق الحمامة ، ص ٧٨ .

٤٧- م.ن، ص ٧٩ .

٤٨-م.ن، ص ٧٩ .

٤٩ـــ م.ن، ص ٨٠ .

٥٠- م.ن، ص ٨٢ .

٥١- م.ن، ص ٨٣ .

٥٢- م، ن ، ص ٨٤ .

٥٣- م.ن، ص ٨٨ .

٥٤- م ، ن ، ص ٨٩ .

٥٥- م ، ن، ص٩١ .

٥٦- م ، ن ، ص٩٤ .

٥٧- م.ن، ص ٩١ .

٥٨ - م.ن، ص ٩٢ .

٥٩- م.ن، ص ٩٤ .

٦٠- م ، ن ، ص٩٦ .

٦١- م.ن، ص ٩٧ .

٦٢- ينظر: الخبر في طوق الحمامة ص ٩٨ .

٦٣- م ، ن ، ص ٩٩ .

٦٤- طوق الحمامة ص ٩٩، ١٠٠ .

٦٥- م.ن، ص١٠٢ .

٦٦- م، ن ، ص١٠٤ .

٦٧- م.ن، ص١٠٤ .

٦٨- م.ن، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

٦٩- م.ن، ص١٠٧ .

٧٠- م.ن، ص١٠٧ .

٧١-ينظر: الإعلان الشعري في التراث العربي القديم ، دكتور خليل محمد إبراهيم مجلة التربية الأساسية ص١٣٧ ، ١٣٨ ع ٤٩ لسنة ٢٠٠٦

٧٢- م ، ن ، ص ١٠٨ .

٧٣- م.ن، ص١٠٨ .

٧٤- م.ن، ص١٠٨ .

٧٥- ينظر: طوق الحمامة ص ١١٠ و ١١١ .

٧٦- ينظر: طوق الحمامة ص ١١٢ و ١١٣ .

٧٧- م ، ن ، ص ١١٥ .

٧٨- طوق الحمامة ص١١٥ .

٧٩- م.ن، ص١١٥ .

٨٠ ــ م ، ن ، ص ١١٦ .

٨١- م.ن، ص١١٦.

٨٢- م.ن، ص ١١٦ و ١١٧.

٨٣ - م ، ن ، ص ١١٨ .

٨٤- م.ن، ص١١٨ .

٨٥ــ م.ن، ص١١٩ .

٨٦- م.ن، ص ١١٩، ١٢٠.

٨٧- م.ن، ص١٢٠.

٨٨- م.ن، ص١٢١ .

٨٩ــ م ، ن ، ص ١٢٦.

٩٠- ينظر: طوق الحمامة ص١٢٨ .

٩١- طوق الحمامة ص١٢٨ .

٩٢- م ، ن ، ص ١٣٥ .

٩٣- ينظر: م ، ن ، ص ١٤١ .

٩٤- ينظر: م ، ن ، ص١٤٣ .

٩٥- م ، ن ، ص ١٦١.

٩٦- ينظر: م ، ن ، ص ١٦٤ .

٩٧- ينظر: م، ن ، ص ١٨٧ ،١٨٨.

٩٨- م ، ن ، ص ١٨٥.

٩٩- م ، ن ، ص ١٢٢.

١٠٠- م.ن، ص١٢٢ .

١٠١- م.ن، ص١٢٤ .

١٠٢ – م.ن، ص١٢٤ .

١٠٣- م.ن، ص١٢٩.

١٠٤- .ن، ص١٢٦ .

١٠٥- م.ن، ص١٢٨ .

١٠٦- م.ن، ص١٢٨.

١٠٧- م.ن، ص١٣٤ .

١٠٨- م.ن، ص١٣٣ .

١٠٩- م.ن، ص١٣٥ .

١١٠- م.ن، ص١٣٦ .

١١١- م.ن، ص١٤٦.

١١٢- م.ن، ص ١٤٩.

١١٣- م.ن، ص ١٥٠.

١١٤- م.ن، ص ١٦١.

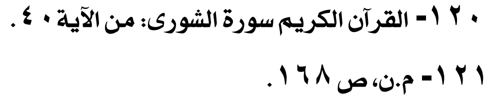
١١٥- م.ن، ص ١٦٢.

١١٦- م.ن، ص ١٦٢.

١١٧- م.ن، ص ١٦٤.

١١٨- م.ن، ص ١٦٥.

١١٩- م.ن، ص ١٦٥.


١٢٠- القرآن الكريم سورة الشورى: من الآية ٤٠ .

١٢١- م.ن، ص ١٦٨.

١٢٢- م.ن، ص ١٦٩.

١٢٣- م.ن، ص ١٧٠.

١٢٤- م.ن، ص ١٨٠.

١٢٥- م.ن، ص ١٨٠.

١٢٦- م.ن، ص ١٨٥.

١٢٧- م.ن، ص ١٨٨.



١٢٨- م.ن، ص١٦٩ .

١٢٩- م.ن، ص ٢٠٠ .

١٣٠- م.ن، ص ٢٠٢ .

١٣١- م.ن، ص ٢٠٩ .

١٣٢- م.ن، ص ٢١٣ .

١٣٣- م.ن، ص ٢٣١ .

١٣٤- م.ن، ص ٢٤٩_٢٥٠ .

مصادر البحث ومراجعه

١ .القرآن الكريم.

٢ .أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث –حياتهم- آثارهم – نقد آثارهم، بطرس البستاني، ط٦، دار المكشوف ودار الثقافة، بيروت – لبنان، آذار ١٩٦٨ .

٣ .تاريخ الفكر الأندلسي (آنخل جنثالث بالنثيا) تعريب حسين مؤنس ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة مايو ١٩٥٥ .

٤ .تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق) داود بن عمر البصير الأنطاكي (ت ١٠٠٨ هـ =١٥٩٩ م) ط مصر ١٢٩١ .

٥ .ديوان الصبابة، أحمد بن يحيى بن أبي حجلة المغربي (ت ٧٧٦ هـ = ١٣٧٥ م) على هامش (تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق) ط مصر ١٢٩١.

٦ . ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ) ط ١ بيروت مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٩٨م.

٧ .طوق الحمامة في الألفة والألاف بن حزم الأندلسي، حققه وقدم له: صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م طبعة فريدة ومنقحة.

٨ . مجلة التربية الأساسية ع٤٩ لسنة ٢٠٠٦ الإعلان الشعري في التراث العربي القديم، دكتور خليل محمد إبراهيم.

٩ . مصارع العشاق ، أبو محمد جعفر بن أحمد السراج (ت ٥٠٠ هـ =١١٠٦م) ط بيروت ١٩٥٨م.

١٠ .ملامح قصصية في الرسائل الأدبية النثرية الأندلسية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجريين، أطروحة تقدم بها (د. خليل محمد إبراهيم حسين علي)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بغداد، شوال ١٤٢٣هـ - كانون الأول ٢٠٠٢م.

١١- ملامح قصصية في الرسائل الأندلسية، للدكتور خليل محمد إبراهيم، المركز العلمي العراقي، بغداد، ودار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٣م.



التوليف البنائي
في قصة النبي يونس (عليه السلام)

بقلم د. نوافل يونس سالم الحمداني
جامعة ديالى / كلية التربية

ملخص البحث :

يلقي البحث الضوء على هندسية بناء المشاهد في قصة النبي يونس(عليه السلام) وطبيعة تشكلها الأسلوبي من حيث العلاقات الداخلية للمشهد الواحد، والعلاقات الخارجية للمشاهد المتجاورة ، فهي ــ القصة ــ عالم غرائبي، له خصوصيته التي انماز بها عن سائر قصص القرآن الكريم ، كونها اتخذت من فضاء مكاني عجيب مسرحاً لألمع أحداثها ،و قد اعتمدت تقنيات فنية و جمالية مثل الحذوفات الزمنية ، والفجوات الحدثية، التي أسهمت في بنائها بناءً فنياً متماسكاً مما يحفز المتلقي ويشده للغوص في عوالمها واستكناه أسرارها ، ولاسيما ما ارتبط منها بذلك الفضاء الأكثر إدهاشاً وغرابة ، وبما يسمح به النص نفسه من حركية تأمل بوصفه نصاً ينفتح على قراءات متعددة ، ويشع دلالات متكثرة .

هدف البحث :



يهدف البحث إلى دراسة النظام البنائي أو الترتيب الشكلي(الصيغي) لمشاهد قصة النبي يونس (عليه السلام)التي ننطلق بها من تسليط الضوء على ترتيب أو تناسق بنى المشهد الواحد فيها،وصولا إلى التخطيط النهائي (المتكامل) للمشاهد،عبر تقنية التوليف ولا شك في أن مثل

هذه المحاولة، تحتم علينا الوقوف على بعض الملامح الأسلوبيةاللافتة، وبعض التقنيات الفنية المهيمنة،ومعالجتها معالجة أدبية خالصة، عسى أن تحقق جانبا من النجاح.

المقدمة:

إن سبر عوالم السرد وملاحقة معطيات بنائه المشهدي وما يتوشحه من جمالية وظيفية وفنية، يقتضي استقصاء سماته البنائية تبعاً لآليات جديدة، تعمد إلى إدراك كنه تفاعلاته في أفق أكثر شمولاً واتساعاً يشمل بؤرة التوليد الأصلية، وما ينجم عنها من تفريعات وادماجات تتداخل فيما بينها في منظومة من العلاقات والتوترات تنفتح على أصل الحكي .

ويعد التوليف من اكثر التقنيات الجمالية التي يعتمدها القص في تصوير مشاهده،كونه يوفّق بين الغرض الفني والدلالي الذي تفضي اليه القصة، ولا سيما القرآنية منها .

ويعني التوليف البنائي التنظيم الهندسي والفني الذي يربط أفكار القصة وموضوعاتها، ويرتب بناءها الصيغي بشكل يتواءم فيه البناءان الشكلي والموضوعي(١)، وبوصفه يعتمد التقطيع والتجميع والتنظيم(٢)، فانه ينسق تشكلات القصة الصيغية في خطاب سردي يقوم على الاجمال والتفصيل والدمج بين الاحداث



المتباعدة في الزمان والمكان ، ليضعها في مستوى القص،من هنا اتخذ البحث من اضاءة الداخل النصي للمشهد الواحد زاوية الانطلاق لدراسة الخارج النصي (العلاقات الخارجية) بين المشاهد المتجاورة.

ويتحدد البناء السردي في القصة عبر الاتي :ـ

١-أسلوب عرض القصة ، ونظام المشاهد فيها من حيث:

أ ـ الترتيب الفني لأحداثها.

ب ـ استعمال التقنيات الفنية مثل الحذوفات والاستباقات والاسترجاعات والتكثيف الأسلوبي

٢-المكان ودلالته النفسية .

١ـ أسلوب عرض القصة:

من اللافت ونحن نلج عوالم القصة ان ننتبه الى ما يأتي :ـ

أ ـ المحرك الأساس لإدارة دفة السرد هو الراوي الاله ،(الله سبحانه).

ب ـ الفاعل المركزي (بؤرة الدلالة) النبي يونس (عليه السلام) الذي تمحورت حوله أحداث القصة.

ونود أن نشير إلى أن السرد القرآني عرض مشاهد القصة في أكثر من سورة ، ولاشك في أن لذلك مسوغه الفني الذي ينسجم وطبيعة العرض القصصي في القرآن الكريم ، وان هذا السرد سار بخطى سريعة و تجاوز المسارات

الجانبية والتفصيلات التي لا تغني الحدث[٣]، فعرض الشخصيات، والإشارة إلى الثغرات الزمنية [٤]، وتتابع المشاهد واجتزاء تفصيلاتها أو الانتقال من مشهد إلى آخر ، وانتقاء لقطة من دون أخرى ، بالشكل الذي يقتضيه المقام والغرض [٥]، وبأسلوب تكثيفي تلخيصي ــ نراه اليوم ملمحاً تقنياً فنياً ــ ، مما يتواشج مع المنهج القصصي القرآني الذي يعتمد تقنيات عالية الفنية في عرض قصصه فمرة يفصّل وثانية يُجمل وأخرى يدمج ...، وهذه القصة على مساحتها النصية الضيقة تختزل عالماً خارجياً بدلالاته غير المحدودة ، تشير إلى مسافات زمنية وحدثية محذوفة ، وفي تجاوزها تقديم للعناصر المهمة من الأحداث[٦]، كما أن لذلك وظيفته الدلالية التي تبقي المتلقي في نشوة الاكتشاف والتجليات ، انطلاقاً من العناصر النصية المعطاة .

تعد القصة القرآنية نمطاً سردياً عالي الجودة ، فضلاً عن أنها تقدم لمتلقيها مادة مغنية ومغرية في آن معاً ، أما اغتناؤها فيتأتى من خلال تقديمها الأنموذج الإنساني المنصهر في واقعه، وفي العلاقة الجدلية الجامعة بينهما وما يؤول عنها ، فهو المرآة العاكسة لذلك الواقع . أما الإغراء ، فينهض من الانموذج السردي المتكامل ، مما يوجه الرؤية إلى استنباط كنه الفاعلية الحكائية من خلال رصدها وملاحقة أجزائها وطبيعة تشكلاتها .

و يمكننا تقسيم القصة إلى مقدمة و مشاهد إلى وفق الآتي :

مقدمة القصة:

تبدأ القصة بمقدمة استهلالية ترتكز على ما يسمى بالمونتاج الزماني، وتتمثل في قوله تعالى : فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (يونس:٩٨).

يستشرف منها ــ المقدمة ــ استباق الأحداث قبل وقوعها وما ستؤول إليه من نتائج مرتهنة بمسببات [٧]، وإذا تأملنا طبيعة تشكلاتها الصيغية ، نجد أن التعالق التركيبي الذي شكله تساوق أسلوبي الشرط والاستثناء في معادلة سياقية طرفها الثاني مرتهن بالطرف الأول ، يُفضي إلى تعالق دلالي يكشف عن أهمية الإيمان وتجلي قيمته في دفع الهلاك عمن آمن[٨]. وهذا الغرض الدلالي، الذي عرضته المقدمة، يعد المحرك الأساسي الذي يربط القصة، ويجذب إليه أطرافها، بوصفها صوغاً جمالياً، يستبطن رؤية دلالية تتضح في تجلية أهمية الإيمان ولفت المتلقي إليه [٩]، فالنص القرآني ((ينمو في فضاء متعدد الاتجاهات ، متعدد الأبعاد)) [١٠].



مشاهد القصة : ويمكن تحديدها بـــ :

١- مشهد الرحيل:

في قراءة متأملة للقصة نجد أن الراوي الاله بدأ سرده من وسطها ، ولاشك في أن مشهد الرحيل لا يمثل بدايتها ، بل هو ما أفضت إليه أحداث طواها السرد وغيب زمانها ، وهو ما يثير لدينا تساؤلات عن الكيفية التي تمت بها الدعوة ، ولماذا رفضت؟ وما المدة التي استغرقتها؟ فجاء المشهد ممنتجاً زمانياً مرتكزا على تقنية الاستباق في عرضه النتائج وطيه الأسباب ، ففي قوله تعالى: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ (الأنبياء: من الآية٨٧) ، يشير استعمال (ذا النون) التي بمعنى صاحب الحوت إلى استباق زمني،فهو يعطينا النتيجة التي صارت إليها الأحداث، إذ ان النبي لم يكن قد غادر الى البحر والتقمه الحوت،ولو تأملنا اللفظتين(ذا النون)أكثر تنسرب إلى الذهن فكرتان:ـ

الأولى:ـ المصاحبة،أي انه سمي صاحب الحوت لأنه ابتلعه فأصبح الحوت لصيقا بالنبي ـ بالتسمية ـ.

الثانية:ـ انه في ابتلاعه له لم يؤذه و إنما حافظ عليه حتى ألف النبي المكان وتعايش معه بمشيئة الله ، فصار صاحبه .



ومن ثم يسترجع السرد الزمن الى الوراء إلى أحداث سابقة، وتُمكّن التعابير المكثفة والأحداث الملخصة من رسم أبعاد المشهد، وتحفيز القراءات المتلقية للامساك بخيوط البداية ونسج ما تركه السرد من فجوات.

ومن اللافت للانتباه الانتقاء الصيغي للمصدر (مغاضبا) الذي يحيل على تشابك أكثر من نازع أنساني، وتصارعه داخل نفسية النبي، وهذه المفاعلة النوازعية، أماطت اللثام عن الجو النفسي المضطرب والمشحون بانفعالات متفاوتة مثل العجلة وعدم التحمل وقلة الصبر، حتى يعلو الغضب، فيصبح مغاضباً متباعدا عن القوم ،وعلى الرغم من ان العجلة نازعة إنسانية عامة ،أشار إليها القران الكريم في أكثر من موضع(*)، إلا إن الجانب الروحي المتمثل بحب الله والغيرة على دينه هو الدافع وراء تعجله عليه السلام .

ونود أن نشير إلى ان طمس السرد أحداث الدعوة ورفضها التي سبق ان اشرنا إليها ، يمكن توجيهه ،بأنه ـ السرد ـ في هذا المشهد سلط الضوء على شخصية النبي، مركزا على ملامحها النفسية المتصارعة، متجاوزا أحداثا لا تفي بهذا الغرض.

٢ . مشهد السفينة:

يحاول النبي في هذا المشهد الخلاص بعد أن يقرر ركوب البحر بالسفينة في قوله تعالى (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ

الْمُدْحَضِينَ) الصافات (١٤٠ـ١٤١).

ويحيل الاختزال الزمني والتكثيف الأسلوبي على التنامي المتصاعد لأحداث المشهد بما فيها ركوبه السفينة، ونزوله منها بعد وقوع القرعة عليه ، وملاقاة مصيره في خوضه البحر عوما..، وقد عبر الحضور الفاعل للفاء التعقيبية عن دينامية المشهد في لحم فجوات الزمن، لدلالتها على تماهي المهلة الزمنية بين الحدث والحدث[١١]،

ويثير اجتزاء التفصيلات وتماهي الزمن تساؤلات منها لماذا اختار النبي البحر طريقا لهربه ؟ ولماذا اختار السفينة المشحونة ؟ ولماذا القرعة ؟ ولماذا وقع الاقتراع عليه؟ وغيرها.

ونجد في النصوص المفسرة وبعض الكتابات الفنية تفسيرات وإجابات عن هذه التساؤلات ،منها خشية النبي يونس من أن يقع عذابٌ على قومه بعد دعائه عليهم، فاتخذ البحر سبيلا للخلاص بعيدا عن بيئة العذاب ، وكون السفينة مشحونة يدل على تأهبها للإقلاع ، ولجوء أهل السفينة للاقتراع لطارئ عطَّل سيرها، وكان العرف المتداول عندهم إذا ما داهم السفينة خطر ما، فهذا يعني أن على متنها شخصا هاربا من سيده أو مطلوبا لديه.. فاقترعوا ليعرفوا من الشخص المطلوب ، فدلّت القرعة عليه ،وكونه غادر القوم قبل أن يأذن له بذلك الله سبحانه ، استحق العقوبة[١٢].

وما نستطيعه إزاء هذه التساؤلات، إننا نتعامل مع منظور النص ونحاول استنطاقه بما يمكنّنا به النص وما يستفزه فينا من تأويل وفك لشفراته، لـ((أن تعددية الفهم والتأويل ليست تعددية مضافة إلى النص، بل هي تعددية كامنة في بنيته إلى حد كبير))[١٣]، فضلا عن تجاوز السرد كل ما لا يسهم في البناء العضوي والفني للقصة.

٣ـ مشهد الظلمات (رحم الأزمة) :

ويتجسد مشهد الظلمات في قوله تعالى: فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيم فلولا أنهُ كَانَ مِن الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (الصافات: ١٤٢ـ ١٤٤)

وقوله تعالى: **فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (الأنبياء : ٨٧)**

وقوله تعالى: **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (القلم ٤٨)**

يبدأ المشهد باللقطة الصادمة (فالتقمه الحوت) التي تثير المتلقي،وتوسع مسافة توتره، لما تحفزه من مشاعر الإدهاش والغرابة ومن هذه اللحظة تشتد محنة النبي فقد أصبح بطن الحوت(الجسد الوالدي أو الرحم)[١٤] له ، انه فعلا في رحم الأزمة يواجه مخاضا عسيرا مجهول المصير .



وفي تأملنا المشـــهد تستقطبـــنا الصورة التسبيحية الدعائية التي تشكل بؤرة التفجير مما يهيئ ذهن المتلقي ويشده لادراك العوالم الدلالية للصورة المتجسدة في أهمية التسبيح والدعاء، المنبـثق عن الإيمان الحقيقــي، بوصفه(محاورة القلب الشخصية الحميمة جدا مع الله)[١٥]، وتحيلنا طبيعة تشـكلها الصيغي على مفارقة سياقيه يمكن تأطيرها بان الحدث الثاني المتمثل بعدم لبث النبي وبقائه في بطن الحوت مُرتهن بالحدث الأول الذي يعبــر عنه بثبات الإيمان المتجسد بالتسبـيح والدعاء، فقد عطَل أسلوب الشرط بـأداته (لولا) عمل الجملة الفعلية في قوله :(للبث في بـطنه...) وعلَّق ثبوتها. [١٦]

ولا يفوتنا القول في إن المواءمة التعبيرية بالجملة الاسمية(فلولا انه كان من المسبحين) ودلالتها على تجسـيد الإيمان ورسـوخه، و التواشج التعبيري بالجملة الفعلية (للبث في بطنه...) ودلالته على تغير الحال وعدم البقاء في بطن الحـوت ، ما يكشـف عن علاقـات جمالية إضافية داخل المشهد.

ويكشف المشهد عن طبيعة الجو النفسي الذي يمور بالدعاء والتوسل فيسـلط الضوء على الصورة الداخلية ليونس(عليه السـلام) وهي تضج بانفعالات نفسية متكثرة ومتأججة، ولاسيَما أن جمالية الأداء التعبيري أسـهمت في تجلية الصورة في(مليم) التي تشـير إلى تجاذب مشاعر الحزن واللوم والخوف والندم، كما تفصح دقة التصوير في(مكظوم) عن شدة الاضطراب النفســي واختناق الانفعالات في دواخله ــ النبي ــ وكبتها ، فضلا عما يوحيه التناغم الجرســي لحــروف(الميم والكاف والظاء) من ضم وشدة ،وما تبعثه حروف المد (الياء والواو)من أجواء الملازمة والإطالة في تمكن الانفعالات منه، مما يفصح عن اتســاع خصب لافت على الصعيد الجمالي ،ناهيك عن الصعيد الذهني الدلالي [١٧].

وقــد شــكل قــوله تعالى :وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(القلم:٤٨)وشيجة حوارية تتبنى أفكارا تسهم في تشكيل المتلقي للصورة المبتغاة في الصبــر وعدم التســرع والعجلة،فالخطاب وان كان للرسول محمدﷺ[١٨]، إلا انه ينعتق من دائرة الخصوص ليسوح في عالم يحاور كل المتلقين .

وتلفتنا لفظة(نادى) فنتساءل عن طبيعة هذه المناداة هل كان نداؤه (عليه السلام) خفياً على شـكل حـوار داخلي(مونولوج)أم كان صوتا مُدوَياً يقرع الفضاءات، ولعل اشـتداد الأزمة على النبي(عليه السلام) وتفاقمها ما يرجح أن نداءه كان عاليا منبجسـا عن ورع وإعتقـاد حقيقي فتوجه الى ربه بكلمات مباشـرة، والله اعلم، تخرق ظلمات الصمت وتفصح عن نفسية



مأزومة و نادمة مقرة بخطلها تائبة إلى رب العزة .

ونرصد في (صاحب الحوت) الماعا الى العلاقة التي تربط النبي بالحوت فيما بعد ، ولا شك في أن المصاحبة لا تعني العداء بل الالفة والانسجام، الذي سيتوفر في بطن الحوت بفعل المشيئة الإلهية وبوسيلة التسبيح والدعاء والإنابة .

مشهد الولادة الجديدة :

يتمثل في قوله تعالى:فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ(الصافات/١٤٥ــ ١٤٨).

وقوله سبحانه وتعالى: لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (القلم: ٤٩).

إن اشتداد الأزمة وتعاليها تنفرج عنه ولادة جديدة لشخصية النبي بمقوماتها ومقاييسها الجسدية والفكرية، وتمنح فاعلية التصوير المتلقي أبعاد الصورة الخارجية ،لاسيما أن رصد العناصر المكانية، يشي برسم صورة مكتملة المعالم ، إذ يجسد قوله تعالى (سقيم) الهيئة الجسدية الضعيفة للنبي، مما يدعو إلى الحاجة للرعاية والاهتمام، حتى تكون شجرة اليقطين الأم الحاضنة، التي توفر له مقومات الراحة والشفاء.

إن الدفق التعبيري للنص القرآني وثراءه تحيل عليه لغة الغياب في نسج خيوط البعد الفكري للشخصية حتى تغدو عناصره – البعد الفكري– الغائبة اشد حضورا من العناصر الظاهرة على سطح النص فتبث فيه غنىً جمالياً إضافياً.

فالبؤرة الدلالية المنسربة من الولادة الفكرية المستقطبة لانفعال المتلقي، يمكن تمثلها في الاختبار الناجع للإيمان الحقيقي، فالنوازع الإنسانية التي تطفوعلى الذات، يطمسها عمق الإيمان ورسوخه. إن عرض السرد لأحداث المشهد بطريقة مضغوطة ومكثفة، ولّدَ انثيالا ايجابياً، يحرك في المتلقي التأمل والتأويل، فالعناصر البيئية والهيئة الجسدية، يمكن أن تشكل إلماعاً لإضاءة المغايبة الزمانية للحدث فخروجه– يونس(عليه السلام) – سقيما وانتقاء شجرة اليقطين للإنبات، له وظيفته الدلالية، فالشجرة تتسلق وأوراقها سميكة وكبيرة ومن ثم فهي باردة حين تظلل عليه ، ويمكن أن توفر له عنصر الراحة ، كل ذلك يحيلنا على أن مدة مكثهِ في بطن الحوت ليست قصيرة ــ و الله اعلم ــ.

ومن مناسبة القول انه في العرف المتداول، إن شجرة اليقطين تحمل رائحة غير طيبة امتصتها من جسد النبي يونس(عليه السلام)،



حين نُبذ بالعراء في ساحل قرية من الموصل، ولعلَ مما يدعم هذا التصور انتقاء لفظة (مذموم) لتشي بالصورة غير المرغوب فيها، إلا أنها صورة عُطلت وارتهنت بالأداة الشرطية (لولا) لتوافر العناية الإلهية [١٩].

إن آلية توظيف النسق الشرطي في النص تستقطب إمكانات تعبيرية يمكن أن تسحب المتلقي إلى آفاق أرحب من التأمل ، فحضوره يكسب النص قيمة لسانية، فضلا عما يمنحه للمشهد من حركية ناجمة عن اقترانه بظرف محدد .

ونلحظ تصدر أسلوب الشرط في قوله تعالى : فلولا كانت قرية .... ، ففي دخول أداة الشرط(لولا) على فعل ماضٍ متحقق(كانت) نجد إننا بإزاء حقائق أُريد لها الثبات والرسوخ في ذهن المتلقي، وجاء الاستثناء معززا دلالة الرسوخ .

وقوله تعالى:"فلولا انه كان من المسبحين" إذ أفرز الاقتران الشرطي دلالة الثبات أيضاً،وقد ساعد على ذلك حضور فعلي المضي(كان،لبث) مما أدى إلى زيادة قوة تشكيل المشهد.

وقوله تعالى" لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ ..." نلحظ التراكم الفعلي بتنويعاته الزمنية وأثره في تفعيل حركية المشهد ، مؤشرا سمة أسلوبية بارزة ، ولاشك في أن السياق الحاضن هو الذي يؤدي إلى إبراز



النسق الشرطي من خلال تعميق بناه الدرامية، وإبراز حقيقة الفكرة المعبر عنها.

وفي إسناد الأفعال (نبذناه –انبتنا – أرسلناه) إلى الذات الإلهية ما يوجه الأذهان إلى عظيم القدرة الإلهية وقبضتها لكل شيء ، وان عين الرحمة الإلهية غير منقطعة عن المؤمنين في قبول التوبة وغفر الذنوب وجزائهم، إذ أُرسل النبي يونس(عليه السلام) من جديد في قوله تعالى: وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (الصافات ١٤٧).

بقي أن نقول إن حركة مشاهد القصة وتناميها، شكّل بناء صيغيا ذا فاعلية تتمظهر باقنية الأفعال المنتهية ـ الماضية ـ التي توحي بتسارع الأحداث وانقضائها، والفاء التعقيبية التي منحت المشاهد القدرة على التواصل، وربط الأحداث داخل المشهد الواحد أو بين المشاهد فهي تعد الحلقة الرابطة لما تركه السرد من فجوات زمنية و حذوفات حدثية، مما يمكّن الخيال من ملئها((ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق)) [٢٠].

وقفة عند المكان ودلالته النفسية:

يشكل الفضاء المكاني المهيمن اللافت في القصة نقطة جذب للمتلقي، إذ اتخذ السرد أشكالا متنوعة من الفضاء المكاني مسرحا لأحداثها فلا بد للأحداث من (إطار مكاني

معين)[٢١] ، منها (فضاء اليابسة القبلية ــ قبل مغادرة النبي القوم، ــ والبعدية ــ بعد عودته من البحر ــ، وفضاء البحر الذي يشكل الفضاء المركزي ببيئته السطحية المتمثلة بالسفينة، وبيئته العميقة المتمثلة ببطن الحوت الذي يعد المكان الفاعل)[٢٢].

وما نطمح تبيينه في هذه الوقفة ليس الوصف الظاهري للأمكنة ــ بل ما تمتلكه ــ الأمكنة ــ من دلالة على الصعيد النفسي لشخصية النبي يونس(عليه السلام)،مع علمنا إن للمكان وجوداً فاعلاً في العالم السردي، الذي يكوَن احد عناصره فضلا عن الشخصيات والزمان والأحداث، بل يعد المكان مكوناً رئيسياً فيه ، لأننا قد نجد أحداثا أو مشاهد يختفي بها الزمان لكنها لا تتم بلا مكان.

فالمكان في القصص القراني له منظور ، معين وهدف خاص، وهذا يُفضي إلى تلاشي بعض ملامحه وتفصيلاته من حجم وشكل ولون.. في القصة القرآنية، ويأتي التركيز على وظيفته الدلالية وما يرمز إليه من محمولات متعددة تثير الخيال وتستفز المشاعر. وفي مقاربة أدبية للمكان في القصة نجد أن كل مكان فيها يتقاطب مع ضده ويتجاذبه،فما كان مكاناً عجائبياً مثيراً للدهشة فيها نجده يتحول إلى فضاء اعتيادي ومألوف،لذا شكلت تقاطباته أو ثنائياته الملمح الأكثر إشعاعاً واستقطابا لدراسته ،إذ تتداخل الأمكنة فيما بينها وفي تداخلاتها تتسع خارطة الجماليات والتساؤلات، وتبقى على المتلقي مهمة قراءتها.

فالمكان الأول :الذي انطلقت منه أحداث القصة هو (القرية) التي بُعث إلى أهلها النبي ثم غادرها بعد رفضهم دعوته،ويمكن تلقّي القرية على أنها مكان مفتوح حينا، ومغلق حينا آخر، وعلى وفق رؤية الدراسات السردية، فالمكان المفتوح هو الذي يوفر حماية وتواصلا اقل من غيره ، والمكان المغلق الذي يهيئ لساكنيه الأمن والراحة والتواصل أحيانا،وقد يكون غير أليف، ولا يعني الانقطاع (اللاتواصل مع الناس فقط بل يشمل الجغرافية والأشياء ، كما يحصل الاتصال مع الناس أو مع عناصر المكان وديكوره) [٢٣]، وفي القصة على الرغم من أن السرد حذف التفصيلات التي تسبق هروب النبي إلى البحر إلا انه يمكن أن نستشف أنها ــ القرية ــ مكان مفتوح لم يحقق الأمن والاستقرار للنبي، وبالتالي تقاطع مع أهلها فغادرهم بعد رفض دعوته ؛ وتعد مكانا مغلقا من حيث توافر الراحة والأمان لأهلها وتواصلهم فيما بينهم .



والمكان الثاني: في القصة هو السفينة التي شكلت {البيت الحُلم}[٢٤]، للنبي يونس(عليه السلام) الذي يوحي إليه بالارتياح والتواصل

والطمأنينة، غير أن ما حدث معه ــ النبي ــ غير ذلك إذ تصادم مع أهل السفينة وتقاطع معهم بالافتراق عنهم، ورميه للبحر، حيث وجد مصيره في :

المكان الثالث ــ بطن الحوت ــ ذلك الحيز المكاني المغلق الذي نلمس فيه أن النبي يرتعش خوفا وقلقاً وشكاً بحصانته لأنه لا يمثل المأوى له، إذ لا علاقة لأبعاده بعوالمنا، وهو يشير إلى الغموض والالتباس فتتأرجح فيه النفس وتنعدم المسافة بين ذات النبي والخارج[٢٥]، فالتناقض بين ما يمكن أن يوفره المكان المغلق من أمن وراحة وتواصل وبين الحدث الفعلي في الخوف والرهبة من المكان تحَوّل بفعل المشيئة الإلهية إلى مكان آمن حافظ عليه من الهلاك، وبالتالي كان التواصل مع الله والحميمية التي تحققت بفعل التسبيح والدعاء.

ونود أن نشير إلى أن الحوت الفضاء الموضوع [٢٦] في القصة شكل رمزاً[٢٧]،يشير إلى علاقة تفاعلية بين المكان وشخصية النبي مما اكسبها بعدا تاريخيا وهي ــ العلاقة ــ قادرة على إثارة تصورات المتلقي فما أن يذكر الحوت إلا وشخصت صورة النبي يونس (عليه السلام) والكيفية التي جعلته حياً في بطنه وهذا يشي بخصوصية الشخصية وفرادتها ووجودها في مكان له طابعه الخاص.



فصورة النبي داخل بطن الحوت لها رؤية خاصة تنطلق من زاوية معينة تتزاحم فيها الإيماءات المعبأة بمحمولات متكثرة ؛لأنه ــ بطن الحوت ــ حيز يوحي باللاواقعية ولا يتماثل بدرجة أو أخرى مع العالم الحقيقي[٢٨]، إلا بما استقر في عقيدتنا بالمشيئة الإلهية، وتبقى عملية تقريبها حسب فهم المتلقي باستعمال تكوينه المعرفي والثقافي، وما تحيل عليه مخيلته، بوصفها تضيف أحياناً وتحذف أحيانا اخرى ، لذلك تتعدد التوقعات وتتنوع قراءات النص [٢٩].

أما العزلة والانقطاع الذي أفضى إليهما **المكان الرابع** ــ العراء ــ بوصفه فضاء مفتوحا نبذ إليه النبي، فانه يتقاطب مع الاتصال بالآخرين والتحاور معهم بعد شفائه وإرساله من جديد في قوله تعالى: وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ(الصافات ١٤٧).

مما مر نستطيع القول إن المكان المفتوح ليس بالضرورة مكانا غير آمن ولا يحقق الاتصال، وما من شك أن المكان المغلق لا يوفر دائماً عناصر الراحة والتواصل، فالقضية نسبية تختلف من شخص لآخر، وهي ابعد تصورا من الجغرافيا، و مما يمكن أن يحكمها ما يتوافر في المكان من مقومات الحياة وما يملأ عناصره من مشاعر وعواطف .

الخاتمة:

١- أفصح البحث عن جمالية البناء المعماري للقصة الذي يتساوق فيه الأداء التعبيري العالي بتشكلاته الصيغية ، والمنحى السردي بتقنياته الفنية مثل الحذوفات والاستباقات .

٢- أماط البحث اللثام عن خصوصية قصة النبي يونس (عليه السلام) التي انمازت بها عن سائر قصص القرآن الكريم ، في اتخاذها بطن الحوت ذلك الفضاء العجائبي مسرحاً لألمع أحداثها،وفرادة الشخصية وخصوصيتها وتمكنها في فضاء له طابعه الخاص .

٣- إن طواعية النص القرآني وانفتاحه ، مكننا من مقاربته بأكثر من مقترب أدبي، إذ تعانقت السردية والتلقي،والأسلوبيةواللسانيات وغيرها في معالجة نصوص القصة وتحليلها .

٤- تجلى لنا أن الثيمة الأساسية في القصة ، أو الرابط الذي يربط أجزاء القصة ويشدها ، هو الإيمان الذي تكمن قيمته في كشف الأذى ، ودفع الهلاك عمن آمن ايماناً حقيقياً.

٥- رسم السرد أبعاد الصورة الداخلية للشخصية، وهي تمور بجو نفسي مضطرب ، تتصارعها النوازع النفسية المتباينة مثل الخوف والتسرع والعجلة ، وكشف عن أبعاد الصورة الخارجية ــ الهيئة الجسدية ــ للنبي بعد خروجه من بطن الحوت ، وما تحيله العناصر المكانية على أن مدة مكثه لم تكن قصيرة.

٦- تبين لنا من ملاحقتنا السرد ، إن غضب النبي يونس(عليه السلام) وتسرعه ــ على الرغم من انه نازع إنساني ــ كان حباً في الله ودينه .

٧- تجلَّى من البحث أن الصورة الدعائية والتسبيحية هي بؤرة الدلالة المستقطبة، ولاسيما حين تتعرض النفس الإنسانية لاختبار الإيمان الناجع ، فينبجس دعاء المؤمن وتسبيحه فتتلقفه السماء بالاستجابة وتكلؤه العناية الإلهية .

٨- كشف السرد عن المهيمن اللافت في القصة، الذي يمثله الفضاء المكاني الذي تتجلى قيمته لا من حيث مقوماته الظاهرية ،بل من حيث انعكاساته على الشخصية ، لا سيَّما إذا كان المكان مما لا يتماثل مع عالمنا الحقيقي إلا بما استقر في عقيدتنا بأنه محكوم بالإرادة الإلهية .

٩- شكلت التقاطبات المكانية الملمح الأكثر الماعاً في القصة ، فقد برَّز البحث إمكانية تجاذب الفضاءات حتى شكلت تقاطبات ثنائية متضادة تحيل على وظيفة دلالية وجمالية .

١٠.جسد الفضاء الموضوع (الحوت) رمزاً يشي بعلاقة تفاعلية بين المكان والشخصية (النبي) مما أكسبها بعداً تاريخياً.



الإحالات والهوامش

١. ينظر: البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، د.محمود البستاني :١٦٥.

٢. ينظر: عالم الرواية، رولان بورنوف و ريال أونيليه، ترجمة نهاد التكرلي:٦١.

٣. ينظر: التصوير الفني،سيد قطب:١٣٤،أدب القصة في القرآن ، محمد جواد المحص :٥٧.

٤. ينظر : بناء الرواية ... ، سيزا قاسم :٥٦، والفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري : ١٢٧.

٥: ينظر: سايكولوجية القصة ، التهامي نفرة:٨٧.

٦. ينظر: من بلاغة القرآن،أحمد أحمد بدوي: ١٢٧.

٧. ينظر: بناء الرواية : ٤٣ــ٤٤.

٨. ينظر: الكشاف ، الزمخشري : ٣/ ٣٢.

٩. ينظر: الإسلام والأدب،د.محمود البستاني: ٣٣١.

١٠. النص القرآني وآفاق الكتابة، أدونيس: ٤٩، وتنظر :٥٥.

ينظر: (وَكان الْأنْسَانُ عَجُولاً)الإسراء:١١ ، (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)القيامة:٢٠،" وَلا تعْجَلْ بِالْقُرْآنِ" طه:١١٤"وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ طه ": ٨٣



١١. ينظر: التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي: ١٠٠.

١٢. ينظر: الكشاف ٣/ ٢٠٢، قصص القرآن دلالياً وجمالياً ،د. محمود البستاني : ٢/ ٢٥٩

١٣. النص: السلطة ، الحقيقة ، نصر حامد أبو زيد : ١١١.

١٤. حركية الإبداع ــ دراسات في الأدب العربي الحديث ،خالدة سعيد: ٥٤.

١٥. الله والانسان في القرآن ، توشيهيكو إيزوتسو ،ترجمة د.هلال محمد الجهاد :٣٠٣.

١٦. ينظر: الشرط في القرآن...، محمد الهادي الطرابلسي وعبد السلام المسدي:٥٥.

١٧. ينظر: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ، طيب تيزيني:٢٦٩.

١٨. ينظر:الكشاف:٤/ ٤٥٠، صفوة التفاسير الصابوني :٣/ ٣٤١.

١٩. ينظر: الكشاف :٣/ ٦٩٥ ، ٤ /٣٥١

٢٠. التصوير الفني :١٤٢ــ ١٤٣، دراسة أدبية في نصوص القرآن ، محمد مبارك : ١٠١.

٢١. بنية النص السردي ، حميد لحمداني : ٦٥

٢٢. ينظر: بلاغة المكان..،فتحية كحلوش:

١٥٤.

٢٣. ينظر: المصدر نفسه١٧٥:

٢٤. جماليات المكان، غاستون باشلار، ت : غالب هلسا :٥٧.

٢٥. ينظر: نظرية الخيال عند غاستون باشلار ، محمد علي الكردي :٢١٨.

٢٦. ينظر: قال الراوي، سعيد يقطين: ٢٤٦.

٢٧. ينظر: جماليات الأسلوب ، فايز الداية : ١٧٥ــ١٧٧.

٢٨. ينظر: البناء الفني لرواية الحرب... ، عبد الله إبراهيم :١٢٧.

٢٩. ينظر: انفتاح النص الروائي ، سعيد يقطين: ٣٣.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. الإسلام والأدب ،د.محمود البستاني ، المكتبة الأدبية الخاصة ، قم ، ١٤٢٢هــ.

٢. أدب القصة في القران الكريم ، دراسة تحليلية ، محمد جواد المحص ، سلسلة دراسات قرآنية مصر [د ت] .

٣.الله والانسان في القرآن ،علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم،توشيهيكو إيزوتسو،ترجمة د.هلال محمد الجهاد ،مركزدراسات الوحدة العربية ،بيروت،ط١ ،٢٠٠٧م.

٤. انفتاح النص الروائي (النص ــ السياق) ، سعيد يقطين ،المركز الثقافي ، المغرب ط١ ١٩٨٩.

٥. البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني ، دار الفقه للطباعة، قم ــ ١٤٢٤هــ.

٦. بلاغة المكان ،قراءة في مكانية النص الشعري ، فتحية كحلوش ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٨ م.

٧. بناء الرواية ،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ،سيزا قاسم ،الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٤م،(د.ط).

٨. البناء الفني في رواية الحرب العربية في العراق،عبد الله إبراهيم ،دار الشؤون الثقافية بغداد ، ١٩٨٧م، [د.ط]

٩. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،١٩٧٣ م،(د.ط).

١٠.التصوير الفني في القران ،سيد قطب دار الشروق ، مصر ، ١٩٦٩م،(د.ط).



١١. التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي، بيت الحكمة ـ بغداد ١٩٨٩م،(د.ط).

١٢. جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي ، فايز الداية ، دار الفكر ـ بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠ م.

١٣. جماليات المكان، غاستون باشلار، ت ، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، المغرب، ط٢ ، ١٩٩٠ م .

١٤. حركية الإبداع ، دراسات في الأدب العربي الحديث، خالدة سعيد ،دار العودة لبنان ط٢ ،١٩٨٢م.

١٥. دراسة أدبية لنصوص من القران ،محمد المبارك ،دار الفكر، مصر ،ط٤، ١٩٧٣م.

١٦. سايكولوجية القصة في القران الكريم ، التهامي نفرة،الشركة التونسية للفنون ١٩٧٤م،(د.ط).

١٧. الشرط في القران الكريم على منهج اللسانيات الوصفية،عبد الهادي الطرابلسي عبد السلام المسدي،الدار العربية ،١٩٨٥م ، (د.ط).

١٨.الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا ، إبراهيم جنداري ،دار الشؤون الثقافية بغداد ٢٠٠١م،(د.ط).



١٩. عالم الرواية ، رولان بورنوف وريال أونيليه ترجمة نهاد التكرلي ، مراجعة فؤاد التكرلي دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٩١م،(د.ط).

٢٠. صفوة التفاسير الشيخ محمد علي الصابوني،دار الصابوني للنشر،القاهرة ط٩ (د.ت).

٢١. قال الراوي ، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، بيروت ،١٩٩٧ م،(د.ط).

٢٢. قصص القران دلاليا وجماليا،د. محمود البستاني،ج٢، دار السبطين،ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود الزمخشري ، مكتبة مصر ، د ط ، د ت.

٢٤. من بلاغة القران، أحمد أحمد بدوي،، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، ط ٣ ، د . ت .

٢٥. النص ، السلطة ، الحقيقة ،نصر حامد أبو زيد،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، ١٩٩٥م،(د.ط).

٢٦. النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ،الطيب تيزيني ، دار الينابيع للنشر ، ط ٢ ،٢٠٠٨م.

٢٧. النص القرآني و آفاق الكتابة،ادونيس ، دار الآداب ، بيروت ،د ط،(د.ت)

٢٨. نظرية الخيال عند غاستون باشلار، محمد علي الكردي ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢١ ،١٩٨٦م.

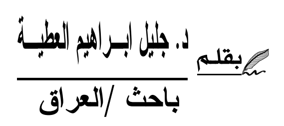
نصوص محققـة

التعريف بنوادر المخطوطات

التنبيه والتعريف في صفة الخريف

للامير الحسن بن عيسى المقتدري





بقلم د. جليل ابـراهيم العطيـة
باحث /العراق

عني العرب منذ اقدم العصور بالظواهر الطبيعية التي تحيط بهم ، فألفوا كتبـاً ورســائل تخص هذه الظواهر ولاشك انهم اطلعوا على تراث الامم والشعوب الاخرى بعد ازدهار حـركة الترجمة ومن يدقق كتاب الفهرست لمحمد بن اسحاق النديم – الذي الف في اواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي – على سبـيل المثال يدهش للمئات من الكتب والرســائل التي صنفها اللغويون والعلماء في الانسان والنبات والشجر والليل والنهار والخيل والابل والوحـوش والغنم والشــاء والمطر وغير ذلك.

ومن حسن التوفيق ان طائفة من هذه الكتب نجت من الكوارث التي لحقت هذا التراث الشامخ .



وعني المؤلفون بفصول السنة : فلابي حاتم السجستاني (ســهل بــن حــاتم) [ت ٢٥٥هـ] :الشتاء والصيف (هامش الفهرست ٢٦٤)، ولابي بـكر محـمد بـن خلف بـن المرزبـان [ت ٣٠٩هـ]: الشتاء والصيف [هامش الفهرست ٦٥٦] ولقـدامة بـن جعفر [ت ٣٣٧هـ] زهر

الربيع- ذكره المسعودي في مقـدمة (مروجه) [الفقـرة١٢]،(ت٣٠٣هـ) كتاب في الخريف والربيع (الفهرست ٣٥٧طبـعة تجدد) ولغرس النعمة محمد بن هلال الصابئ - كتاب الربيع - وصلت الينا ملتقطات منه نشرها العلامة إحسان عباس في كتابه (شذرات من كتب مفقودة) (دار الغرب الاسـلامي - بـيروت - ١٩٨٨) ص ص٣٢٥-٣٥٠.

ولابي بكر احمد بن علي ثابت الخطيب البغدادي (مؤلف تاريخ بغداد) (ت٤٦٣هـ):

"التنبيه والتوقيف على فضائل الخريف" ذكره ياقوت الحموي في(معجم الادباء٣٨٧)(طبـعة احسان عباس) وكانت منه نسـخة في إحـدى مكتبات حلب اواخر القرن السابـع للهجرة، كما جاء في فهرس سباط (رقم٢٦٥) ص١٤ -

- للسان الدين ابن الخطيب(ت٧٧٦هـ):خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف.

ولاحـظ كتبـاً اخرى في : معجم الموضوعات المطروقة لعبد الله بن محمد الحبشي ٤٧٦.

وثمة كتاب عنوانه (سـلوة الخريف بـمناظرة الربـيع والخريف) طبـع في مطبـعة الجوائب بالاسـتانة ١٣٠٢هـ/في ١٣٦ ص عن اصل مخطوط نسخ سنة ٤٤١هـ .



قال المستشرق Rescher رشـر الظاهر انه كتاب صنفه احد الفرس في اواخر القرن الرابع، وأوائل القـرن الخامس الهجري - (انظر المورد- مج٧ج٤ ص٢٨٧- بـغداد لسـنة ١٩٧٨م) .

ولابد ان ننوه هنا انه ليست جميع الكتب المار ذكرها قبـل قـليل تخص الفصل الذي يحـمل اسمها ، فكتاب الربـيع لغرس النعمة - مثلا - كتاب ادبي عام ، لكن مؤلفة منحه هذا العنوان اعجاباً بالربيع الذي يرتبط بـريعان الشبـاب، واغلب الناس يتفاعلون به .

وثمة كتب ادبـية كثيرة خصت فصول السـنة بفصول تشتمل على مقطوعات شـعرية ونتف نثرية منها على سبيل التمثيل :

- من غاب عنه المطرب لابي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) (الباب الثاني)

- محاضرات الادبـاء للراغب الأصفهاني (ت نحـو ٤٠٠هـ) (الحدّ الثاني والعشـرون - القسم الثالث)

- سرور النفس بمدارك الحـواس الخمس - ألّفه التيفاشـي(ت٦٥١هـ)واختصره ابـن منظور (ت٧١١ هـ) - تحقيق احسان عباس - بـيروت- ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م(الجزء الثاني ص ص٢١٥ -٢٣٧) ومما تقدم يتبين ان (الخطيب البغدادي) الف كتابـاً في (فضائل الخريف)فقد منذ اوائل القرن الثامن الهجري/ السادس عشر الميلادي .

من هنا سررنا بالوقوف على مصورة مخطوط فريد – تحدى غوائل الدهر ونكبات الزمن فوصل اليناعنوانه:

التنبيه والتعريف في صفة الخريف

الفه الامير ابو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدري جعفر،العباسي،البغدادي ،الهاشمي، ولد سنة ٣٤٣هـ وتوفي في بغداد سنة ٤٤٠هـ .

قال ابن الجوزي: كان فاضلاً دينا،حافظاً لاخبار الخلفاء،عارفاً بايام الناس صالحا زاهداً، ترك الخلافة عن قدرة ، واثر بها (القادري بالله) .

تلقى "المقتدري" العلم على ابرز شيوخ بغداد بينهم :

احمد بن منصور اليشكري،وابو الازهر عبد الوهاب بن عبد الرحمن الكاتب،وروى عنه الخطيب البغدادي،وابو القاسم بن الحصين الشيباني، واضافة الى اليشكري والكاتب روى" المقتدري" عن امه (خمرة) .

وروى عنه محمد بن الحسين بن الشبل (ت٤٧٣هـ) وجعفر بن احمد بن الحسين السراج(٤١٧-٥٠٠هـ) وابو القاسم عبد الله بن ناقيا البغدادي(٤١٠-٤٨٥هـ)

وذكر الروداني(ت ١٠٩٤هـ)ان "المقتدري" روى كتاب"اليشكريات" لشيخه ابي العباس احمد بن محمد اليشكري وهذا الكتاب مفقود اليوم .

ولم يذكر الذين ترجموا للمقتدري اسماء مؤلفاته، لان هؤلاء لايهمهم في ترجماتهم للاعيان، سوى ذكر الشيوخ الذين تلمذوا لهم والشيوخ الذين رووا عنهم، مع ذكر سنة الوفاة واحيانا يذكرون سنة الميلاد لهذا يكتسب مخطوط (التنبيه والتعريف في صفة الخريف) للمقتدري اهمية بالغة بعد فقدان معظم المؤلفات التي تخص فصول السنة تتكون مخطوطة (التنبيه) التي وقفت على صورة منها في مكتبة بلدية مرسيليا الفرنسية من نحو ستين ورقة وللاسف شاب النسخة خروم واضطراب وساح الحبر على عدة ورقات منها ورغم كل هذا يبقى هذا الكتاب فريدا في نوعه كونه الوحيد الذي وصل الينا في الدفاع عن فصل الخريف ولااهمية لعدد من المقامات التي وصلت الينا في الموضوع نفسه لقد درسنا الكتاب جيداً لتوثيقه فكان ان وقفنا على نقول منه في كتابين معروفين هما:

-الجمان في تشبيهات القران لابن ناقيا البغدادي – وهو من تلامذته كما قدمنا:

– وسرور النفس بمدارك الحواس الخمس- الفه التيفاشي واختصره ابن منظور (مؤلف معجم لسان العرب).



وقد اقتبس ابن ناقيا فقرات وقطعا شعرية ولم يذكر اسم الكتاب بل ذكر بعض هذه الحكايات والنتف الشعرية مسندة،لانه رواها عن المؤلف مباشرة ومن ذلك الخبر الاتي :

(حدثنا الامير ابو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدري -رضي الله عنه- عن ابي الفرج الاصفهاني عن جحظة قال:

حدثنا عبيد بن عبد الله بن طاهر قال:

لما اطلق اخي طاهر علي بن الجهم من الحبس اقام معه بالشاذياخ (من ضواحي نيسابور) مدة فخرجوا يوما الى الصيد فاتفق لهم مرج كثير الطير والوحش وكانت ايام الزعفران :

فقال علي بن الجهم

وطئنا رياض الزعفران وامسكت
علينا البزاة البيض حمر التدارج
ولم تحمها الادغال منا وانما
ابحنا حماها باكلاب البوازج
ومن دالعات السنا فكانها
لحي شيوخ خاضبين كواسج

(البوازج اي سريع العدو ودلع لسانه: اخرجه والكواسج جمع كوسج: وهو الذي لحيته على ذقنه لا على عارضيه)

لقد اورد صاحب كتاب (الجمان) اسم المقتدري اربع مرات في اربعة مواضع نقلها مباشرة من (التنبيه والتعريف في صفة الخريف) وثمة نقول اخرى نقلها دون اشارة .



اما التيفاشي فقد سلخ صفحات كاملة من الكتاب ولم يذكر اسم الكتاب واورد اسم المؤلف مرة واحدة وللاسف لم يتنبه المحقق – رحمه الله – الى التحقيق او محاولة التعريف بالمقتدري بل ان " التيفاشي" سلخ معظم المادة التي تخص الخريف من كتابنا اما الوضع الذي اشار فيه الى المقتدري فقد ورد في الصفحة ٢٣١ من (سرور النفس) جاء فيه:

(وقال ابو محمد بن المقتدري : وفيه (اي الخريف) يكال الارز ، وهو احد الاقوات المحتاج اليها، ولايقوم مقامه شيء لانه اولى اغذية بني ادم صغاراً وكباراً وقد يستغنى به

عن الحنطة ولايستغنى بها عنه،ولانه يغزوالمراضيع في الاوقات التي لايصلح لهم اكل الخبز فيها، وبغلّته وعظمها وكثرة ريعها يضرب المثل ...)

هذا ما يخص توثيق الكتاب

اما الكتاب نفسه فلا يضم منهجاً محدداً، ولم يقسم الى ابواب او فصول، ولعل المقتدري ألفه في خريف عمره، حيث املاه على احد تلامذته والنسخة المخطوطة الوحيدة التي انتهت الينا نسخت في حدود القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عن نسخة كتبها حسن بن محمد بن اسماعيل القيلوي (ت٦٣٣هـ) بمدينة حلب في شهر رجب سنة ثلاث وستمائة (للهجرة) لخزانة القاضي الاكرم....جمال الدين علي بن يوسف القفطي(ت٦٤٦هـ)والناسخ اديب معروف والمنسوخ له من اشهر علماء القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وهذا توثيق مهم آخر لمخطوطة الكتاب اما الناسخ الذي وصلت الينا نسخته فلم يثبت اسمه لكنه ماهر في خطه .

يقول "المقتدري" في مقدمته المسهبة:

[لما رايتك.. تكثر من وصف الربيع، وتؤثر المناظرة على تفضيله وتسلك سبيل من تقدم من جاهلية العرب، واهل الوبر وسكان البوادي ومنتجعي الغيث والكلأ وتنصرهم، وتصوب اراءهم وتفضلها، وتحتج عنهم، وتدفع فضل الخريف وتعيب من فضله من الاشراف المترفين، والظراف المتنعمين، والحكماء المتادبين، وشعر المحدثين الذين يلزم اهل العلم والادب سلوك سبلهم، واتباع مذاهبهم، واقتفاء اثارهم، وتسفه احلامهم، وتطعن على ماربهم، واقتراحاتهم، بغياً وعدواناً وظلماً وبهتاناً تكلفت تاليف كتاب ضمنته من الاخبار الشاردة، والاشعار النادرة، والامثال السائرة، وماتكل القلوب عن حفظه في اوقات المحاضرة، وتقصرالالسن عن درسه عند المناظرة..]

هكذا حدد " المقتدري" هدف كتابه الطريف ثم واصل تقريظ الخريف ومهاجمة الفصول الاخرى وفي مقدمتها الربيع!

جعل المؤلف – وهو كما قدمنا امير من اسرة الخلافة – نفسه مدافعاً عن اهل الحضر – اي سكان المدن – وهاجم اهل الوبروسكان البوادي ومانطلق عليه اليوم اسم:البدو الرحل أفهولاء–كما يقول–[وصفوا الرياض المزهرة والبقاع المعشبة والبراري والقيعان... لانه احسن منظررأوه، ولعدمهم مماينتعم به اهل الحضر من الروائح الذكية والفواكه الجنية، ولانه ليس عندهم اترج جرجان ولاتفاح لبنان ولا كمثري اصبهان، ولاسفرجل السيروان،



ولم يجمعوا بين التفاح الشامي والنرجس الدمشقي الذكي، ومشام الخيري،والمخمرات المعمولة باللخالخ،والاناويه والاترج المخرم والدستنبو المغلف بالغوالي،مع الشراب الصريفيني، ولم يتجموا بالند العتيق، والعود الهندي، والمسك التبتي، ولم يفترشوا بسط الديباج الخسرواني، والوسائد المحشوة والستور البهنسية في القصور المشيدة والبيوت المنجدة..]

-يستمر المقتدري في الدفاع عن اهل الحضر- والمدن من يعيشون في رغد ورفاهية عكس اهل البراري والارياف، والكثير مما ذكر ينضج في الخريف، وهكذا حشد في كتابه الكثير من المقطوعات الشعرية والاخبار ذات الصلة بما ذكر في مقدمة الكتاب. ومما انفرد به رسالة لمحمد بن غالب الاصفهاني ورسالة لشيخه اليشكري والعديد من المقطوعات والنتف الشعرية التي لانجدها في مصدر سواه. مما يضاعف اهمية هذا المخطوط النفيس.

اهم المصادر والمراجع

- الاغاني لابي الفرج الاصفهاني – دار الثقافة – بيروت – ١٩٨٧م

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي – مصورة عن طبعة مصر.

- الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا تح. د. محمد رضوان الداية - دار الفكر المعاصر – دمشق – ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي – تح. د. إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات – بيروت ١٩٨٠م.

سكردان السلطان لابن ابي حجلة – تح – علي محمد عمر – منشورات الخابجي – القاهرة –٢٠٠١ م.

سلوة الخريف بمناظرة الربيع والخريف – مطبعة الجوائب الاستانة ١٣٠٢هـ.

- شذرات من كتب مفقودة تح – د. إحسان عباس – دار الغرب الاسلامي – بيروت – ١٩٨٨م.

- صلة الخلف بموصول السلف للروداني تح. د. محمد حجي - دار الغرب الاسلامي –بيروت – ١٩٨٨م.

- الفهرست لمحمد بن اسحاق النديم – تح. تجدد – طهران ١٩٧١، وتح الشويمي – تونس ١٩٨٥م.

-مجلة المورد – بغداد – المجلد السابع–١٩٧٨م.

- مروج الذهب للمسعودي، تح، شارل بلا– بيروت– ١٩٦٦م.

- معجم الموضوعات المطروقة –لعبد الله الحبشي – المجمع الثقافي / ابو ظبي– ٢٠٠٠م.

-المنتظم لابن الجوزي – ط – حيدر اباد الدكن- الهند- ١٣٥٧هـ.

-من غاب عنه المطرب للثعالبي – تح– د. يونس السامرائي – بيروت



أخبار التراث العربي

بقلم حسن عريبي الخالدي
وزارة التربية / مدرس

*ايضاح بغية اهل البصارة في ذيل الاشارة – للتقي الفاسي تقي الدين ابي الطيب محمد بن احمد بن علي الحسني (٧٧٥ -٨٣٢هـ /١٣٧٣ -١٤٢٩م) تح احمد عبد الستار مراجعة د.ايمن فؤاد سيد ط١، القاهرة ،مركز تحقيق التراث،دار الكتب والوثائق القومية ١٤٣٤هـ- ٢٠١٢م، ٥٩٦ ص.

*ببليوغرافيا التراث الشعري العربي من العصر الجاهلي حتى سنة ١٠٠٠للهجرة – محمد احمد شهاب، ط١، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ – ٢٠١١م، ٢٣٩ص.

*البحر الزاخر في علم الاول والاخر – لجمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي (٨٧٤-٨١٣هـ/١٤١١- ١٤٧٠م) تح ومحمد كمال الدين عز الدين علي السيد، ط١، دمشق- القاهرة، منشورات دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع١٤٣٣ هـ-٢٠١٢م،١-٢مج، في ج ١- ٢+ج٣-٣٨٣،٤ص+ ٣٦٧ص+ ٤٤٨ص+ ٢٩٦ص.

*البحر الزاخر في علم الاول والاخر لابن تغري بردي –محمد كمال الدين عز الدين دراسات نقدية في المصادر التاريخية ص٢٤٥-٢٥٨.



*بحوث ومقالات في اللغة والادب وتقويم النصوص- محمد اجمل ايوب الاصلاحي، ط١، بيروت، دار الغرب الاسلامي ، طباعة مطبعة الصراط ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ٤٩٦ص.

*كتاب فيه بدء الاسلام وشرائع الدين- لابن سلام الاباضي المتوفي بعد سنة ٢٧٣هـ- ٨٨٧م-تح: فيرنرشفا رتس والشيخ سالم بن يعقوب،ط١، بيروت، المعهد الالماني للابحاث الشرقية- جمعية المستشرقين الالمان، طبعة جديدة، بيروت، طبع مؤسسة البيان ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ١٦٨ص.

*كتاب البدء والتاريخ- المنسوب وهماً للمطهر بن طاهر المقدسي (ت نحو سنة ٣٥٥/ ٩٦٦) [وصحيح ذلك هو انه من تاليف ابي زيد احمد ابن سهل البلخي (٢٣٥ - ٣٢٢هـ/ ٨٤٩ - ٩٣٤) وقد نقل عنه ابن العديم في (بغية الطلب) في عدة مواضع] نشره لاول مرة وعلق عليه كليمان هوار، قدم هذه الطبعة د: محمود اسماعيل، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ،طبع مطابع الهيئة العامة،...- ٢٠١٠ ،١-٢ مج ١-٦ مج، ٢٠٨ص + ٢٤١ص + ٢١١ص + ٢٤٢ص + ٢٣٨ص + ١٢٧ص.

*كتاب البدء والتاريخ - لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي المؤرخ الجغرافي المعلم المتفلسف (٢٣٥ - ٣٢٢هـ/ ٨٤٩ - ٩٣٤م) قرآه وقدمه سمير شمس، ط١، بيروت ، دار صادر، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ٥٣٦ص.



*بدائع التشبيهات -لتقي الدين بن ابي اليسر اسماعيل بن ابراهيم التنوخي (٥٨٩ - ٦٧٢/ ١١٩٣ -١٢٧٤) تم تحقيقه استاذ فالمحقق الثبت جليل ابراهيم العطية اعتماداً على مخطوطة نفيسة فريدة ورجح ان الكتاب صنف للملك الناصر داود الايوبي اذ كان التنوخي من كتاب الانشاء في ديوان الناصر ويرجح ان يقع في مطبوعته في ٣٠٠ص وله اهمية بالغة لما اشتمل عليه من قصائد ومقطعات مجهولة أو أخلت بها الدواوين المطبوعة.

* البديع - لابي القاسم علي بن افلح بن محمد العبسي البغدادي الشاعر الاديب الكاتب (٤٤٣- ٥٣٥/ ١٠٥١ - ١١٤١) تح : ابراهيم صالح -ط١ ابو ظبي - الامارات العربية المتحدة، هيأة ابو ظبي للثقافة والتراث (المجمع الثقافي) ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م ،

...انظر:المحاسن في النظم والنثر المنسوب وهما لابي الحسن نصر بن محمد الرغيناني (القرن الخامس الهجري) وصحيح نسبته الى علي بن افلح البغدادي .

*بديعيات نادرة - احمد مطلوب . مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) ج٤، مح ٥٩(١٤٣٤ هـ -٢٠١٢ م)٥-٤٦.

البربر في الاندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري ٩٢-٤٢٢/ ٧١١- ١٠٣١

تاليف الاستاذ عبد القادر بوباية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ...-٢٠١١، ٥٤٣ص.

برنامج شيوخ ابن ابي الربيع السبتي عبيد الله بن احمد بن عبيد الله القرشي الاموي العثماني (٥٩٩- ٦٨٨/ ١٢٠٣ - ١٢٨٩) تخريج الامام قاسم بن عبد الله بن الشاط السبتي (٦٤٣ - ٧٢٣/ ١٢٤٥- ١٣٢٣) قراه وعلق عليه : العربي الدائر بن علي المغرباطي ، ط١، الرباط ، مركز الدراسات والابحاث واحياء التراث ، الرابطة المحمدية للعلماء، ١٤٣٢هـ-٢٠١١ م، ١٠٠ص.

*أقول نشر البرنامج اول مرة بتحقيق المرحوم د: عبد العزيز الاهواني، في مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) مج١ (....-١٩٥٥) ٢٧١-٢٥٢.

بروكلمان والطبقات الكبير لمحمد بن سعد- محمد عوني عبد الرؤف. جهود المستشرقين في التراث العربي، ج١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص٦٣-٧٥.

بستان الاطباء وروضة الالباء لابن المطران (مخطوطة طبية)- يوسف زيدان . التراث المجهول اطلالة على المخطوطات، ...-٢٠٠٨م، ص١٥-٢٤.

البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان- المنسوب الى العماد الاصبهاني (ابن اخي العزيز) عماد الدين ابي عبد الله بن محمد بن حامد (٥١٩-٥٩٧/ ١١٢٥-١٢٠٠) دراسة وتحقيق: محمد علي الطعاني ، ط١،أربد- عمان ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع - دار اليازوري ...- ٢٠١١م، ٤٩٣ص.

اقول لعله قطعة من الكتاب الذي سمي (الحوادث) او (الحوادث الجامعة) على ما ذهب عليه العلامة الجليل: مصطفى جواد ورجح نسبته اولاً الى ابن الفوطي ثم رجع عن ذلك .

*(التفسير) البسيط (البسيط في التفسير) - للواحدي ابي الحسن علي بن احمد بن محمد النيسابوري اللغوي المفسد (٤٦٨/١٠٧٦) تح: مجموعة من الاساتذة ، ط١ ، دمشق دار العماد للدراسات والبحوث القرانية بالتعاون مع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ١ - ٢٥مج.

*بشر بن ابي خازم اخباره واشعاره في مصادر التراث جمع ودراسة وتصنيف - احمد موسى النوتي، ط١، بيروت، دار النهضة العربية ١٤٣٢هـ-٢٠١١ م، ٢٣٧ص.

*بقية الخاطريات للامام ابي الفتح عثمان بن جني وهي مما لم ينشر في المطبوعة - د: محمد احمد الدالي. الحصائل في علوم العربية وتراثها ج٣، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ص١٣٣-



.١٩٨

البلاغة في فكر ابي حيان التوحيدي – فائز طه عمر – ط١ ، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة ، ... – ٩٥ ، ٢٠١٠ص . الموسوعة الثقافية– .٩٣

البلاغة عند المعتزلة – محمد ميثم غرة، ط١، ابو ظبي الامارات العربية المتحدة، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (المجمع الثقافي) ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.

كتاب البلدان – لابن الفقيه ابي عبد الله احمد ابن محمد بن اسحاق الهمذاني الاخباري (ت نحو سنة ٣٤٠هـ/ نحو ٩٥١) تح يوسف حمادي، ط٢، بيروت عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع(١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م)، ٧٦٠ص.

*اتول طبعت قطعة منه بعنوان (بغداد مدينة السلام) بتحقيق العلامة المرحوم د: صالح احمد الحلبي في مجلة منشورات وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٧م ووقعت في ١٨٩ص.

*بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية– لابن طاووس جمال الدين ابي الفضائل احمد بن موسى بن جعفر الحسني العلوي الهاشمي الفقيه العالم (ت٦٧٣ / ١٢٧٤) تح السيد علي العدناني الغريفي، ط٢ بيروت ، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ، ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م، ٥٣٥ص.

*اقول طبع الكتاب اول مرة بتحقيق المرحوم د: ابراهيم السامرائي في عمان (الاردن) سنة ...– ١٩٨٥ ووقع في٢٧٠ص وهو رد على الرسالة(العثمانية) للجاحظ ومن المفيد تبيانه ان (بناء المقالة الفاطمية) و(شرح نهج البلاغة) لابن ابي الحديد يصح ان يعدا أصلين تامين او في حكم الاصلين المخطوطين اللذين يعينان في اعادة تحقيق (العثمانية) تحقيقا يستوفي الشرائط العلمية.

*البنية الصرفية والاعمال النحوي دراسة تطبيقية على صيغتي (فعال)و(فعالة) في ضوء الاستعمال والمادة اللغوية عند اللغويين العرب– مجدي ابراهيم يوسف.العرب (الرياض) ج٣–٤، س٤٦(١٤٣١هـ–٢٠١٠م) ١٦٦ – ١٩٠.

*البهاء زهير الازدي وتنازع الولاء لوطنين– احمد محمد ديوان مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق)ج١، مج٨٦(١٤٣٢هـ–٢٠١١م) ٨٣– .٩٤

*كتاب البهار في اللغة لابي الحسن الاهوازي، حققه وعلق عليه د: ابراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي، ط١ ، مركز احياء التراث الاسلامي معهد البحوث العلمية، جامعة ام القرى ، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م، ١٧٢ص.

*البويهيون في فارس دراسة في الاحوال السياسية والفكرية ٣٢٢– ٤٤٧هـ /٩٣٣–



١٠٥٥م– علي حسن غضبان، ط١، بغداد – دار ومكتبة عدنان –دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ...–٢٠١٤م، ٥١٢ص.

*شرح اللمع(البيان في شرح اللمع) لابي الفتح عثمان بن جني املاء الشريف عمر بن ابراهيم بن محمد الزيدي الحسيني الكوفي (٤٤٢– ٥٣٩هـ/١٠٥٠–١١٤٥) قدم له وعلق عليه : محمود بن محمد الموصلي، ط–١،ابو ظبي،الامارات العربية المتحدة، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث دار الكتب الوطنية، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م، ٧١٤ص.

بين اللسانيات وعلوم اللغة– احمد محمد قدور مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، مج ٨٥(١٤٣١هـ–٢٠١٠م)٩٧٧–٩٩٤

البيوتات العلوية في العصر العباسي– سولاف فيض الله حسن، ط١، بيروت، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ..– ٢٠١٣، ٤٣٩ص.

(ت)

مقتطفات من كتاب (تاريخ على السنين) لابي حسان الحسن بن عثمان الزيادي المتوفي سنة ٢٤٢هـ/٢٨٥٦م جمع وتحقيق ودراسة د. حسين داخل البهادلي،ط١،بغداد، منشورات بيت الحكمة، طبع مطبعة النهار الجديد (١٤٣٣هـ–٢٠١٢م) ٣٣٦ص.

*تاريخ اليعقوبي احمد بن ابي يعقوب بن جعفر الكاتب المؤرخ(ت٢٩٢/ ٩٠٥) ط٢، بيروت، دار صار،(١٤٣١– ٢٠١٠) ٢٠٠١مج،٣٦٣ ص + ٥١٢ص

تاريخ ابن ابي الحديد المعتزلي موفق الدين بن ابي الحديد المدائني البغدادي (المتوفي سنة ٦٥٦هـ) تح المغفور له الاستاذ مهدي عبد الحسين النجم الحسيني(١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م) اوراق تراثية (بابل) ع٢، س٢(١٤٣٢هـ– ٢٠١١م)٩٧ – ١١٢.

ع٣–س١٢(١٤٣٢هـ–٢٠١١م)١٠٧–١٢١.

*تاريخ ابن بريال مخطوطة لابي بكر عبد الباقي بن محمد بن بريال الحجاري (٤١٦ – ٥٠٢هـ/١٠٢٥– ١١٠٨م) دراسة وتحقيق بهمن صالح محمد، ط١، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة، طبع مطابع دار الشؤون الثقافية العامة،(١٤٣٢–١٤٣٥هـ/ ٢٠١١ م٢٠١٤م)، ١–٢ج ٤٢٤+٤٤٠ص. سلسلة خزانة التراث–٥.

اصل الكتاب دراسة وتحقيقا رسالة ماجستير اداب في التاريخ الاسلامي باشراف د: ناجية عبد الله ابراهيم، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات جامعة بغداد ...– ٢٠٠٧م.

*تاريخ ابن الريوندي الملحد – جمع وتحقيق وتقديم د: عبد الامير الاعسم ط١، دمشق، دار التكوين للتاليف والترجمة والنشر (...– ٢٠١٠)، ٣١٤ص



*تاريخ اعلام مالقة لابن عسكر الغساني الامام المؤرخ محمد بن علي بن خضير (ت٦٣٦) واتمه ابن اخته العلامة المؤرخ محمد بن علي. تح: محمد احمد عبد الحليم، ط١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ٤٠٩ص.

تاريخ الخلافة الفاطمية - عبد المنعم ماجد، ط١، عمان (الاردن) دار الفكر ناشرون وموزعون، ..- ٢٠١١، ٣٥٩ص.

تاريخ دمشق - لابن ابي العجائز الازدي (القرن ٤هـ /القرن ١٠م) دراسة وجمع وتحقيق د: عصام مصطفى هزايمة ويوسف بني ياسين، ط١، اربد - عمان، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع - دار اليازوري، (...-٢٠١١)، ١١٢ص.

كتاب التاريخ الصالحي سيرة النبي (ص) والانبياء عليهم السلام والخلفاء حتى سنة٦٣٦هـ لابن واصل الحموي جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله (٦٠٤ - ٦٩٧/ ١٢٠٧ - ١٢٩٨) تح عمر عبد السلام تدمري، ط١، صيدا - بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ١-٢ج ٥١٩ص+ ٤٦٤ص.

*تاريخ العراق في العصر البويهي دراسة في الحياة الفكرية ٣٣٤ - ٩٤٥/٤٤٧ - ١٠٥٥د. حسن سلسب، ط١، بيروت، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٥١١ص.

*تاريخ علماء الاندلس - لابن الفرضي ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي الاندلسي (٣٥١-٤٠٣/ ٩٦٢ - ١٠١٣) حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط١، تونس، دار الغرب الاسلامي، بيروت طباعة مطبعة كركي،١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ،١- ٢مج ،٤٧٨ص+٤٧٨ص،سلسلة التراجم الاندلسية - ١.

*تاريخ علماء بغداد المسمى نتنخب المختار تاليف ابي المعالي محمد بن رافع السلامي (ت٤٤٧/ ١٣٧٢) دراسة وتحقيق(!) د: محمد حسين الزبيدي ط١، بغداد٢ منشورات بيت الحكمة، طبع مطبعة النهار، ...- ٢٠١١، ٢٥٢ص.

التاريخ الغياثي (تاريخ الدول الاسلامية في الشرق) للغياثي عبد الله بن فتح الله البغدادي دراسة وتحقيق د: طارق نافع الحمداني، ط١، بيروت، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ...-٢٠١٠، ٤٩٦ص.

*تاريخ فاتح العالم (جهان كشاي) - علاء الدين عطا ملك الجويني (ت٦٨٣هـ) وتصحيح واهتمام وجمع نسخ من قبل محمد بن عبد الوهاب القزويني ترجمة السباعي محمد السباعي، ط١، القاهرة، منشورات المركز



القـومي للترجمة ، وزارة الثقـافة ، ...–٢٠٠٧، ج١، ٢٧٦ص.

*تاريخ الفكر الاندلسي – تاليف : آنخل جنثالث بالنثيا. نقله عن الاسبانية د: حسين مؤنس ، ط٢، القاهرة، منشـورات مكتبـة الثقـافة الدينية، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م، ٧٩٩ص.

*تاريخ منى الرهاوي – ترجمة وتعليـق د: محمد الرويضي وعبد الرحيم مصطفى ط١، اربد عمان(الاردن) مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشـر والتوزيع–دار اليازوري ، ...–٢٠١٢م، ٤٣٨ص.

*تاريخ مجموع النوادر للاوائـل والاواخـر تاليف قرطاي العزي الخزنداري (توفي بـعد سنة ٧٠٨هـ) تح د:عمر عبد السلام تدمري ،ط١ صيدا – بيروت ، منشـورات المكتبـة العصرية١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م، ج٤، ٤٠٧ص يشمل على حـوادث ووفيات ٦١٦–٦٩٣/ ١٢١٩– ١٢٩٤.

....(من بداية الخلق الى سنة ١٠١هـ) ط١ بيروت، المكتبة العصرية،١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م ٤٦٤ص. *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها .... لابن عساكر ابي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الدمشقي (٤٩٩– ٥٧١/ ١١٠٥ – ١١٧٦) تح(!) مصطفى عبد القادر عطا ط١، بـيروت، دار الكتب العلمية،١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م، ١–٣٧مج.

*التاريخ المعتبر في أنباء من غبر – للعلمي مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبـد الرحمن المقدسي (٨٦٠– ٩٢٨/ ١٤٥٦ – ١٥٢٢) تح ودراسة لجنة مختصة من المحققين باشراف نور الدين طالب ، ط١، دمشـق – بيروت ، دار النور ،١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ٣–١مج ، ٤٢١ص+٤٥٥ص+٤٨٠ص.

*تاريخ المكتبات في الاندلس – رضا سـعيد مقبل ، ط١، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (...–٢٠٠٩)، ١٨٤ص.

*تاريخ الموصل – للقـس سـليمان بـن صائغ الموصلي (١٨٨٦ – ١٩٦١) حقق نصه وقدم له وعلق عليه عبد الخالق عبد اللطيف بـن حسـن الموصلي. ط١، بـيروت ، دار الكتب العلمية، – ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م، ١–٣ج ، ٣٨٤ص +٣١٩ص +١٧٦ص.

*تاريخ اليمامة في صدر الاسـلام محـاولة للفهم– عبد اللع ابراهيم العسكر ، بـيروت ، جدوال للتوزيع والنشر، ..–٢٠١٢م، ٢٧٢ص.

تاريخ اليونانيين في كتابات المسعودي – عبد العزيز بن صالح الهلابـي العرب(الرياض)ج٩ – ١٠، س٤٨(١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م) ٥٤٩– ٥٧٦

تأصيل النسخ الخطية بطريقة النواقـص المهمة وشـجرة المخطوطات –مصطفى موالدي. مجلة معهد المخطوطات العربـية (القـاهرة) ج٢. مح٥٦ (١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م)٢٢٣ – ٢٣٨.



*التبيان في علم المعاني والبديع والبيان – للطيبي شرف الدين حسين بن محمد بن عبد الله (٧٤٣/ ١٣٤٢) تح وتقديم : هادي عطية مطر الهلالي، ط١، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع،(١٤٣٢هـ-٢٠١١م) ٥٦٦ ص.

*تتمة الورقة لابن الجراخ – د: عباس هاني الجراخ ، الذخائر (بيروت) ع ٣١- ٣٢، س٨ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م) ٩٣ – ١٦٥.

*تحرير اسم الفاعل من مزاعم المجاراة – حامد علي ابو صعيليك . مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٧٨، س٣٤ (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م) ١١٩- ١٥٨

*تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن لابن ابي الاصبع العدواني زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد الاديب الشاعر(٥٩٥ – ٦٥٤، ١١٩٨ – ١٢٥٦)تقديم وتحقيق د:حفني محمد شرف القاهرة،المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، طبع مطابع الاهرام التجارية (قليوب) (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م) . ٧٠٢ص.

*تحرير المجسفي للطوسي (مخطوطة ملكية) – يوسف زيدان التراث المجهول اطلالة على المخطوطات ، ..- ٢٠٠٨، ص ٢٥- ٣٣.

*تحسين القبيح وتقبيح الحسن- للثعالبي ابي المنصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري(٣٥٠- ٤٢٩/ ٩٦١ – ١٠٣٨) تح الاستاذ المحقق المدقق شاكر العاشور ، ط٤، دمشق ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ..- ٢٠١٢، ١٨٠ص.

التحصيل من المحصول – للسراج الارموي سراج الدين محمود بن ابي بكر بن حامد (٥٩٤- ٦٨٢/ ١١٩٨ – ١٢٨٣) دراسة وتحقيق د: عبد الحميد علي ابو زيد، ط٢، دمشق، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٢- ٢٠١١، ٢-١ج، ٤٦١ص+٤١٦ص.

*تحفة الاحظاء في الفرق بين الضاد والظاء لابن مالك – د: حاتم صالح الضامن العرب (الرياض) ج١-٢، س٤٥(١٤٣٠ – ٢٠٠٩) ٣ – ١٨.

*تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب الى عبد الله وابي طالب – للسمرقندي حسين بن عبد الله بن الحسين (ت ١٠٤٣هـ) تح تامر محمدي محمد جاد، ط-١، القاهرة، دار الافاق العربية ، ١٤٣١ – ٢٠١٠، ٢٢٤ص.

*...تح الشيخ محمد كاظم المحمودي ، ط-١ بيروت، منشورات مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ، ١٤٣٢- ٢٠١١، ١٥٠ص سلسلة ذخائر تراثنا- ١٨.

*التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة – للشمس السخماوي شمس الدين ابي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (٨٣١- ٩٠٢هـ، ١٤٢٧ – ١٤٩٧) تح عارف احمد



عبد الغني ، ط١، دمشق ، دار كنان ٢٠٩ – ٢٠١٠، ١ – ٤ج، ٢٠٠٠ص.

*تحفة المجاهدين في العمل بالميادين للطرابلسي (مخطوطة فنون عسكرية)- يوسف زيدان . التراث المجهول . اطلاله على المخطوطات، ...- ٢٠٠٨، ص٣٥- ٤٥.

*تحفة الملوك والسلاطين- عبد اللطيف الحنفي تح د. خالد الملا السويدي ط-١، دمشق، دار كنان ، ....- ٢٠١٠، ٣٤٥ص.

*التحفة الندية في شرح اللامية الوردية – للغري نجم الدين ابي المكارم محمد بن محمد بن محمد (٩٧٧- ١٠٦١هـ/ ١٥٧٠- ١٦٥١م) تح د:هناء سبيثاتي، ط-١، دمشق منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة، ...- ٢٠١٢، ٢٣٨ص، احياء ونشر التراث العربي – ١٨٨.

*التحقيق – العلامة المرحوم د: محمود محمد الطفاحي : مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطفاحي (ط٢) ق١/ص١٢٤- ١٤٠.

*تحقيق المخطوطات – اكرم ضياء العمري. دراسات تاريخية : ص٣٧-٦٣.

*تحقيق المخطوطات – عبد الستار الحلوجي . تراثيات (القاهرة) ع ١١(...- ٢٠٠٨) ٢٨-١٧.

*تحقيق النص قراءة في الروايتين الاولى والثانية – عبد العزيز ابراهيم ط١، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة ، (...- ٢٠١٣)، ١٠٩ص، الموسوعة الثقافية – ١٢١.

*تحقيق النصوص الادبية واللغوية ونقدها دراسة تحليلية مقارنة مع المناهج العربية – د: عباس هاني الجراخ، ط١، عمان (الاردن) – بابل (العراق) دار صفاء للنشر والطباعة والتوزيع- مؤسسة دار الصادق الثقافية ، ١٤٣٢ – ٢٠١١، ٢٥٧ص.

*تحقيق النصوص بين اخطاء المؤلفين واصلاح الرواة والنساخ والمحققين – وبشار عواد معروف ، ط١، تونس دار الغرب الاسلامي ، بيروت، طباعة شركة الريان للطباعة، (..- ٢٠٠٩)، ٢٣٩ص.

*التحقيق والبيان في شرح البرهان في اصول الفقه لامام الحرمين الجويني – لشمس الدين ابي الحسن علي بن اسماعيل بن علي الابياري الفقيه الاصولي المتكلم (٥٧٩ – ٦١٦/ ١١٦٤ – ١٢١٩) تح: علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري ، ط١، حولي (الكويت) دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٤٣٤ -٢٠١٢، ٤-١مج.

*تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصفائح والعمالات الشرعية – لابي السعود علي بن محمد بن احمد بن موسى الخزاعي



(٧٨٩-٧١٠) (١٣١٠ -١٣٨٧)تح د: احسان عباس ، ط٣، تونس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، طبع دار صادر، (..-٢٠١٠)، ٩١٩ص.

*تخريج النص- د: محمد ابراهيم البنا . دراسات ونصوص لغوية تقديم وتحقيق وشرح وصنعة د: محمد ابراهيم البنا، ط١، مكة المكرمة - بيروت ، المكتبة المكية - دار ابن حزم للطباعة والنشر (١٤٢٧- ٢٠٠٦) ١- ١٥ص.

*تذكرة ابن العديم (ابن ابي جرادة) كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله بن محمد الحلبي المؤرخ الاديب (٥٨٨-٦٦٠/ ١١٩٢ - ١٢٦٢) عني بتحقيقه الاستاذ المحقق ابراهيم صالح، ط٢ ، ابو ظبي ، الامارات العربية المتحدة هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث(دار الكتب المصرية / المجمع الثقافي) ١٤٣١- ٢٠١٠، ٤٢٩ص.

*تذكرة النحاة لابي حيان الاندلسي تح عفيف عبد الرحمن. نقد واستدراك بقلم وليد محمد السراقبي، العرب (الرياض) ح٥-٦، س٤٩ (١٤٣٤- ٢٠١٣) ٣٧٠ - ٤٠٣.

*التراث الاسكندري الاندلسي: الشيوخ والتلاميذ (ثبت ببليوغرافي) - حسين كمال نور.ابحاث مؤتمر التراث الاندلسي: الشخصية والاثر ص١٨٧- ٢١٥.



*التراث بين الماضي الحي والغد المنشود - محمود احمد السيد. العرب (الرياض) ج٩-١٠ س٤٥ (١٤٣١- ٢٠١٠) ٥٢١ - ٥٦٦.

*تراث الخيل في الغرب الاسلامي - حياة قادة مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ج٢، مح٥٦ (١٤٣٣- ٢٠١٢) ١٨٣ - ٢٢٢.

*التراث العربي المخطوط في مكتبات ايران العامة - السيد احمد السيني ، ط١، قم (ايران) طبع مطبعة نكارش، ١٤٣١ - ٢٠١٠، ١ - ١٤مج.

التراث في فكر المجددين (الدكتور محمد حسين هكيل)-حسين نصار تراثيات (القاهرة)ع١١ (...- ٢٠٠٨)٩- ١٦.

*التراث المجهول اطلالة على المخطوطات - يوسف زيدان، ط-١، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ...- ٢٠٠٨، ٤٠١ص.

*تراثيون في الذاكرة - الاستاذ رفعت مرصون الصفار، ط-١، بغداد ، طبع مطبعة النيزك، - ٢٠١٠(الايداع) ١٩٢ص.

*تراجم العلماء والشعراء في حاشية بانت سعاد- عبد القادر البغدادي(١٠٩٣/١٦٨٢) تح: محمود محمد العامودي، ط-١، القاهرة، دار الافاق العربية، ...- ٢٠١٢، ٢١٧ص.